

جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture, Tourism and Antiquities\ IRAQ

ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقّحة في ستة أجزاء

الجزء 1

دِيوَانُ الجَوَاهِرِيّ

الجزء الأول

ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء

الجزء الأول

تأليف: محمد مهدي الجواهري

موضوع الكتاب: شعر

بغداد - 2021

الطباعة الالكترونية والتصحيح والاخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة

عدد الصفحات: 496 صفحة

الحجم: 17 × 24 cm

الرقم الدولي: ISBN 978-9922-641-21-8

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: 2872 لسنة 2020



وزارة الثقافة والسياحة والآثار

دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان: بغداد - الأعظمية - حي تونس - آفاق عربية

البريد الالكتروني: **info@darculture.com**

الموقع الالكتروني: **www.darculture.com**

محمد مهدي الجواهري



ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء

الجزء الأول

لجنة مراجعة الديوان

د. حسن ناظم

د. سعيد عدنان

د. سعيد جاسم الزبيدي

د. نادية العزاوي

د. رهبة أسودي حسين

بغداد - 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
مكتب الوزير



کۆماری عیراق
وەزارەتی رۆشنبیری و شوێنەوار
نووسینگەی وەزیر
Ministry of Culture,
Tourism and Antiquities.

العدد : م و/ 48
التاريخ : 28/ 9/ 2020

((امر وزاري))

استنادا إلى الصلاحيات المخولة لنا ولمقتضيات مصلحة العمل تقـــــرر :

- تشكيل لجـــنة برئاســـتنا وعضوية الذوات المدرجة أســـماؤهم ادنــاه .
- تتولى اللجنة متابعة ومراجعة مراحل طبع (ديوان الجواهري) وكتاب (مذكراتي) للجواهري .

الأعضاء :-

1- الدكتورة رهبة اسودي حسين / مدير عام دار الشؤون الثقافية / وكالة .
2- الدكتور سعيد عدنان /قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء .
3- الدكتورة نادية غازي جبر العزاوي / الجامعة المستنصرية / كلية التربية/قسم اللغة العربية .
4- الدكتور سعيد جاسم عباس الزبيدي/ قسم اللغة العربية /كلية العلوم والآداب / جامعة نزوى/ سلطنة عمان .

د.حســن ناظــم
وزيــر الثقافة والسياحة والآثار
2020/9/ 27

صورة عنه إلى/

- دار الشؤون الثقافية / كتابكم ذي العدد 1754 في 2020/9/14 للتفضل بالإطلاع واتخاذ ما يلزم ... مع التقدير
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / الجامعة المستنصرية / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة كربلاء / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.

الجواهري

بينَ يديْ ديوانِهِ

حسن ناظم

وزير الثقافة والسياحة والآثار

تقدّمُ وزارة الثقافة والسياحة والآثار في العراق طبعةً جديدةً لديوانِ شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري، بعد أن مضى (٤٨) عاماً على طبعةِ وزارة الإعلام العراقية (المنحلّة) للديوان الذي طُبعَ بسبعةِ أجزاء، وصدر الجزء الأول منه في العام ١٩٧٣. عملتْ على ضبطِ الديوانِ لجنةٌ من أساتذةِ العربية، وإنه لتنويهٌ مستحقٌّ وشكرٌ لازمٌ لهم على ما بذلوه من جهدٍ طيّبٍ في التصحيحِ والمتابعة، تألّفت هذه اللجنةُ من الأساتذة د. سعيد عدنان، د. سعيد الزبيدي، د. نادية العزاوي، وكاتب السطور، و د. رهبة أسودي حسين التي أشرفت على مراجعة ومتابعة مراحل عمل الديوان. هذه الطبعةُ الجديدةُ من ديوان الجواهري أكملُ طبعةٍ على الإطلاق بما أنها شملتْ قصائدَ جديدةً لم تتضمّنْها الطبعاتُ السابقةُ وتلافت الأخطاء اللغوية والطباعية التي وقعت بها. تضمّنَ الديوانُ قصائدَ جديدةً، وهي قصيدةُ "يوم التتويج" التي ألقاها الجواهري بمناسبةِ تتويجِ الملكِ فيصل الثاني في العام ١٩٥٣ في حفلٍ كبيرٍ أُقيمَ في قصرِ الرحابِ ونقلتْها إذاعةُ بغداد، و"لك الحياةُ رفاهاً" ، و"أيها الأسد المعصوب"، نُشرتْ هاتان القصيدتان في الصحافةِ العراقيةِ في العام ١٩٥٩ بعد تعرضِ الزعيم عبد الكريم قاسم لمحاولةِ اغتيال، و"أمين لا تغضب" قالها بعد الانقلابِ الذي

حدثَ في ٨ شباط ١٩٦٣، و"حبيبتي نبيهة" قالها في وداعِ شقيقتِهِ وهي تُوارى الثرى في العام ١٩٨٧، و" إنّ خيالاً " قالها بمناسبةِ السنةِ الثانية لزواجِ كريمتِهِ خيال في العام١٩٩٤.

وتختطُّ الوزارةُ بهذا العملِ نهجاً جديداً يُعيدُ الاعتبارَ لشعراءِ العـراقِ الكبـارِ وكتّابِـهِ المبرّزين بإظهارِ أعمالِهم الإبداعيةِ بعد أن نُفيتْ من العراقِ معهم، ولم يتسنَّ للعراقِ احتضـانُ هذه الأعمالِ الكبيرةِ لسنواتٍ طويلةٍ. وليس من أربِ هذه المقدمةِ المـوجزة أن تعـرّفَ بشـاعرِ العربِ الأكبر الجواهري، لكنّ نمطَ تكوينِ شاعرٍ من طرازِهِ، في بيئةِ مدينةِ النجفِ العراقيـةِ، ذاتِ الخصوصيةِ الثقافيةِ والدينيةِ، يفتحُ البابَ على مـا انغلـقَ مـن أسرارِ أثـرِ النشـأةِ الأولى، تلك التي يمكنُ أن تولّدَ لحظةً مثلَ لحظةِ الجواهري في زمنِ انحسارِ الشعرِ. كـان الجـواهري يهرولُ إلى دواوينِ الشعرِ عاصياً بذلك وصيّةَ والدِهِ الذي كان يختطُّ له مساراً في بطـونِ كتـبِ علومِ الدين. وكانت مخايلُ النبوغِ والعبقريةِ باديـةً عـلى الصـبيّ الجـواهري، لكـنّ تصريـفَ النبوغِ لم يكنْ ليتحكّمَ به أَبٌ أو مجتمعٌ، وهو فوق طاقـةِ الكـتمانِ والكبـتِ: إنّـه يتفجّـرُ، إنّـه يتمرّدُ. ولم يكن له أن يتفجّرَ ويتمرّدَ إلاّ بارتحالِهِ من بيئتِهِ المحافظةِ إلى بغدادَ، ناشداً صيتاً أكبرَ لمجدِهِ الشعريّ، ومكانةً أعلى في المجتمعِ الشعريّ والاجتماعيّ والسياسيّ، مثلُهُ في ذلـك مثـلُ قُدوتِهِ ومثالِهِ المتنبي في ارتحالِهِ من الكوفةِ إلى بغدادَ. كان الجواهري يتربّصُ لنبوغِـهِ الظهـورَ، وكان ذهنُهُ يتمثّلُ الشعرَ، وحافظتُهُ تختزنُهُ، ووجدانُـهُ يتشـبّعُ بـه، حتـى أننـي حـين أترصّـدُ نظرياتِ الشعرية منـذ اليونـان مـع أرسـطو، والعـرب مـع ابـن سـلّام وقدامـة والجرجـاني والقرطاجني تمثيلاً، والكلاسيكيين مع بوالو، والمحدثين مع ياكوبسون، وغيرهم كُثر، هـذه كلُّها تقصّرُ عن تفسيرِ عبقريةٍ شعريةٍ كبرى مثل عبقريةِ المتنبي وأبي العلاء المعري وصـولاً إلى الجواهري، الشاعر الذي أفنى القرنَ العشرين في "صناعةِ الشـعرِ". إنهـا معضـلةُ ضـبطِ فـنِّ الشعرِ، وتأسيسِ حدودِهِ، إنها الشعريةُ التي تروغُ من التقنينِ، وقد لخّصَها النحويُّ البصـريُّ يونس بن حبيب (ت١٨٢) بقولِهِ: "الشـعرُ كالسّرـاءِ والشـجاعةِ والجـمالِ لا يُنتهـى منـه إلى غاية".

يمدُّ شعرُ الجواهري بصدورِهِ وأعجازِهِ جناحيْهِ على القرنِ العشرين كلِّهِ، قرنِ تأسيسِ الدولةِ العراقية. وفي هذا العام، عام ٢٠٢١، تمرُّ الذكرى المئويةُ لتأسيسِ الدولةِ هذا، وكم أنّ حدثَ صدورِ ديوانِ الجواهري في العراقِ، بطبعةٍ من وزارةِ الثقافةِ، بأجزائِهِ الستةِ، يُناسبُ حدثَ التأسيسِ، فتاريخُ الدولةِ العراقيةِ الحديثُ مبثوثٌ في ديوانِهِ. في هذه الأجزاءِ الستةِ، حضرَ تاريخُ العربِ بعامة، وتاريخُ العراقِ بخاصة، ورُسمتْ فيه لوحاتٌ لوجوهِ الشخصياتِ السياسيةِ والاجتماعيةِ: من الملوكِ والرؤساءِ، والوزراءِ والشهداءِ، ومراجعِ الدينِ والوجهاءِ، والمفكرين والشعراءِ، والروائيين والعلماءِ، والأصدقاءِ والأقرباءِ، والنوّابِ والثوّارِ، والشيوخِ والتُّجّارِ. ووُصفت فيه دُوَلٌ ومُدُنٌ، وأنهارٌ وبحارٌ، ومعاركُ ومقاتلُ، وثوراتٌ وانتفاضاتٌ، وانقلاباتٌ وأيامٌ وطنيةٌ، وجيوشٌ ووفودٌ، وصَبَواتٌ وشهواتٌ. جاء كلُّ ذلك ضمنَ الأغراضِ المعروفةِ للشعرِ العربيّ مدحاً وهجاءً وغزلاً ورثاءً وغيرها، مصطبغاً بالسُّخريةِ والنقدِ اللاذعِ، والتقريضِ والزُّلفى، والاختيالِ والعُجْبِ، والضعفِ واليأسِ، ومواجعِ الغُربةِ ومسرّاتِ الوطنِ، والاحتدامِ والاستكانةِ: إنّه "برزخُ" الجواهري، مَجْمَعُ الروحِ القلقةِ، والنّفسِ اللائبةِ، تلك التي أسكنَها الجواهري في "أبياتِ" قصائدِهِ، ووطّنَها في لغتِهِ الفخمةِ الجزلةِ.

ذاكرةُ قراءةِ أشعارِ الجواهري ذاكرةٌ مؤثرةٌ، تستحوذُ على العراقيين والعربِ، فهو سليلُ الشعراءِ الكبارِ من طرازِ المتنبي، أولئك الذين يبثّون مع النشوةِ الشعريةِ القيمَ الثابتةَ إيجاباً وسلباً، وبالنسبةِ لي، تحكّمت التقاليدُ الشعريةُ الراسخةُ في شعر الجواهري في بعضِ زوايا الوجدانِ والنفسِ، إذ لا يمكنُ أن يولدَ المرءُ وينشأَ في العراقِ، النجفِ على وجهِ التحديدِ، من دونِ أن تستحوذَ عليه شابّاً آياتُ القرآنِ وكنوزُ "نهج البلاغة" وقصائدُ الجواهري، ومع التقاليدِ الشعريةِ، ديفتْ القيمُ الأخلاقيةُ، والنوازعُ الفرديةُ، والخيرُ والشرُّ، إلخ. فرّختْ هذه الذاكرةُ المستحكمةُ شعراء "جواهريين"، نصّبوا الجواهري نبيّاً للشعرِ سيحتاجُ عاجلاً أم آجلاً "خليفة" يواصلُ حراسةَ التقاليدِ. وهكذا اتّسعَ المشهدُ لمجموعةٍ من الشعراءِ الخلفاء، من أولئك الذين أثْرَوا ساحةَ القصيدةِ الكلاسيكيةِ بنماذجَ باهرةٍ، مع أنها

كانتْ وفيّةً، كالنموذجِ الأصليّ، للتقاليدِ إيجاباً وسلباً. وعلى أيِّ حال، تمتّع الجواهري بموهبةٍ فذّةٍ وذاكرةٍ فريدةٍ عضّدتْها همّةٌ عاليةٌ في التحصيلِ الأدبيّ والحفظِ، ورعاهما طموحٌ بعيدُ الشأْوِ في أن يكونَ حلقةً في السلسلةِ الذهبيةِ من الشعراء العرب، أولئك الذين ناغاهم، واشتملت أشعارُهُ على أسمائهم وأشعارِهم تضميناً وإشادةً، بدءاً من المتنبي وانتهاءً بالزهاوي والرصافي وحافظ وشوقي، ومروراً بطرفة بن العبد والنابغة الذبياني، بالفرزدق والأخطل وجرير، وأبي نواس والمعري والبحتري وأبي تمام، وتطولُ السلسلةُ الذهبيةُ التي أرادَ الجواهري أن يكونَ ختامَها المسكَ فكان، وتتّسعُ فروعُ هذه الشجرةِ التي انتسبَ إليها فكانت ما يفضّلُهُ الجواهري من أسلافٍ ليكونَ خيرَ خَلَفٍ لهم، ويكونَ للعراق رافداً مع الرافديْنِ، ونهراً ثالثاً مع الفراتيْنِ.

الجواهري

من المولد حتى النشر في الجرائد

الدكتور علي جواد الطاهر

تبدأ بداية الشاعر الكبير قبل أن يأتي إلى الدنيا، وإذ يأتي، فمنذ اللحظات الأولى وعلى مر الزمن وتراكم التجارب تنمو البداية سراً دون أن يعلم بها أحد، وتنمو أكثر إذا لقيت تربة خصبة وهواء نقياً وزاداً خاصاً... فتدلّ على وجودها بتلميحٍ مرة وتصريح مرة، إنها إذ يتهيأ لها الأساس تفرض نفسها على الجانبي - وغير الجانبي - وتحوّله لمصلحتها.

- متى ولد الجواهري؟

وتبحث وتلحّ في السؤال ولا تكاد تقف على حقيقة وتضطرب الروايات بين الهجري والميلادي. ويزيد الاضطراب الشاعر نفسه، وحرصه في أن يكون أصغر مما هو عليه مستغلاً ما يتمتع به من قوة ونشاط وهو في السبعين أو ما نيف عليها... واذا حاسبته بما ورد في شعره من أرقام، أنكر أن تكون لهذه الأرقام دلالة علمية،إنّها شعراً أكثر منها تاريخاً....

-متى ولدَت؟

-ولدتُ عام ١٩٠٣م وقيل ١٩٠١م والأول هو الأصح[1].

وقال آخر: ((ولد في النجف في ١٨ ربيع الثاني عام ١٣١٨ هجرية، ١٩٠٠م أو كما يحلو له أن تكون ١٩٠٣))[2].

---

[1] شعراء الغري للخاقاني ج١٠ ص١٤٣ - وقد جعل الولادة بالتأريخ الهجري سنة ١٣٢٠هـ.

[2] الجواهري شاعر العربية للدجيلي ص١٩.

وتطلب اليه عام ١٩٧٢ مجلة أن يكتب لها عن نفسه بقلمه فيكتب: ((أنا محمد مهدي الجواهري، في الثانية والسبعين من عمري. ففي بيت صغير من بيوت النجف الأشرف ولدت عام ١٩٠٠))[1].

وتقول له بعد ذلك: انك ولدت عام ١٩٠٠، فينكر- مازحا الهزل بالجد كعادته إذا جرى الحديث عن الأعمار- وتذكّره بالمجلة فلا يعترف... ويبتسم ويقول: إنك إذا حاسبت على المسجلات فها هو ذا جواز سفري وهذا ميلادي فيه ١٩٠٧- يقولها متمنيا أن يكون هذا التاريخ صحيحاً.. ثم ما قيمة العمر في الدلالة على الحياة؟!

وفي ذات يوم نقع على الحقيقة أو نقترب منها... لقد كانت العادة أن يؤرخ الوليد شعراً، أما أرخت؟ فيجيب بالنفي البات حتى لكأن لم تكن العادة جارية فعلاً؛ إنهم إن لم يؤرخوا شعراً، كتبوا التاريخ على أقرب كتاب لديهم أو على المصحف... أو... أو...؟ فينفي أن يكون قد حدث له شيء من ذلك، وأنه ليفضل أن يعرف عنه أنّه جاء الدنيا من دون اهتمام له على أن يعرف تاريخ ميلاده.

ونسي ذات يوم انكاره وجود التاريخ الشعري فقال: أنا أصغر من أخي الأكبر عبد العزيز باثنتي عشرة سنة، وميلاد أخي معروف مؤرخ شعراً، عمله السيد جعفر الحلي ومثبت في ديوانه:

... سمعا أباه أن تاريخه   أعقبت يا بشراك عبد العزيز[2]

---

[1] مجلتي، بغداد، العدد ٢٩، ١ نيسان ١٩٧٢، ص٥ ((ميكرفون مجلتي يحرره الجواهري)).

[2] كتاب سحر بابل وسجع البلابل (ديوان شعر) للسيد جعفر الحلي وشرح محمد حسين آل كاشف الغطاء، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٣١ ص٢٥٣. ينظر عن عبد العزيز الجواهري ماضي النجف وحاضرها لجعفر الشيخ باقر محبوبة ج٢ ص١١٨ – ١٢٠ وفيه انه ولد ليلة الرابع عشر من صفر ١٣٠٨ وشعراء الغري للخاقاني ج٥ ص٤٤٧- ٤٤٦.

ويحسب العارفون بالتاريخ الشعري فيظهر أن ميلاد عبد العزيز ١٣٠٨ هـ فاذا أضفت له الـ ١٢ المدعاة كان ميلاده سنة ١٣٢٠ وهو التأريخ المفضل لديه لانه يقربه بالميلادي من الـ ١٩٠٣ ولا يخرج بذلك عن حدود السبعين- ومن يدرينا فلعله احتاط سلفاً للأمر فزاد على الفرق بين الميلادين سنتين أو ثلاثاً[1]؟

-وما رأيك بالشيخ جعفر محبوبة مؤلف كتاب ((ماضي النجف وحاضرها)).

-صادق، ثقة، وكتابه قيم وإني لأبحث لي عن نسخة منه أستعين بها على ذاكرتي ومذكراتي..

-إنه يقول: ولد ليلة السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٧هـ[2].

-هذا تمام... صحيح (وكان الذي شجعه على الاستمرار في التأييد جهله الفرق بين السنة الميلادية والهجرية... وتصوّره أن هذا التاريخ يرقى به الى ما بعد الـ ١٩٠٠م).

ونرجع إلى قواعد تحويل الهجري إلى الميلادي وإلى الجداول العلمية المعترف بها فيظهر أنه ولد يوم الأربعاء، السادس والعشرين من تموز سنة ١٨٩٩.

ويبدو أن هذا هو التاريخ الصحيح لما هو معروف من صدق محبوبة وتثبته وصلته بآل الجواهري ولصيغة تاريخ الولادة حتى لكأنه استقاها من أوثق المصادر، وكان من دأبه أن يتحرى ويرجع إلى الأصول فلم لا يكون قد أخذه عن والد الشاعر نفسه[3]؟

وعلى أي حال فإن الأمر ليس بمهم جداً فالأسرة والبلدة والبيئة العامة تكاد تكون هي هي خلال الأعوام الثلاثة المختلف فيها- أو عليها.

---

[1] إنه سيحتفظ بمثل هذه الريادة قصداً وعلى غير قصد- لدى سرده أحداث عمره حتى لكأنه ولد عام ١٩٠٣ دون نقاش وإذ يقول كنت ابن سابعة فكأنه لم يكن ابن عاشرة- أو ما أشبه.

[2] ماضي النجف وحاضرها ج٢ ص١٣٦

[3] نبهني الأستاذ رشيد بكتاش إلى بيت من شعر الجواهري يقربه من هذا التاريخ دون أن يسمح للشاعر كثيراً بالدفاع عن نفسه بضرورة الوزن الشعري. فقد قال سينية سنة ١٣٤٢/ ١٩٢٤ وفيها:

طبقت شهرتي البلاد وما جاوز عمري عشراً وسبعاً وخمسا

الحكم العثماني هو السائد، والعرب خاضعون باسم الدين، ويدعون إلى الحد من هذا الطغيان بالمطالبة بالدستور. ونبه ذلك جانبا من العرب إلى الدستور مرة وإلى سوء حالهم مرة..

وجرى للفرس شبيه بما جرى للأتراك إذ طالبوا بالمشروطية وتردّد في العراق الصدى، وكان في الناس من هو للمشروطية، وفيهم من هو عليها.

والمادة العلمية السائدة هي مادة الدين من فقه وأصول... ويليها- ويتصل بها- النحو والصرف والبلاغة والأدب... وكانت في العراق للشعر نهضة تذكر[1] ثم بدت طلائع التجديد في صياغة الشعر ومضامينه.

وقطعت الشام ومصر شوطاً في الثقافة والصحافة والنشر. وسبقت مصر إلى بدايات من الفكر الجديد صدى للعلم الصرف في أوربة ولما كان ينشر ويذاع في هذه القارة. وكان هذا الفكر ممنوعاً محرّماً في العراق، وتكفي فيه قراءة جريدة مستنداً للتكفير إو الاتهام بما لا يرتضيه المجتمع ولا يقره العرف.

والبلدة هي النجف، وكانت مدينة العلم الديني المنقطعة النظير ثم الأدب والشعر وهي فيها نادرة من النوادر وأعجوبة من الأعاجيب، يعنى أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب. إنهم أدباء كما يتنفس المرء الهواء... ولا تسل- بعد ذلك- عن الكتب المكتبات، والأسر العريقة في العلم والأدب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة، وما يتلى من شعر في الأفراح والأحزان وفي مأتم الحسين بن علي وما يتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس.

إن الشعر في النجف حياة.. وهو لدى أبنائها ولا أسهل منه أو أيسر أو أنه فيها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً، جداً وهزلاً، وهو مجد كما هو مرتزق، وعلامة فارقة لا تكاد تضاهيها فيه بلدة أخرى في العالم العربي. وقد تذكر الحلة- بوجه من الوجوه- ولكن الحلة والنجف تكادان تكونان شيئاً واحداً فالسيد حيدر الحلي في الحلة كما هو في النجف يقرأ

---

[1] ينظر كتاب الدكتور محمد مهدي البصير- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، بغداد، مطبعة المعارف ١٩٤٦.

ويحفظ ويتلي ويترنم به ويعجب ثم أن بين الحلة والنجف وشائج نسب كما هو بينها من وشائج الادب وهناك آل القزويني في الحلة وآل القزويني في النجف...

والأسرة عريقة في علوم الدين والأدب والشعر وقد بلغ علمنا منها النصف الأول من القرن السابع عشر..[1] واذا كانت قد عرفت بآل الجواهري فذلك عن جد قريب هو الشيخ محمد حسن أحد أعلام الفقه في عصره وقد بلغ أن يكون في القرن الثالث عشر مرجعاً دينياً أعلى، وقد ألّف كتاباً جليلاً سماه ((جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للمحقق الحلي)) كان أحد ثلاثة كتب لا يمكن أن يرشح في الاجتهاد إمام ما لم يدرسها، وطار صيت الكتاب حتى عرف به مؤلفه فكان الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.. وقال صاحب الجواهر.. وإذا أنجب أعلاماً كانوا أولاد صاحب الجواهر، وجواهريين، وآل الجواهري، والواحد منهم صاحب الجواهر، وجواهريّاً...

والأسرة العريقة الماجدة مشتبكة العروق بأسر عريقة ماجدة: آل كاشف الغطاء، آل بحر العلوم الطباطبائي، وآل القزويني، وآل الحبوبي.. ثم لم تلبث أن اشتبكت بقبيلة زبيد.

حاز أولاد الشيخ صاحب الجواهر- وأحفاده- منزلة سامية في العلم الديني والأدب والمجتمع، وإذ تصدر بعضهم للتدريس وبلغ من الفقه مبلغاً وإذ غلب على بعضهم الأدب وعرف به فإن عبد علي منهم اختلف كثيراً عن الآخرين. ولم تؤثر فيه البيئة فينكبّ على العلم والأدب ويكون له فيهما شيء من الأشياء.. وانما أثرت فيما يكون شاذاً فيها حتى عاد مثل هذا الشاذ مألوفاً، ومن هذا المألوف أن ينشأ من أبناء العلماء أولاد ((مدللون)) يستغلون ما عليه آباؤهم من مكانة وجاه ومال فيبتعدون عن جوّهم سلوكاً، فيميلون إلى الدعة والراحة والأنس، وهؤلاء من الوضوح في المجتمع بحيث تسمى فئتهم: الأغايون (الأغوات).

---

[1] ماضي النجف وحاضرها ج٢ ص٩٩- ١٣٧ آل الجواهري، وفيه ص٩٩: ((وكان لابائها- الاسرة- في النجف ذكر.. في أوائل القرن الثاني عشر فان جدها الأعلى عبد الرحيم الشريف الموصوف بالكبير النجفي كتب له بعض تلاميذه شعراً سنة ١١٤٩)).

وهكذا كان عبد علي بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر مكتفياً بأنه ابن الشيخ، ويحقق عن طريق ذلك كثيراً مما تصبو اليه النفس دنيويا من متع بها في ذلك الأسفار خارج العراق وزرع الزوجات هنا وهناك.

تزوج عبد علي- ويسمى الشيخ عبد علي أيضاً- صيته بنت الشيخ علي بن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء[1]. وأم صيته هذه من بيت سمر مد من قبيلة زبيد في أطراف الحلة زوجها آلها الشيخ علي كاشف الغطاء إكراماً لمقامه الديني وكانت صيته ثمرة لهذا الزواج وما إن اكتملت البنت حتى عرفت بشخصيتها القوية وحكمتها وذكائها وحنكتها ورأيها ورزانتها.

وما إن دخلت صيته بيت الشيخ عبد علي حتى احتلت المكانة اللائقة بها وتعدت سمعتها الطيبة حدود البيت والأسرة... إلى البلدة كلها وإلى ما هو أبعد من ذلك.

كان الشيخ عبد علي يسكن محلة المشراق من النجف على حدود محلة العمارة حتى إن سرداب البيت لينفذ إلى هذه المحلة الثانية... ولم يرزق من الذكور إلاّ واحداً جاء الدنيا عام ١٢٨١[2] (=حوالي ١٨٦٤م) أسماه عبد الحسين وبدأ يتعلم ومال إلى العلم والأدب والشعر- على خلاف من أبيه- فقد درس على أفاضل علماء عصره واختلف الى أعلى الحلقات في الأصول والفقه حتى حقق مبكرا مكانة مرموقة، ويكفي أن يقول فيه- وهو في الثالثة والعشرين من عمره- شاعر عصره الكبير السيد حيدر الحلي[3] :

فـات الشـيوخ يافعـاً وسـادها ... نـدب ثنـت لـه العـلى وسـادها

ما أظلمـت في الـدين مـن معضـلة ... إلا جـلا بفكـره سـوادها

---

[1] وتزوج القزويني- في الحلة- أختها وانجبت له السيد محمد علي فهذه جدة السيد جعفر كما كانت تلك جدة مهدي.

[2] كذا في شعراء الغري ج٥، وفي ماضي النجف وحاضرها ج١ ص١١٢ ((ولد سنة ١٢٨٢ وقبل ١٢٨٦)).

[3] ينظر عن السيد حيدر الحلي، نهضة العراق الأدبية للدكتور البصير، شعراء الحلة للخاقاني، البابليات لليعقوبي..

سينتضـــي ديـن الهـدى مـن فكـره صــوارماً مــا ســكنت أغمادهــا[1]

وكأنه إذ وصل بالفقه سره بجده صاحب الجواهر وصل بأبيه عبد علي سره الآخر، فلقد ((كان الى جنب علمه الجم وأدبه الغزير وفضله المعروف، فكهاً ظريفاً لا تفوته النكتة ولا تغرب عن طبيعته الظرافة المستملحة، وربما يسرف أحيانا اذا انطلقت نفسه فيبدع في النكتة إلى حد يتجاوز حدود القسوة. وإلى جانب ذلك يتمتع بجرأة ومغامرة مشفوعة بلباقة وحسن بيان...))[2].

وليس هذا كل شيء... فقد كان معروفاً بقوة الشخصية والحدّة في المزاج، غضوباً تدخل الحدة منه دائرة الغضب الرهيب، ويصبح طبيعياً أن تكون الجرأة من مستلزمات هذا المزاج.

وكان أنوفاً لدرجة الازعاج، كريماً لدرجة ألّا يبالي بما يصيب بيته إذ يبذخ بأقصى ما يملك كمن يلعب بنفسه، فمن انه يزين هذا البيت بأغلى الطنافس المحوكة على قدر مساحته بما في ذلك العتبات الى أنه لا يملك الخبز وعشاء ليلته.

ثم إنه شاعر مجيد ((رقيق الشعر)) اشتهرت له قصائد في حينها... ولكن ميله إلى الفقه كان أعم وأغلب...

تزوج فاطمة بنت الشيخ شريف آل كاشف الغطاء- وكان يكبرها بأكثر من عشر سنين- ورزق ولداً سماه عبد العزيز ثم رزق آخر- بعد سنين سماه مهدي[3] وكان كلما تقدم في مدارج

---

[1] جاء في شعراء الغري للخاقاني ٥/ ١٦٦: ((ويصور لنا السيد حيدر الحلي مقامه وهو شاب لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره فينبري الى مدحه والثناء عليه برسالة قدمها بأبيات وقد أثبتها صاحب الحصون المنيعة.. وهي.. ولا شك في أن مثل السيد حيدر وهو شيخ الأدب آنذاك يخاطب شاباً في بداية العقد ليدل على منتهى مقام المترجم له ومكانته.

[2] شعراء الغري ٥/ ١٦٥.

[3] هو شاعرنا صاحب هذا الديوان واذ عرف بمحمد مهدي فعلى عادة جارية و((خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد)).

العلم الديني قل اهتمامه بالشعر وازداد انصرافاً إلى الفقه، وبلغ في ذلك أن تصدر للتدريس متخذاً من بيته مدرسة يؤمّها الطلبة للإفادة. ولم يلبث أن هجر الشعر كأنه يقتدي في ذلك بالسيد محمد سعيد الحبوبي- العالم الشاعر الكبير في زمانه.

وقد أسف لهجره الشعر معاصروه من محبي الأدب حتى قال قائلهم: ((... هو.. ما شئت من غزارة فضل وعلم وكرم وحلم. وسجاحة أخلاق وطيب أعراق. وعزة نفس وعلوّ همة. وله من الأدب وملكة الإنشاء في النظم والنثر حظ وافر وكعب عال. وكان ينظم في أيام شبيبته من القصائد الغرر ما يطرب سمع الدهر... ولكنه منذ أمد غير قريب قد طلق خرائد الأشعار طلاقاً باتاً... وترك في نفس الأيام حسرة أن يسمع له كلمة أو يحس له بنغمة...))[1].

ينشأ مهدي في حجر أمه ورعاية والده... وعناية ((عبدة)) للأسرة اسمها (تفاحة) وهي امرأة على الغاية من الإخلاص للبيت عموماً ولهذا الوافد الجديد خصوصاً تلاعبه وتداعبه وتؤانسه وهو منسجم وإياها متجاوب معها... وبدا كل شيء مهيأ إلى أن ينمو الوليد طبيعياً لا يعكر صفوه معكر، ولا يعود مستغرباً أن تظهر عليه سمات المرح وتلوح علامات الصفاء، على الرغم مما تعرض له من جدري أو من سقوط من على صندوق مرتفع أدى إلى كسر يده وتجبيرها وكسرها مرة ثانية لإصلاح التجبير الأول، وسقوطه في الحوض العميق الذي يتوسط الحوش وكاد يموت لولا أن ألقت الوالدة بنفسها عليه فأخرجته من القعر.

ولكنه إذا نجا وحاطته عناية الأسرة عاد إلى صفائه.

وهكذا كان... وامتلك الطفل عالم بيته، يحتوي الكائن ويفتقد الفقيد، ودخل كل شيء في ذاكرته يتفاعل وإياه... ولم يكن قد اجتاز عامه الثاني عندما توفي جدُّه علي في إحدى حجر بيته بالمشراق، فكان موسّداً والناس من حوله يبكون والقهوة المرة تدور على الوافدين[2]...

وبعد سنتين أو ثلاث من وفاة الجد نقض الشيخ عبد الحسين البيت القديم وأقام مقامه بيتاً جديداً وإذ اكتمل البناء أو كاد وإذ أحضر القير وقير الحوض نفذت رائحته إلى نفس

---

[1] كتاب سحر بابل هامش ص٢٥٣، شعراء الغري ٥/ ١٦٦.

[2] اذ رواها لي الجواهري قال انه يمكن ان يكون ابن أربع سنين.

الطفل- وكان إذ ذاك في الرابعة أو الخامسة- وعمل له- من باب العناية والدلال- مگواراً صغيراً... واذ خرجت الوالدة في زيارة إلى بيت أخيها اصطحبت الطفل معها وصحب الطفل معه المگوار الصغير، ولكن ماذا يفعل بالمگوار؟ ماذا يفعل؟ لقد رأى في الشارع ابن ((عمه)) حسين (وكان عمره ٢٠ سنة) جالساً فما كان منه إلاّ أن جرب به المگوار فضربه فانتفض هذا وكان ((شقاوة))، وهمَّ بضرب الطفل إلاّ أن الطفل لاذ بالعباءة أو أن الأم أسرعت فلفته بعباءتها، ولم يثنِ الملاذ الفتى المعتدى عليه وكاد أن يهجم وهنا لم تجد الأمُّ بداً- لكي تنقذ ابنها من شر مستطير- من أن تكشف عن وجهها فعرفها فانسحب...

وكان الطفل يجري مع أمه في أحاديث... وكان من ذلك أن ذكرها بوفاة جده... كان ممدداً في الغرفة الفلانية من المبنى القديم والزاوية الفلانية منها والناس يبكون والقهوة تدور... فما كان من الأم إلاّ أنْ ((شهقت)) مستغربة من هذه الذاكرة العجيبة: لقد كنت آنذاك على صدري- أي أنه لمّا يُنْهِ عامه الثاني.

وكان من شأن (تفاحة) معه أن تقصَّ عليه الحكايات وتروي الأساطير، وقد يكون في هذه الحكايات ما يراد لذاته وينقل كما ورثته، ولكن من هذه الحكايات ما كان ابن واقعها المر، وليس المقصود بالواقع المر حياتها عند آل الجواهري، فهذا أمر غير وارد، إنها راضية عنهم مخلصة لهم... وإنما الواقع المرّ الذي يعيشه العبيد أنفسهم، واقع تفاحة- واحدة منهم- إذ ترى نفسها غريبة، وإذ تتذكر كيف يباعون ويشرون، وكيف يفارق الأطفال منهم آباءهم فيشملها التمزق فتمتزج الحكاية بالدموع.

يصعب أن يمرّ هذا من دون أن يترك أثراً.. من الرقّة والعطف وربما الأسى والحزن وقد بلغ الطفل الرابعة والخامسة وزاد.

وإذ بلغ الطفل الخامسة وتعداها قليلاً كان الحادث الكبير في بيته، ألا وهو وفاة جدته- أم والده: (صيته)، وقد كانت هذه الوفاة حادثاً جللاً؛ لأنّ صيته لم تكن كباقي النساء لما هي عليه من قوة الشخصية وسداد في الرأي حتى غلب اسمها على البيت فلم يسمه الناس بيت الشيخ عبد الحسين وإنما سموه بيت صيته... ثم إنها والدة فلان (شيخ عباس)، لقد أحدث موتها في البلد ما لم يحدث فيه مثله لامرأة قبلها- أو بعدها- وقد أقيمت لها الفاتحة، وكان

نادراً ما تقام الفاتحة لامرأة، بل لم تقم فاتحة لامرأة غيرها. كانت الفاتحة فخمة جداً حتى لقد فرشت الشوارع وحضر من المعزين السيد الحبوبي الكبير، ومثل هذا لا يكون، ثم تسابق الشعراء إلى رثائها- وهذا لا يكون أيضاً.

انتظم الحفل واحتشد القوم ولم تكن العادة السائدة أن يقرأ الشعراء قصائدهم وإنّما كان يقوم بالقراءة متخصصون بهذه المهمة، كان شيخهم وأعلاهم شأناً وأرخمهم صوتاً الشيخ محمد شريف- بلبل الفرات، وإذا أنشد سحر... وقد تولى الإنشاد في هذه الفاتحة وحسبك دليلاً على مكانة الفقيد أن كان بين الشعراء المتبارين الشيخ جواد الشبيبي والسيد عبد المطلب الحلي.

صعد الشيخ شريف المنبر وشرع يقرأ... وكانت العادة أن يكرم القارىء في أثناء قيامه بمهمته وإذ شرع يقرأ تسابق الوجوه في الإكرام: قماش وساعات، من أفخر القماش (طوك زرى) وأغلى الساعات... وبلغت الطوق أعلى درج من درجات المنبر.

ربما كان مهدي يسمع بالشعر، ولابد من أنه سمع.. ولكنه لم ير كاليوم مجداً للشعر والشعراء... أكابر البلدة يحضرون ويهتزون ويستعيدون ويثيبون، الشعر، القصيدة، البيت، جواد الشبيبي، عبد المطلب الحلي... فلان وفلان.. الشيخ شريف.. صور متعددة يضمها إطار عام لابد من أن تهز النفس وتترك الأثر.. إذاً هذا هو الشعر.. وهؤلاء هم الشعراء.. وهذا الجيد منه.. وهذا وقعه في المجتمع.. أجمل الواقع وأسمى المكانة.. وكل شيء دونه.. ثم منظر المنشد، ويصعب ألاّ يثير الفضول والدهشة والإعجاب.. وإذا أمكن أن تضعف صورة من هذه الصور فإنَّ صورة المنبر مما لا يمكن أن تفقد أهميتها.

ويزيد في الأمر أمراً أنَّ الوالد كان يريد لابنه أن يقف على هذه الامور وأنْ تبلغ من نفسه مبلغاً.

وإذ كانت الوالدة وتفاحة لا تدخران وسعاً في المبالغة بالعناية والحب حتى تستحيل التربية على يديهما دلالاً لايمرّ من دون أن يخلف آثاره.. فإن الوالد- بحكم مزاجه ومفهومه- لا يريد أن يفتح باب الحب على مصراعيه، ولعله لا يريد للأم أن تعلن ما تعلن، فيؤدي هذا الاختلاف إلى الخلاف..

كان الأب يحبّ ابنه حبّاً جمّاً لا يقلُّ عن حبّ الأم وربما بلغ أن زاد على مألوف حبّ الآباء، ومن يدري، فلعله زاد على حبّ الأم نفسها، ولكن أساليب التعبير تختلف بمقدار ما بين الرجل والمرأة من اختلاف، وبمقدار ما تختلف المفهومات التي يفرضها المجتمع. وبلغ من حبّ الأب ابنه أنه لم يكن ليستطيع أن ينام ما لم يكن مهدي إلى جانبه، ولا يخرج إلى سوق أو مجلس إلاّ مهدي معه... ولم تكن تلك الحال مما جرت به سنة وأقَرَّهُ عرف.. لكنها كانت أقوى من الإرادة..

-لماذا؟

-ربما أمكن القول إنّ الأب يرى في هذا الطفل ما لا يراه في غيره من مخايل النباهة فيحرص عليه حرصاً خاصاً كأنه أحس- مبكراً- بأن طفله هذا يختلف عن الآخرين، وأن فيه شيئاً لابد أن يميزه ويجعل منه شيئاً. وربما أضطر الولد إلى الإعلان عن هذا الرأي. فلو حدث للأخ الأكبر عبد العزيز أن ضايق مهدي أو ضربه فإنّ الوالد يسرع إلى تأنيب عبد العزيز: لماذا؟ ألأنه أحسن منك؟

-ماذا يريد له الوالد أن يكون؟

-شيئا وقد يكون في نفسه أن يكون فقيهاً مثله، ولكن المسألة كانت سابقة لأوانها.. المهم هو التعليم والتربية والإعداد العام..

ويمكن أن يتعلم أوليات القراءة في البيت... مستعيناً بأخيه الأكبر وابن عمته علي (الشرقي) وكان قد فقد أباه فأقام معهم في بيتهم برعاية عمه وقد مال إليه مهدي وانجذب إليه وأحبه.

ثم يمكن إيداعه عند ((المله أم جاسم)) تقرئه أوائل السور من جزء عم... وكان بيتها في درب ضيق (دربونه) له ((طارمه)) يجتمع فيها الصناع (الأولاد- التلاميذ)، وكان جاسم- أو قاسم- مع هؤلاء الأولاد، وقد لبس العمامة قبل الأوان وصار شيخ قاسم، والأولاد يتندرون معه: أن قاسم ((صاير شيخ))، ((شيخي قاسم))... ولكن قاسم بعيد عن هذا، إنّه يريد حقّه من اللعب... فماذا يفعل؟ كانت إحدى لعبه المفضلة أن يجمع الكراسي ويركب عليها ويدعوهم ويتقدمهم: راح نحج لمكة.

ويعود الطفل إلى البيت فيتلقفه الأخ وابن العمة يستقرئانه ويقرئانه.. وإذ اجتاز مرحلة ((الملة)) أدخل ((الكتاب)).

وهذه ليست شيئاً- على قساوتها في الضغط على الطفولة- إلى جوار متطلبات الوالد من ملازمة ومصاحبة في المجالس الليلية التي يعقدها العلماء يتبادلون فيها النظر والرأي والجدل الشديد الذي يبلغ حد الفراغ وكان ذلك سمرهم، فما معنى وجود طفل بينهم.. كانت مسائل العبادة والخالق والوضوء مشاغلهم الخاصة ليلاً ونهاراً فما علاقة ذلك بالأطفال..!!

لم يكن الوالد ليدرك ذلك، ولم يرد أن يدرك حرصاً على إعداد ولده وحباً خارقاً له. رضي الولد بعد ذلك أم لم يرض، لأن الأب هو الذي يعرف الأمور وهو الذي يجب أن يصرف أعنتها، وليس لأحد أن يعترض، والويل للوالدة إنْ تذمرت.. وللولد إنْ خرج على ذلك.. إنّ الوالد هو السيد وما على الآخرين إلاّ السمع والطاعة.

لقد كتب على هذا الطفل أن يعيش كالكبار- وأي كبار؟- من رجال الدين الكبار ذوي العمائم البيض والسود الكبيرة واللحى البيض والسود التي تملأ الصدور وتخفي الوجوه. وعليه أن يكون طفلاً كبيراً شيخاً في سلوكه حركة وكلاماً وسكوتاً.. في عمر والده وكوالده فما يكاد يقل عمر رفاقه في المجلس عن عمر والده، كأن مهدي ولد من غير طفولة، وشاخ قبل أن يترعرع ويشب..

وتطول سهرة المشايخ إلى ما بعد منتصف الليل، والطفل مركون في زاوية، وقد يملّ فينعس وينام دون أن يشعر به أحد لأنّ ما في المجلس من أجواء الجدل والنقاش والمطارحة ما يشغل الكبار عن الصغار...

حتى اذا انفضّ السمر أيقظ الشيخ عبد الحسين ولده الحبيب من نومه المضطرب وعاد به الى البيت... وهنا يستمتع الطفل بامتياز لم يتهيأ لغيره- لو كان يدرك قيمته وكان يفضل اللحم على اللعب- فإذا يبلغ الشيخ عبد الحسين البيت يجد عشاءه مُعَدّاً- وهو أحسن ما في البيت من طعام- وقد عني منه عناية خاصة باللحم...

ويبدأ الشيخان يتعشيان ويحظى مهدي باللقمة الدسمة...

وإذ تتكرر الحال تصبح علامة فارقة وصفة لازمة وأمراً مميزاً..

وكان للوالد مجلس عامر يعقد في الصباح من كل جمعة، ويؤمّه الكبار ذوو الوزن من العلماء والأدباء فيزداد المجلس هيبة ووقاراً.. ويراد من مهدي أن يكون على هذا الوزن، والطلب غير معقول لأنه مخالف لطبيعة الأشياء، وإذا لباه الطفل مرة ومرتين فلا يستطيع أن يلبيه كلّ مرة.. ولا سيما إذا رأى فيه من هو أقرب إليه رفقة وسِنّاً.. أي ابن عمته علي، والقرب هنا مجازى.. هو قرب إذا قيس إلى أبناء الأربعين والخمسين والستين.. وإلاّ فلم يكن على هذا قد اجتاز العشرين وكان مهدي في ست السنين أو سبعها[1].

وإذ يرى مهدي علياً معتماً مشتملاً بعباءته. تعود إليه الألفة البيتية كلها وينسى كل ما لهذه العمائم الكبيرة واللحى الكثة من وزن.. كأن لابد للطفولة من أن تأخذ حقها وللبراءة أن تجد منفذها.. فما يكاد الطفل يرى الشاب حتى يرمي بنفسه عليه ويصيح كما يفعل في الحالات الاعتيادية من ساعات البيت وكما ألف أن يداعب علياً إذا خلا الجو- علي صخلة! علي صخلة!...فيهيج الوالد ويؤنب الطفل فاذا نجح فبها وإلاّ لجأ إلى الملاحقة وأخذه في حضنه وقال: هو علي صخلة ما يخالف.. ولكن.. أنت يسمونك أبو لقمة الدسمة. وقد يذكره الوالد بلقب آخر هو ((العنيبي))؛ ومرد اللقب أنّ الولد كان أعضب- من آثار كسر اليد- فهو لديهم عضيبي، أما بلفظه فهو عنيبي- لخنة كانت فيه يميل بها ببعض الحروف إلى النون.

وإنما كان الطفل يسمّي ابن عمته (علي صخلة) لتاريخ ((بعيد))، فمذ كان رضيعاً جفَّ حليب أمه فأتوا له بسخلة (معزى) ليستعينوا بحليبها على تغذيته.

أجل لابد للطفولة من أن تجد لها مخرجاً وإذا وجدته كان عنيفاً أو غريباً...

وتمر بحياة- الرجل أيام من الاستراحة، فيحدث أن تقصد الأسرة الكوفة- صيفاً أو خريفاً- قريباً من ضفاف الفرات من جهة الجسر وتنزل بيت الحاج مهدي شمسة، وإلى قبالة البيت تسكن أسرة بغدادية مترفة (عصملي) كانت تلتزم (تضمن) جسر الكوفة (اذ كان عبور الجسر بأجرة) وتقيم في الكوفة مواسم معينة، وإذ يخرج الطفل مع أمه يرى بنات الأسرة على آخر ما يكون عليه الترف آنذاك وتكون عليه ((المودة)): العباءات ذات البلابل، والأناقة مع

---

[1] يؤكد الجواهري ان ((علي الشرقي)) يكبره بأربع عشرة سنة.

الجمال، ويتنبه الولد إلى واحدة منهن بوجه خاص فيؤخذ بها... وإذ تعقد علاقة معهم يزداد الولد ولعاً ولا سيما بعد أن رأى أنسها به وحنوها عليه واستلطافها إياه.. كانت تداعبه وتلاعبه ويعجبها منه تكوينه ودهاؤه حتى لتكاد ((تموت عليه)) وتلفه بعباءتها رعاية له.. أمّا هو فيقف منها موقف الجد أي أنه يخرج بالاستلطاف إلى ما هو أبعد منه، إلى الألفة الشديدة، إلى الجزع من المفارقة، إلى ما يشبه الحب كأن العاطفة قد دخلت في الأمر- لا شعورياً- ولو سألته لقال لك إنّه عاشق مغرم- مثل أي عاشق مغرم- عشقتها بكل معنى كلمة العشق... إنه لا يحتمل البعد فيلزم بيتها ملازمة الظل يأكل معهم اذ يأكلون، ويتنزه اذ يتنزهون.. وإنه ليسهر الليل بانتظار الصبح، وإذا حلَّ الصباح بكر في الغدو إليها، وإذا حلّ الظهر عاد إلى بيته وما يكاد ينتهي من الغداء وينام أهله حتى يخف إلى بيت ((الحبيب)) وهي تهش له وتأنس به وتستصحبه معها إذ يخرج أهلها إلى الشواطىء يتنزهون ومعهم السماور وعدة الشاي.

كان يأنس كثيراً.. ولكنه كان يحس بحرج اذ يرى نفسه ضيفاً دائماً عليهم يأكل ويشرب معهم دون أن يؤدي واجباً أو أن يقوم بقسط من المواد وبلغ منه هذا الإحساس مبلغ الخجل. فماذا عساه أن يفعل؟ وأنّى له وهو الصغير؟ فكّر ملياً فرأى أنْ تكون المشاركة بالفحم، أن يقوم هو بإحضار الفحم الذي يحتاج إليه السماور في إعداد الشاي، وكان حصوله على هذا الفحم ميسوراً زد على أنه يهيىء له فرصة المشاركة بالإعداد وإطالة فرصة البقاء قريباً من ((الحبيب)).

وفي ذات يوم إذ نام أهله بعد الغداء أخذ علبة (من ورق أو معدن) وملأها فحماً، ولكنه ما كاد ينتهي من عملية ((السرقة)) هذه حتى دخل البيت خاله الشيخ عبد الرسول في زيارة إلى أخته ولهذا الخال على الطفل هيبة، فماذا يفعل؟ لقد اضطرب أول الأمر ثم اهتدى إلى حيلة يضيع بها الحقيقة وينقذ الموقف: أن أمسكَ بقطعة من الفحم وراح يكتب بها على الحائط كأنّ هذا هو كل ما كان فيه وكأنّه كل ما قصد إليه إذا قصد إلى الفحم ونجح في ذلك، وإذا شرع الخال يتوضأ استعداداً للصلاة انسلَّ الولد ومعه علبة الفحم ميمّماً شطر البيت المقابل.

دامت العلاقة أسبوعين، انتهت مادياً بعودته إلى النجف، ولم تنتهِ معنوياً فقد بقيت الذكرى عميقة، وكان الأسبوعان كالواحة في حياته المجدبة[1].

وأيّ جدب.. وأيّ حرمان.. من أبسط حقوق الطفولة.. فما يلقى ابن سادسة أو سابعة (أو ثامنة) في النجف إذا كان ابن الشيخ عبد الحسين الجواهري؟

-أن يتعلم، يقرأ ويكتب، يرتاد الكتاب.. حتى اذا انتهى النهار كانت الصحبة الاضطرارية الى مجالس العمائم واللحى.. والنوم فيها إن أمكن.

كان قد تعلّم شيئاً، إلاّ أنّ به حاجة الى قراءة أحسن وكتابة أحسن. إنّ خطه لرديء.. وكان في البلدة ((شيخ)) مهيب رهيب يجمع بين البهاء والجمال والقسوة التي ما بعدها قسوة، وقد ذاع صيته في التعليم ولا يكاد يخرج من أبناء الأسر صبي عن دائرته: اسمه: جناب عالي.. يتخذ مقره في الركن الثالث من الدور الأول للصحن... فإليه. وهكذا كان.. وكانت البداية منذ اليوم الأول.. إذ نزل من لدن الشيخ بهذه ((الدرج)) الفظيعة الحلزونية حتى لتأخذ الإنسان الصفرة إذا نظر إليها.. نزل منها لأول مرة فأخذته الصفرة في الدرجات السفلى منها فسقط وأغمي عليه وإذ أفاق وجد نفسه في مجلس السيد جواد الرفيعي (الكليدار، وكان والده من أخصّاء هذا المجلس) وجماعة يرشّون الماء على وجهه، وهو معروف لديهم: انه ابن شيخ عبد الحسين، وكان المجلس قد انفضّ إلاّ قليلاً فأوصلوه إلى البيت وكانت الدنيا مغيمة، فلمّا بلغ البيت وجد أمه تعمل دولمة (من ورق العنب) وقال:

-أين أبي؟

أما تدري، الشيخ ملا كاظم راح (مات).

فخفّ الولد إلى مسجد الهندي حيث كان أبوه ودخل إلاّ أن الهيبة كانت تسود المجلس حملته على العودة إذ رجف وكادت الصفرة أن تأخذه فرجع الى البيت ركضاً وتكرر الأمر في اليومين الآخرين يهمُّ ويدخل ولا يلبث حتى يعود، وكانت العودة في اليوم الثالث ثقيلة عليه لأنه يوم الشعر وهو الذي يحب الشعر والشعراء إلاّ أن جلال المجلس أقوى من طاقته.

---

[1] رواها الجواهري لي في أواخر نيسان ١٩٧٢ وقال: إنّ عمره كان بين ٦ - ٧ سنين، ورواها في تشرين الأول من السنة نفسها فقال: سني لا تتجاوز الثامنة على أي حال.

لقد كان ملا كاظم الخراساني هذا كبيراً جداً ومن العلماء الأعلام الأفذاذ، لُقِّب بأبي الأحرار لأنه ممن دعا إلى المشروطية، ومكانته الدينية سامية، وهو صاحب الكفاية والأصول. ومن تلامذته كبار العلماء كالسيد أبي الحسن والنائيني وكان نظيف اليد سليم القصد لا يستغل الدين للدنيا.

وإذ كان يدعو إلى المشروطية يقف ضده آخرون، في مقدمتهم سيد كاظم اليزدي.. كانت صلة الشيخ عبد الحسين الجواهري بالملا كاظم متينة وكان اسم الملاّ في نفس الصبي ذا وقع خاص هو انعكاس لما يسمع في بيته وخارجه من جلاله وعلمه وأثره.. وإذ عقد مجلس الشعر تبارى الكبار.. وإذ أدركت الصبي الرهبة فإنّ هذه الرهبة لم تمنع من اسم الشعر والشعراء مرة أخرى.. إنّ الشعر أهم ما يذكر في أهم مناسبة- كانت وفاة ملا كاظم يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة سنة ١٢٣٨/ ٢٣ كانون الاول ١٩١٠[١].

وعاد في اليوم التالي إلى جناب عالي- فلا مفرّ من ذلك- وها هو ذا في حضرته، يقرأ ليختم القرآن ويكتب ليتعلم الخط النسخ. وللشيخ بعد ذلك- وكما هو معروف- المكافأة من خلعة وما إليها.

ومضى الصبي في سبيله وهو يرى من قساوة الشيخ ويسمع ما يرعب، واذا صفا الجو عكره هذا الشيخ الجبار بسبب وبغير سبب، فإذا كان سبب كان العقاب أشد مما يقتضي، وإذا لم يكن اقتحمه الشيخ على الأولاد اقتحاماً وأقحمه إقحاماً، ولديه في صندوق خاص من القراصات من كل نوع ومن أمثال العقارب والأفاعي.. يرسل على الولد منهم ويستدنيه على غير سبب ومن دون ما إثم، فيفتح له الصندوق الرهيب فيرعبه ثم يطرده عن وجهه. وتبقى الصورة البشعة المخيفة تقضّ مضاجع الأولاد، أمّا الشيخ نفسه فقد حقق لنفسه بذلك هيبته فيهم. ولابد من أن الشيخ كان يرى في الإرهاب عموماً، وإذ يسدّ باب الحجرة ويحمل عصاه ويهجم ضرباً على الأولاد أو أن يرعبهم بالصندوق خصوصاً وسيلة ناجحة

---

[١] أحسن الوديعة لمحمد مهدي الموسوي الكاظمي ط٢ ج١/ ١٥٢ ((..قبل طلوع الشمس بساعة ودفنت جثته في الساعة التاسعة من اليوم المذكور في مقبرة الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي)).

في التربية والتعليم، ولابد من أن المجتمع كان يقرّه عليها لأنّ الوالد كان اذا ذهب بابنه الى الشيخ قال له: لك اللحم ولي الجلد والعظم.

وفي ذات يوم ولسبب لابد أن يكون تافهاً كالتأخر قليلاً او لمكالمة جار، اشتد أمر بجناب عالي فثارت ثائرته على مهدي وكان لابد للشيخ من أن يظهر جبروته فأخذ يلاحق هذا الشيطان الضئيل وحمل حزمة من العصى وخف يركض وراء الطفل، والطفل يركض ويدور، وكان الموقف رهيباً وخوف الطفل لاحدّ له ولا يمكن تقديره. تصور أن جناب عالي الأسد الضرغام، أضخم شخصية جبارة في حياة هذا الطفل، يحمل حزمة من العصي ويركض وراءه، وراءه. يالسوء المصير! وماذا يمكن أن يعمل طفل ضئيل لا حول له ولا قوة؟ وحيد، فريد، طريد..؟ لقد ضاقت به الحال وسدت بوجهه السبل ولم يعد بمستطاع أذكى الأذكياء أن يفكر في طريق للخلاص من الشدة الآخذة بالخناق. وإذا خلص امرؤ من مثلها فلابد من أن يكون في تركيبه شيء خاص وإحساس خاص. وهكذا حدث ما لا يدور بخلد.

كان لجناب عالي حِبُّ ماء عزيز جداً عليه، ولكنه كان فارغاً لأن الفصل شتاء.. وبوحي من الغريزة في الدفاع عن النفس تجمع الطفل على نفسه وقفز ورمى بجرمه وسط هذا الحب. وهنا عاوده شعور بالسلامة، لأنه يعلم علو مكانة الحب من نفس الشيخ، وأنّ الشيخ لا يمكن أن يضحي به أو أن يصبر إذ يمسه سوء..

انتصب الشيخ بجبروته المعهود يتهدد ويتوعد ويلوح بحزمة العصي، ويذكر بصندوق العقارب والأفاعي... والقراصات.. وكل شيء، ولكن الصبي كان أدهى منه وأملك لمصير غيره: بقي مقيماً في الحِب لأنه يعلم أن جناب عالي لا يضحي بالحب مهما يكن الأمر.. وهكذا كان، فانه لما يئس من كل حيلة أقسم للطفل أن اخرج وأنت آمن . والناس كلهم يعلمون، الأطفال قبل الكبار، أن جناب عالي إذا أقسم فلا يحنث، وأنه إن أعطى أماناً أعطاه كاملاً، وإن عفا عفا، فطابت النفس الفزعة وهبطت من الحِبّ في هدوء في طيه خيلاء البطل المنتصر الذي يعرف جيداً وقع انتصاره في نفوس زملائه ودوّى هذا الانتصار في أرجاء البلد.

عادت المياه الى مجاريها، وعاد جناب عالي إلى مجلسه الوطيد.. وسارت الأيام طبيعية

يعكرها بين حين وحين هذا الشيخ الجبار.. ويستمّر مهدي يقرأ ويكتب على ((التنكة)) ثم على الورق نسخاً..

.. وإذ يحين وقت الغذاء من كل يوم يخرج ((الصناع)) أمتعتهم مما أعدّوه على اختلاف في النوعية تبعاً للمستوى الاقتصادي لأسرهم، ولجناب عالي أنْ يتخير الأفخر الأفخر من هذه الأكال يجمعه ويرسل به إلى بيته.. مع عدد يتخيرهم من أحاسن الأولاد وآدبهم..

يدعوهم إليه ويجتمع بهم على وجه الاختصاص ويعلمهم نشيداً خاصاً ويشرع في حديث عن بيته: إنه بيت مخيف تسكنه الجن، فإذا بلغتموه قفوا منه موقف التقديس وتكتفوا واقرأوا النشيد فإذا فتح الباب قدموا الزاد دون أن ترفعوا أنظاركم إلى من يأخذه منكم..

وينفِّذ الأولاد الوصايا على أحسن ما يكون- ولم يكونوا كلهم صغاراً ففيهم من هو في سن المراهقة- لخوفهم من جناب عالي ولتصديقهم كلامه ولسذاجتهم.

وفي ذات يوم اختير مهدي عضواً في هذه المهمة.. فسمع وصدق وسار.. وأنشد، حتى إذا فتح الباب لم يملك عينيه من أن تمتدا (أخذ زركه) إلى ما انفتح الباب عنه، ولم يكن ذلك عن قصد، وإذا كان قصد فهو عصيان الأوامر المتركب في النفس والميل إلى خرق القاعدة الذي ولدته أو نمته كثرة القواعد.. فماذا رأى؟ الغاية من الجمال، فتاة ، وردة، كفلعة القمر، ففهم السر. وظل يختلس النظر كلما فتح الباب، وربما كانت الفتاة الحبيسة نفسها تحب أن تتلاقى النظرات.

ولم تطل إقامة الصبي- بعد هذا- لدى جناب عالي فلقد بدأ يقترب من إنهاء التعلم، ختم القرآن، وأتقن خط النسخ. أمّا ختم القرآن فممكن، فلقد بدأ في ذلك مبكراً جداً وحفظ منه الكثير الذي سيبقى في الحافظة، أمّا كيف تحسن الخط، فلم يتحسن لدى التحقيق وإنما هي حيلة لجأ اليها جناب عالي وكذبة تقبلها الولد خشية ورهبة، وإلا فقد بقى الخط رديئاً متعرجاً، وكان الشيخ لم ير دليلاً في الطفل على تقدم يضمن له الخلعة المرتقبة من والده، أو أنه لو ترك الأمر على سجيته طالت المسألة وامتد الزمن.. فعمل على طريقة من الغش والتزوير ألفها وانتفع بثمرتها- دون أن يفكر بما يمكن ان يحمل بها الأطفال من صنوف الكذب.

أخذ جناب عالي يقدم لمهدي صفحة مكتوبة بأحسن الخطوط ويضع عليها ورقاً أبيض يشف عما تحته ويمسك الولد القلم ليخط على الورق الأبيض ما تحته وإذا بخطه جيد جداً. ولكي تكتمل اللعبة وتأخذ مظهرها الخداع كان يطلب إلى الولد أن يبتعد عنه ويكتب منفرداً.. ثم يعود إليه بالخط- أي بالنقش- فيستحسنه حتى إذا قويت يد الولد على النقش بعثَ بآخر أنموذج من عمله إلى الوالد: أن هذا خط ابنك. انظر كم هو جميل؟! ولا يجد الوالد- عند ذلك- بداً من إشعار جناب عالي بالتصديق وأن الخلعة (عباءة صيفية جديدة) بانتظاره. يقولها وهو يعرف جيداً رداءة خط ولده.. يقولها وهو يضحك كأن لابد له من التسليم.

ويخف جناب عالي إلى بيت الشيخ عبد الحسين الجواهري، وكان الشيخ عبد الحسين في الحوش فيسلمها إياه.. والولد ينظر من على السطح..

كان مهدي في نحو الثانية عشرة من عمره.. به على ما كان يتزوّده من مواد التعلم في البيت، حاجة إلى أشياء أكثر وأكثر.. فأدخله والده المدرسة العلوية استعداداً لإدخاله الرشدية وقد لبث فيها عاماً وبعض عام ثم تركها بالحسنى، ولو لم يتركها اختياراً لتركها إجباراً، فما كان بالولد المعد للدراسة المنهجية أو للتدرج الوظيفي..

ولكن لابد للولد من أن يتعلم علوم قومه ويستمر في التعلم. وليست مواد التعلم غريبة على مهدي، فبيته مدرسة، والمجالس التي يرتادها بصحبة والده مدرسة، وبلدته كلها مدرسة للقراءة والكتابة كما للفقه والأصول، كما للغة والبلاغة... أمّا الشعر فتحصيل حاصل.. فمذ يسمع الكلمات الأولى يسمع معها- وقبلها- الشعر والشعراء والأدب والأدباء ويسير مع هذه الكلمات السحرية الأخّاذة يداً بيد وقلباً بقلب. في البيت والشعر يذكر بقدر ما يذكر أي شيء يومي من لحم وماء لحم وكراث واجل مما يذكر أي شيء، فقد طرق الباب فلان وهو شاعر، وجاءنا فلان وهو شاعر.. والأب شاعر معدود. وانتظم المجلس وتلى الشعر، وكانت المطاردة والتقفية، وكان الشعر جداً كما هو لعب، وماء وغذاء كما هو ماء وغذاء ثم ما الماء والغذاء ازاء هذا الإكبار وهذا الترنم والترنح والإنشاد واستعادة الإنشاد وإكرام الناظم والمنشد!

وهذه مكتبة، وهذه كتب، وهذه دواوين. فما هذه؟ لابد من أنها تعني أشياء كثيرة تدل عليها هذه العناية بها والاهتمام بشأنها وحديث الكبار عنها وقراءتهم فيها وحرصهم عليها.

وهي، كما هي عند الوالد، هي كذلك- وربما أحسن- عند الأخوال، وعند آل كاشف الغطاء بوجه خاص...

هذه كتب الوالد.. جواهر الكلام- وله معنى خاص في نفوس الأسرة، كشف الغطاء وله معنى مناظر.. اللمعة، كافي الكليني.. المعجمات.. نهج البلاغة وكل ما يعد في الكتب القديمة.

ثم هذا الأخ الأكبر عبد العزيز وابن العمة الذي يعيش معهم في بيتهم علي الشرقي.. يقرآن ويكتبان ويقتنيان الكتب، ويسمع أن هذه الكتب غير تلك الكتب، فيها أمالي القالي والبيان والتبيين ومؤلفات الجاحظ الأخرى، والأغاني. ديوان المتنبي، البحتري، أبي تمام، الرضي، صفي الدين الحلي مما يعد في الكتب الحديثة.. وما تكاد تدخل العراق حتى تتجه رأساً إلى النجف فتتلقفها الأيدي هي وكتابات أكثر حداثة كشعر شوقي وحافظ وإيليا أبي ماضي.. وفيها ما يناقض الفكر النجفي المناقضة كلها وهو ردّ فعل له تبناه الذين ضاقوا بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الأقصى من ردّ فعل: مطبوعات الاستانة، والهلال، والمقتطف، وشبلي شميل، والريحاني.. ومجلات وجرائد مما يعد حراماً.. وكفراً وإلحاداً.. وكان يلتقي مع الأخ وابن العمة على صعيد واحد من الفكر والاهتمام والحداثة: محمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي.. ولا ينظر الآخرون الى هؤلاء نظرة ارتياح بل نظرة ريبة وسخرية واحتقار- أحياناً. وكانوا يرمونهم بأنهم متنورون أو طبيعيون.

فما معنى هذا؟ وما مكتبة؟ وما ديوان؟ وما.. وما؟؟ انها لغير مهدي من الاطفال ألغاز في ألغاز تثقل الدماغ وقد تفجره، ولكن الامر اذا جاء طبيعياً وتنفسه الطفل وتمثله و ((عاشة)) وشب عليه بدء كل شيء فيه طبيعياً احجية، وهكذا كانت لمهدي ميزة لم تتهيأ لغيره ممن لم يسمع جيداً بهذه، ولو سمع لتصوره – من حلاوة ما يدور به على الالسن – الشمس او القمر او العيد أو أي شيء جميل..

ليس في هذا البلد صعوبة في قول الشعر، فكل من اراده قاله، قليل من النحو والأدب

وكثير من الحفظ والرواية ويبدأ.. فينظم الأبيات والمقطوعات والقصيدة.. ويجد من يستمع اليه ويصلح من شأنه ويشجعه ويعينه ويستثيره بوجه أو اخر من وجوه الحسد.. والغيرة.. والسخرية..

نعم هذا شاعر شاعر، أذا ذكر لم تر غير علامات الاعتراف، وهذا مثله يزدحم الناس لسماعه.. واذا عقد مجلس للفرح جرت الاشعار كما تجري الاغاني اليومية بل انها هي وحدها الاغاني اليومية، واذا اقيم مأتم تبارى الشعراء كأنهم في حلبة، وينفض الحشد وحديثه ذلك اليوم وذلك الاسبوع قصيدة فلان تجويد فلان، ولا يغير مجرى الحديث الا شعر جديد يفرح جديد او حزن جديد وكثيراً ما ذكر هذا بذاك وعقدت المقابلة والمقارنة بين امس واليوم وجرى النقاش في الحسن والأحسن..

ومهدي يسمع، ولم يتهيأ لغيره من الاستماع ما تهيأ له، واذا سمع الاخرون مرة سمع هو مرات، واذا سمعوا بعد ان كبروا وشبوا، سمع هو وهو طفل بكل ما للطفولة من معنى.. في بيته قبل ان يقام المجلس، وفي المجلس نفسه، وفي بيته مرة اخرى او في اي بيت من هذه البيوت التي تربطه بها روابط الخؤولة، وتربط والده روابط الصداقة والمعرفة والادب زيادة على روابط النسب..

ان النجف في أعلى ما تملك من سمات المجد في الدين والادب وفيها لايطمع كبار بالاقتراب منه كانت في متناول هذا الطفل وملك يديه..

الأب شاعر وفي الأسرة شعراء، وفي اصدقاء الأسرة، وفي البلدة التي تتسنم ذراها وفي البلدة المجاروة التي لم تكن غريبة عنها أدباً ونسباً.. وفي كل مكان شعراء، وشعراء القديم كالجديد، الجاهلي باصحاب المعلقات حي كأن لم تمض عليه اربعة عشر او خمسة عشر قرناً، والعباسي بأبي نواسه وبشارة.. ومهيارة؟ من قال أنه عباسي وليس نجفياً؟ ان الشعراء أحياء يأكلون ويشربون كما يأكل ويشرب أي من هؤلاء الذين يراهم الصبي ليل نهار، وانهم من الحضور الدئم بحيث لم يشعر لحظة أن به حاجة الى أن يسأل عنهم وأين هم؟ ولم لا يراهم شخصياً؟

ثم تجري في البيت والمجالس.. مسائل ومناقشات في أمور من شؤون الدين والفقه لا يفقه الطفل او الصبي منها شيئاً ولا تهمه في شيء أن أحسن موقف لديه إزاءها: النعاس ثم النوم.. ولكنها على أي حال تذكر أمامه كما يذكر أي عمل يومي أنها الاعمال اليومية لأسرته وأقاربه ومن يلتقي بهم من الناس..

- وماذا يريد الوالد لهذا الصبي أن يكون؟
- مهما يرد فانه لا يمكن ان يخرج عن الحد المحدد انه لايمكن أن يفكر بالصناعة او الزراعة او التجارة.. لأن هذه أمور لا صلة لها بحياته اليومية، وانه أذ ينظر الى نفسه فيرى ما خدمه به العلم والأدب فيزداد اعتزازاً بالعلم والأدب، ثم ينظر فيرى ما ادى به الكرم حد التبذير من ضيق فيوغل بالكرم حد التبذير..

هذا هو الاب

فماذا يمكن ان يطلب أب من هذا النمط لابنه أن يكون؟ انه يحب ابنه حباً جماً وقد نشأ هذا الابن في كنف أم رائعة ذات عقل في التصرف ومزاج في التحمل ومكانة في الأسرة.. تحبه حباً جماً.. وتمزج له الحنان باللبن وتربط ذاكرته الطرية بها وبما يمسّه وهو على ثديها.

أيريد له أن يكون رجل دين، فربما يعود الشيخ صاحب الجواهر في نفسه أو الشيخ علي أو الشيخ عبد الرسول.. ولا أظنه يطمح به إلى اكثر من ذلك أو الى ان يبذهم، فلقد كانوا في. الغاية ثم أنه على انه منهم، وعلى ما درس ودرس من أمور الدين لم يكن طبقا لمزاجهم وطبقا لمزاج الدين، أن فيه لتمرداً وإسرافاً، وميلاً إلى الشعر وقوله، وأنه لشاعر... وكان- في الأقل- شاعراً، وما زال يعظم الشعراء..

وعلى أي حال.. فما زالت الأمور في أولها، وما مهدي إلاّ طفل وإذا زاد فصبي، وكلّ ما في أمره انه يجب له ان يكون على غير ما يكون عليه الأطفال الآخرون.. لأنّ فيه من المخايل ما يميزه ويدل على نباهة خاصة..

وإذا كان قد ختم القرآن وقرأ وكتب.. وأنهى مرحلة جناب عالي وذاق المدرسة فما استساغها.. فلابد من نهج خاص به.. وليكن بعده ما يكون..

وصار المنهج كما رسمه الوالد.. وعبد العزيز وعلي أن يطلب الوالد من الولد أن يحفظ في كل يوم خطبة من نهج البلاغة وقطعة من أمالي القالي وقصيدة من ديوان المتنبي.. ومادة من مواد كتاب سليم صادر في الجغرافية.

يبدأ الصبي يحفظ طول نهاره منتظراً ساعة الامتحان بفارغ الصبر، حتى إذا مضى العصر واقترب المغرب جرى الامتحان: اقرأ.. فيقرأ الشقشقية، وحديث الأعرابي وبناته الثلاث، أو

كم قتيلٍ - كما قتلت - شهيدِ ببياضِ الطلى وورد الخدود

ودوران الأرض.. وينجح في الامتحان ويسمح له بالخروج فيحس بأنه خلق من جديد، فيفر إلى الشارع، لا يدري ماذا يفعل، ولا يلوي على شيء، ولكنه يشعر أنه حبيس قد أطلق، وأن طاقة مكبوتة تريد ان تجد منافذها، ويبعثه ذلك إلى أنْ يتصرّف بغير عقل، يركض ويدور، يدفع هذا ويجر ذاك، يقوم ويقعد كالمجنون.

-وكم يستطيع أن يبقى قريباً من الأتراب يلعب كما يلعبون؟

-قليلاً جداً، فقد نزل الليل وشبع الأولاد لعباً وعادوا إلى منازلهم، أما هو فعليه أن يعود وما كاد يبدأ، يعود وفي قلبه حسرات حبيسة.. وأمامه مصاحبة ثقيلة مع الوالد إلى مجالس الكبار ثم نهار طويل من الحفظ طمعا باستعادة هذا الذي لم يتحقق له من لعب وتنفس.

وتتكرر الحال، وتصبح منهجاً ثابتاً.

ويقتضي المنطق الظاهري أن يكره هذا الولد الأدب جملة وتفصيلاً، ويكفيه عاملاً في الكره أنّه مجبر عليه وأنّه مضيّع فيه عمره الطري، وأنّه ملزم منه بما لا يعرف معناه. وأن هذا الأدب يحول دون أعز شيء في أحلامه: اللعب..

ومع هذا لم يكره الولد الأدب.. فالمرء لا يضيق بما هو مخلوق له، وإذا ضاق من الحال بشيء فبالظرف الذي يفرض هذا الذي يحبه فرضاً على صورة غير معقولة، مما يورث الولد اللدن انحباساً في الطبع وغضباً مكبوتاً وتوتراً في الأعصاب.. وإلاّ فالولد مستمر على الحفظ، متنقل فيه من حسن إلى أحسن وأن اسم الشاعر ليعلو في نظره، ويحتلّ من نفسه ما يحتلّ من نفوس الكبار من عارفي الشعر وعارفي فضله وقدره.وليس صبي مثله بلغ الثانية عشرة أو ما حولها وعلم ما علم وسمع ما سمع بصغير. إنه اختزن في هذه السنوات القليلة

ما لم يتهيأ لغيره في السنوات الكثيرة. وكان حظ الشعر يزداد وأسهمه ترتفع فقد آن الأوان لأن تتوضّح الأمور وتتجلّى المكنونات.ويحتل السيد محمد سعيد الحبوبي المكانة العليا من هذا الميل الشاعري ومن هذا الإكبار للشعراء.. ولا غرو فقد ملأت سمعته الآفاق وله في النجف- على وجه الخصوص- المنزلة التي ما بعدها منزلة، وكان إذ تكون له قصيدة تزحف النجف كلها.والحديث عنه في كل مكان ويأتي الاحترام على رأس كل حديث.. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه في بيت الجواهري، بيت الشيخ عبد الحسين الجواهري على خصوصه.. وإنه في نفس مهدي وأعصابه على الأخص لدرجة خارقة.

((قالت لي والدتي: إنّ السيد مع والدي بالبراني، وطلبت مني أن أصعد الشاي إليهما وأخذت الشاي وبدأت أصعد فرحاً أن أقدّم الشاي إلى الحبوبي، ولكن قبل العتبة الأخيرة رجفت (واضطربت) فسقط الشاي من يدي.

-لم كان ذلك؟

-لأني أعلم أنه شاعر، وإني أقابل لأول مرة الحبوبي الشاعر (وكان هذا السبب هو الأول والأخير فيما حدث لي)[1].

رجعت إلى أمي حزيناً خجلاً.. فصبت الشاي ثانية وأوصلته فرأيت السيد لأول مرة: عمامة سوداء، وشكله الحلو، كان جميلاً.

ويعود إلى درسه أي إلى حفظه من الخطب والشعر ومطالب الأدب.. ويزداد ميلاً أنه ليقرأ ما لم يطلب منه كالبيان والتبيين.. وأدب الكاتب ومقدمة ابن خلدون.. ودواوين الشعراء[2].

---

[1] تنظر مجلة الكلمة، بغداد، العدد الثاني- اذار ١٩٧٢. السنة الرابعة ص٣٥ واذ رواها لي الجواهري في هذه المرة بتاريخ ١٧- ٣- ١٩٧١ قال: ((كنت في العاشرة او الحادية عشر))، ثم رواها بتفصيل اكثر في أواخر نيسان ١٩٧٢ فقال ((... وأنا ابن ١٣ سنة الى ١٤ سنة)).

[2] تنظر مجلة الطريق تشرين ١ سنة ١٩٧٠ مقابلة أجراها غالي شكري وأعاد نشرها في كتابه ((مذكرات ثقافة تحتضر))، بيروت ١٩٧٠.

ويستغلّ الوالد الأمر فيزود ابنه بالكتب، وكان أن اشترى له ديوان الأرّجاني بنصف روبية فأقبل الصبي على القراءة والحفظ اختياراً فالتهمه التهاماً.. وصحبه في نزهاته القريبة إلى المقابر. واذ كان- ذات يوم- وهو في عز حرصه على ديوان الأرّجاني يقرأ ويحفظ ويستعيد على حدود مقبرة آل الشالجي، سقط الكتاب منه في شباك، وإذ سقط ذهب بعيداً في غور المقبرة وظل الولد يدور ويبحث عن طريق إليه، وكاد أن ينزل لو استطاع.فلم يحظ بطائل، فبكى عندها وعاد إلى البيت كسير القلب يبكي ولا يمكن أن تعيده إلى الراحة إلاّ نسخة جديدة من ديوان الأرّجاني. وجاء الوالد فحاول المستحيل في سبيل إسكاته وتهوين الحال، ولكن دون جدوى. لقد دخل الصبي في عالم من العناد لا حد له، وفي معنى من معاني التمرد لا يأبه بهذا الوالد وما يمكن أن يكون لو ثار..

أريد الأرّجاني، أريد ديوان الأرجاني، سقط مني في المقبرة.. وعجز الوالد عن إقناع ولده، وعندها لم ير بداً من النزول على إرادته، ويحضر روبية ويخرج قليلاً ليعود وبيده النسخة المطلوبة وبلغ الولد بذلك الغاية من السرور.

-أكان ذلك كله من أجل الأرجاني وحده؟

-يصعب أن يكون كذلك، ففي مكتبة البيت ومكتبة الأقارب أنواع من الدواوين وقد يكون بينها الأرّجاني نفسه، وإذن، لابد- للمفسر- من إدخال معنى الظفر بالفرصة النادرة لإثبات الذات والإعراب عن التمرد. إنها فرصة مناسبة لابد من أن ينزل بها الآخر على رغبة الولد، فما كان طلبه بالخارج عن طبيعة ما يدعو اليه. إنه لم يطلب أن يلعب في الشارع، ولم يعص أمراً بالنوم أو المصاحبة أو الحفظ انه يريد ديواناً من الشعر، ديواناً فقط ليقرأ فيه ويحفظ منه. وهكذا كان- إن الحالة من الحالات القليلة التي تبدو فيها التمرد في مكانه الطبيعي.

وصار الولد الغريب في الحفظ في بلد الحفظ مثلاً وأعجوبة.. وتبارى الناس في امتحانه، والوالد فخور لا نهاية لفخره فإنه يرى لولده هذا مستقبلاً ليس للآخرين، ويتأكد له- كل يوم- أن في هذا الولد شيئاً ليس لمن سواه.

إنهم يعرفون الحفظ جيداً ويعرفون الكتب جيداً، ولكن الجديد عليهم أن يتولى ذلك عنهم ابن عشر او اثنتي عشرة، وإنه يحقق ما لم يحققوا شيئاً منه- قبله أو بعده- في الأقران وحتى في الأشياخ.

ويستمر الوالد في أخذه معه الى المجالس الليلية ويزيد.. ويحضر هذه المجالس علية القوم ديناً وورعاً وعلماً وادباً وشعراً.. فما محل هذا الصبي من هذه المجالس.. لقد ألفَ وجوه القوم وعمائمهم ولكن ما نفع ذلك له، انه يريد أنْ يلعب مع أقرانه، يريد مجلساً يضم أترابه ليسهل التعارف والتعاطف.. والتنازع أحياناً.. ولكن أين هو من هذا المجلس الوقر المتزمت.. وأين هو اذا أنبسط المجلس وضحك فيتلفت حوله ليرى سببا للضحك فلا يراه- وشتان بين ما يسرّهم ويسرّه.

وعليه أن يبدو في مستواهم وقاراً واتزاناً، وعليه أن يسمع ويسمع.. لأنَّ دوره معهم محدود جداً.. ينتهي مبكراً فإذ يكتمل عقد المجلس ينادي الوالد معجباً: يا مهدي، انهض واقرأ لنا.. فيقف مهدي في غاية الوقار ويردّد بعضاً مما حفظ ذلك اليوم فيزداد الوالد فخراً والمجلس دهشة.. أمّا الولد فنشوته في الخلاص من غضب الوالد أكثر منها في إرضائه.

يفرح الولد مؤقتاً بما حقق ولكنه كان يود أن يسرح جزاء على إحسانه، وأين هو مما يود؟ عليه أن يبقى مع والده حتى يتقدم الليل وينفضّ المجلس، ولا يرى حينئذ وسيلة خيراً من النعاس فالنوم.. ولا تعوّض اللقمة الدسمة التي يختصه بها والده لدى العودة في العشاء عن رغباته المكبوتة وإنْ ميزته هذه اللقمة بنظر الآخرين.

ليس الذي يفعله الوالد طبيعياً ولكنه لم يكن ليفعله بعامل الكره أو بعامل القسوة، لقد كان يفعله بالحب الزائد والإحساس بأنّ هذا الولد غير اعتيادي.

واذا افترضت بوالد من هذا النوع أن يكون والداً ليناً جداً مع ولده غفوراً رحيماً فأنت بعيد عن الصواب والواقع، لأنّ الأمر لم يكن كذلك بل إن علمه بقيمة ولده ليرفع من درجة التشدد في الإعداد، فاذا صحب ذلك حدة في المزاج استحال الحرص غضباً يبلغ أن يكون حماقة، وما على الولد إلاّ أنْ يصبر ويستسلم- على مضض- لأنّه لا يملك غير ذلك، وكان

أن تعلم الاستسلام الثائر وإن كان في مزاجه أنْ يسكت ويسكت في وقت تعجب من سكوته. وذلك دليل اختلال في التوازن لأنه سيجرّ- كما هو واقع- إلى الثورة في غير أوانها..

مهدي طفل، ولابد مِن أن يخطىء أو أن يقصر بواجب، فقد يعجز عن حفظ خطبة أو يتأخر في حفظ قصيدة.. وقد وقد.. فيهيج الوالد ويصيح والولد ساكت، وما له إلاّ السكوت وإن كان أعرف بالعذر. وكان الوالد يتفنن في العقوبة وفي تصريف غضبه. وكان مما ابتكره أنْ طلب مرة- إثر تقصيرٍ ما- إليه أن يصحبه وخرج من البيت وظل يسير ويسير في طول النجف وعرضها والولد ملازم له، وقصده في ذلك إشعاره بالذنب عن طريق إتعابه حتى اذا نكّص (تعب)الوالد ولم ينكّص الولد عادا إلى البيت بعد أن استغرقت العقوبة ساعات طويلة علمت الولد الصبر وكظم الغيظ والاستسلام الموقت ولم تعلمه الخنوع المطلق.

كان الوالد يحتدّ ويبلغ درجة الغضب الرهيب الذي تصل به العيون حد الحمرة، ولا يتورع الغضوب من هذا الطراز.. عن الضرب.

-وما موقف الأم.. الحنون...؟

-قد تسكت مرة... ولكنها لا تسكت في كل المرات.. ولهذا- ومع ما هي عليه من صبر وحكمة- لم يكن البيت هادئاً، ولم يكن الشجار لينقطع بسبب مهدي، لأن الأم تضيق ذرعاً بمعاملة الوالد لهذا الطفل وترى أنه يكلّفه فوق ما يكلَّف به طفل على وجه الأرض في الدرس والمجلس، في الملبس والمأكل، في السلوك والمشي والجلوس، زد على هذه الثورات الطاغية التي تراها بعينها فلا تملك إلاّ أن تقول كلمة أو تتحرك بحركة، وحينئذ ينفجر بركان جديد من شجار عنيف..

وتسأل عن الولد، فتراه منكمشاً على نفسه خائفاً حذراً مترقباً، لا يدري ماذا يفعل، ولا يعلم ماذا ينتظره والنفس تختزن الخوف والمخيله تجمع الصور، حتى إذا أوى إلى فراشه منعته من الغمض أشباح مزعجة تقضه قضاً، وتظل تعاوده ليلة بعد ليلة، ولا ترى الأم والأقارب والجيران من النساء إلا وسيلة وحيدة لإنقاذ هذا الطفل المضطهد المظلوم: التعاويذ والرقى

والحروز والأدعية، وما تكاد تهدأ حال حتى تستيقظ حال، كان هذا مبكراً، وفي السابعة والثامنة على الخصوص، وبعد همة كذلك..

أي ولد هذا سيكون؟ وأية نفس ستتكوّن؟!

قد يكون الولد مدهشاً، وقد تفرض طبيعة الأدب نفسها على كل أمر وتخترق كل حجاب، ولكن نفسه ستكون على الغاية من التعقيد والتناقض، وان التعقيد ليبلغ درجة يبدو معها بساطة..

الولد وديع، ولابد له من أن يكون وديعاً وإن كان الأصل فيه التمرّد أو أنّ التمرّد والوداعة شيء واحد لديه ولكل منهما مقام، وقد يكون في منتهى الوداعة ومنتهى التمرد والتحدي، ولا يمكن أن تعني الوداعة الاستسلام لأنه لو كان مستسلماً في أصله لما لقى ما لقى من ثورة الوالد المحبّ، إن الثورة لا يمكن أن تقع من دون استفزاز وإذا كان وديعاً رغماً عنه فليسلك سلوك المستسلم الهادىء وليحتمل في سبيل ذلك الضيم إلى أقصى حدود حتى لكأنه لم يكن وكأن الأمر طبيعي والسكوت طبيعي، فإذا مرّ السبب ومرت الحال نظر في نفسه فعجب منها وعاتبها وحاسبها ولامها وإذا فات الأوان فلا بأس، فإنَّ نفسه ستكون طوعه لدى أول مناسبة، ستثور، ستتمرد ولا بأس.

ولكن الذي يحدث أنها تثور وتتمرد لغير مناسبة وفي غير الأوان، فكأنها اذ أقسرت على أن تكون وديعة أضاعت طريقها الطبيعي ولم تعد تعرف أين يقع التمرّد وأين يكون الخضوع، وأصبح السبب في سوء التصرف كامنا فيها وليس في دواعي الثورة أو السكوت[1].

كان يخضع للعقاب، وكان يخضع لما يطلب منه في القراءة والحفظ، وكان يصحب الوالد في المجالس، وعرف بالحفظ واشتهر.. فما عاد مجهولا لأحد، ذاك ذاك مهدي، جاء مهدي، مهدي قرأ، مهدي حفظ، وذاع صيته، وتسابق الناس إلى إحراجه مرة بدافع الإعجاب، ومرة بدافع التعجيز وما هم بمستطيعين.

---

[1] قال الجواهري في ((المثقف العربي)) حزيران ١٩٧١ ص ١٣٣ ((انا في حقيقتي أكره العنف، وأشعر أحياناً أن عنفي في غير محله فأشجب نفسي ولكنني لم أستطع إلا أن أكون كذلك، أنا مثل بطل بالزاك في رواية ((الزوج الضائع)): حسن التفكير سيء التصرف، وحين قرأت الرواية قلت هذا أنا..)).

لقد أصبح آية في الحفظ في بلد الحفظ، إنه بلد الحفظ ولكنه لم ير صبياً على هذه الدرجة وها هو ذا- قبل أن يجتاز الثالثة عشرة- يحفظ أربعة الأبيات وخمستها إذا سمعها مرة واحدة كائنة ما كانت تلك الأبيات وما عليك إلاّ أنْ تمتحنه. تحضر أبياتك وتقرأ، وقد تصل إلى السبعة والصبي يعيدها إليك كما سمعها. فتعجب، وتمنحه جائزة، وقد تكون هذه الجائزة قد وضعت مقدّماً على سبيل المراهنة.

وفي ذات يوم بلغت اللعبة حدّاً مخيفاً وبلغ التحدي درجة عنيفة، فقد تقدم أديب شاب من بعض ((مشبك العروق)) في الأسرة هو السيد علي الجصاني، فأخرج ليرة رشادية تخطف أبصار الشبعان فكيف ببصر هذا الولد المسمى مهدي..

لقد حمل السيد علي الليرة الرشادية بيده وأعلن الرهان: إمّا النجاح في الحفظ وتأخذ الليرة، وإمّا السقوط فتعمل لنا عزيمة (وليمة)؟ لقد تحدّى الولد، وما على ابن الثالثة عشرة إلاّ أن يدل على قدرته الفائقة في الحفظ..

انصرف لأداء مهمته، وبعد ثماني ساعات رجع إلى الجصاني وعصبته وأعلن بدء قراءة المحفوظ الجديد.. وقرأ.. وقرأ.. والآخرون يسمعون ويسمعون.. وكلّما تقدّم اقترب من الليرة الموعودة.. حتى إذا انتهى من البيت الخمسين بعد الأربعمائة مد يده منتصراً ونال الليرة حلالاً- لقد حفظ خمسين وأربعمائة بيت في ثماني ساعات!

كان السيد علي الجصاني من أقاربه وأصدقائه، وكان له من الأصدقاء معه- وقبله- جعفر الكشوان ومهدي النجار.

وإذا حرم الولد لعباً مع الصغار كما يلعب الصغار فقد راح ((الكبار)) يبحثون عنه لعباً يلذّهم في مضماره ويغلبهم في سباقه فيشبع بذلك غروره ويعوّض شيئاً عما فاته.وليس عليه من حرج في كل ذلك..

كان من ألعاب الكبار المطاردة الشعرية: أن يقرأ فلان بيتاً من الشعر وعلى الثاني أن يقرأ بيتاً- من حفظه بالطبع- يبدأ الذي انتهى به البيت الأول.. وعلى الثالث.. والرابع.. ثم يعود الأمر إلى الأول.. وهكذا ومن لم يستطع فهو المغلوب..ولم يكن الصبي يوماً مغلوباً في هذا، كان المجلّي دائماً كائناً من كان في المجلس من شباب وشيوخ ومن شعراء وحفظة شعر.

والمطاردة هذه لعبة سهلة إذا قيست إلى التقفية. والتقفية أنْ يختار زيد قصيدة- صعبة القافية عادة مما هو غير مألوف أو مشهور- ويبدأ يقرأ- حفظاً أو في ديوان وكتاب- حتى إذا اقترب من القافية توقف، وعلى الآخر- المتسابق أو الواحد من مجموعة متسابقين في مجلس عامر- أن يذكر القافية بشرط أن تكون القافية التي كان الشاعر الأول قد اختارها لبيته، ويقرأ البيت الثالث.. والرابع.. ويستمر متوقفاً قبل القوافي والثاني متحفز لأن يذكر القافية اللازمة لكل بيت..

ومن الطبيعي أن تصعب التقفية على كثيرين، فمنهم من يعجز بعد الأبيات الأولى، ومنهم من يعجز بعدها قليلاً ومنهم من يطيل النفس.. ومهما تكن الأحوال وتصعب القصيدة المختارة للسباق فإنَّ صبياً اسمه مهدي لا يقهر وإنّه البطل محطّ العجب من أعضاء ذلك المجلس وفيه من فيه من الأدباء والشعراء والمختصين بالتقفية...

لقد كان هذا الصبي- في كثير من الأحيان- يقفي تسعة أبيات من كل عشرة وإنه لمستعد للرهان في أية لحظة لأن يقفي سبعة من عشرة في أحلك الظروف ولدى أصعب ما يستطيع ان يقدم ((مراهن)) من قصائد.

لئن بدأ الصبي هذه اللعبة في الحادية عشرة من عمره إنها لما يمكن أن يستمر ويتصل، وكلما استمرت واتصلت وطدت من مكانته ورفعت من ذكره وهيأت لشهرته.

لقد صار مضرب المثل، فإذا أراد أب أن يرسم مثلاً لابنه قال له: كن كمهدي، وإذا أراد أن يعّير أب ابنه أو أن يستفزه ويستنهضه قال له: أين أنت من مهدي... ليت مهدي ولدي..

ومهدي يعرف ذلك ويبلغه خبره.. فيهتز وينتشي ويتحرك رأسه طرباً وغروراً ذات اليمين وذات الشمال والعمامة البيضاء التي ينوء بها مذ ذلك الوقت الباكر ومع تلك الرقبة النحيفة.. تتابع الاهتزاز- يا للشيخ الصبي! وابن العاشرة أو الحادية عشرة أو الثانية عشرة.. في العشرين والثلاثين والأربعين...! انه لا ينسى يوم ألبس العمامة، لقد كانوا يلبسونها إياها وينزعون عنه العقال واليشماغ كما تلبس ((اللعبة)) وتنزع أما آله فكانوا يقفزون بالأيام قفزات غير طبيعية ليجعلوا منه عالماً في أقصر وقت غير مقدرين لما يترك ذلك في نفسه من نزوات، فيظل يرى نفسه كبيراً وهو صغير، أو العكس، وتستمر به الحال.

-وماذا يريد الشيخ عبد الحسين لمهدي أن يكون؟

-مهما يرد فإنه لا يمكن أن يخرج عن الميدان، وإنه إذ ينظر إلى أسرته والأسر التي تشتبك وإياها فيرى مجدها قائماً على العلم الديني، لابد من أن يطلب لابنه هذا المجد حتى إنه ودّ- لو كان في الأمر أقلّ إمكان- أن يملى عليه دروس الفقه داخل البيت وخارجه مبكراً.. ولكن ذلك مما لم تجر به سنة حتى في مجتمع لا يقوم في كثير مما يورد ويصدر على سنة من سنن الطبيعة. أما العمامة- وربما الجبة- فلا بأس في التبكير بها، فقد عرف ذلك في أولاد العلماء وفي آل الجواهري بوجه خاص. أمّا الفقه والأصول والإفتاء فلا يمكن ولابد من صبر على الانتظار.. على ألاّ يطول.

إنّ الوالد إذ يدع ولده بين كتب الأدب والشعر وفي ملاعب الأدب والشعر، ويصحبه إلى مجالس الفقهاء والأدباء الكبار، فانّه يضمر أمراً أبعد مما يرمي إليه ظاهر الحال..ليكن أديباً، ولكن ليكن قبل ذلك- وبعده- رجل دين وفقه وأصول ولتغلب فيه الروحانية على الأدبية.

((كان أبي يمارس عليَّ ضغطاً مستمراً لحفظ علوم الدين، وأتظاهر مؤمناً بتنفيذ الأمر وما أن يخرج هو وأخي الأكبر حتى أهرول إلى دواوين الشعراء))[1].

ومهلاً.. إن في البلد أصولاً للدراسة.. وليس الفقه أول ما يبدأ به الفقيه، فهناك قبله طريق غير قصير يدرس فيه الطالب النحو والصرف ولهما وحدهما سلم طويل يبدأ بالأجرومية فالقطر.. فشرح الالفية.. وليبدأ مهدي بالأجرومية على يد الشيخ محمد علي المظفر. وهكذا كان. وعين الشيخ المظفر للصبي حداً محدوداً من سطورها.. وراح الطالب يعد العدة، ولما رجع وبدأ الشيخ يستمع إليه واستمر يقرأ حفظاً ويقرأ ويقرأ حتى جاز المدى وأبعد. إنّ عادته التي استحكمت في الحفظ سهلت عليه أن يحفظ خمساً وعشرين صفحة فدهش الشيخ وقال: وماذا تريد أن أدرسك؟ ولم يسأله الشيخ عما فقه مما حفظ لأنّ المنهج يقوم على الحفظ أول ما يقوم، ولابد من الاستمرار على الدراسة- على أية حال- لابد من الأجرومية والقطر..

---

[1] الطريق ص ٦٧ = (مذكرات ثقافة تحتضر ص ٢٠٧).

وإذ يسير في النحو مع الشيخ المظفر (مقروناً بمذاكرة ومؤانسة ومشاكسة مع أخيه وابن عمته) دلف يدرس البلاغة على الشيخ علي ثامر والشيخ مهدي الظالمي.

وكانت البلاغة أحبَّ المواد إليه يراها جزءاً من نفسه وكأن ذلك يقع بعامل من قربها مما هو مخلوق له من شعر وأدب، فالبلاغة- حتى في أسوأ أحوالها- تدور على الشعر: أمثلتها منه، والاستعارة والكناية فيه... ثم لابد من أن يكون الشيخان اللذان توليا تدريسها قادرين مقتدرين لدرجة من الإبداع..

ومسألة أن ولداً اسمه مهدي يدرس فروع العلم في النجف على أيدي شيوخها وعلمائها الأعلام تختلف عن أية مسألة. فلم تر النجف طالب علم مثل هذا الطالب.إنّ الذي تقرره النجف أنّ الطالب إما أن يطلب أولاً.. فإن طلب واظب وجدَّ في الحضور والاستماع والإصغاء واحتمل في سبيل ذلك كل ما يلقى من عنت، وتابع السلم حتى يصل إلى النتيجة المقرّرة ولم يفعل مهدي هذا ولا شيئاً منه.

كان ينتقل على مزاجه وهواه من هذا الدرس الى ذاك، ومن هذا الشيخ الى ذاك، مرة من أسفل السلم ومرة من أعلاه، مرة يحضر وعشرات يغيب، وهؤلاء الشيوخ من كل عالي الكلمة مرهوب الجانب صعب يرتجف الكبار بحضرتهم، لكن مهدي وحده كان يكسر القاعدة دون أن يعترضه معترض. وكيف يقع الاعتراض في المتأخر ولم يقع في المتقدم، إن قبول ولد بهذا العمر في هذه الدروس مخالفة- منذ البداية- لكل الأعراف. ولكن مهدي لا يشبه غيره. إنه معروف لدى هؤلاء العلماء قبل أن يقصدهم للدرس، وهم معجبون به خارج دائرة الدرس فهو- إذاً- ابن المدينة المدلّل.. وما تهيأ هذا- مرة أخرى- لأحد، لأن الذي تهيأ في نفس مهدي وفي نفس والده لم يتهيأ لأحد.

كان مهدي يستمد قوته (وطغيانه) من أنه مهدي وأنه من آل الجواهري، أنه محمد مهدي صاحب الجواهر- إن شئت. ولا يزيد هؤلاء الشيوخ عن كونهم أقارب وأصدقاء وأتراباً يراهم متصدرين في حلقة الدرس كما يراهم في بيوتهم ومجالسهم ومجلس أبيه من كل جمعة. إنهم لم يكونوا مرهوبين لديه على الدرجة التي كانوا عليها لدى الآخرين.. ثم إنه صغير السن.. وإذا كان هذا الصغر في السن يمنع غيره أنْ يقترب من هذه الدروس، فإنه وحده كان الشفيع له في أن يختار ويتنقل و((يتدلل)).

وقد يكون فيما يبديه هذا ((الفتى)) من مخايل في الذكاء والنجابة والتميز شافع آخر. قد يكون لو كانت البيئة القاسية تسمح.. أتراه اقتسر البيئة؟ أتراه وضع نفسه فوق قواعدها؟ ممكن. أتراها حملته على ذلك وهيأته له من حيث لا تريد؟ ممكن.

أما الفتى نفسه فقد كان يفعل ذلك دون شعور بغضاضة ودون إدراك لمغزى ما يفعل، وإنما هو فيه يتبع مزاجه كما يملى عليه وتكوينه كما يهوى أشبه بالنحلة والزهر، ولا يستطيع أنْ يقهر طبعه على درس لا يستسيغه.

ومهما يبلغ الأب من القسوة ومن الرغبة في أن يجعل من ابنه رجل دين.. فإنّه لا يستطيع أن يبلغ في قسوته أقصاها لأنه في هذه الحالة يصطدم بصميم طبيعة الولد أو بصميم ما آلت إليه طبيعته، وإذا بلغ الامر ذلك دخل الولد في العناد وغلب عليه التمرد.

ولم يكن يدور في خلد الوالد ما دخل على نفس الولد من نفور من علماء الدين.وكان هذا النفور ينمو ويشتد.وقد بدأ بأبسط العوامل وأقربها اليه.. فلقد أبصر الدنيا وأبوه في خير عميم وداره عامرة بالفخم من الأثاث والخاص من الطنافس.والوفود.. يأكلون ويشربون.. وأبصرها ثانية وإذا اليباب يعمر المسكن وإذا الوالد نفسه لا يجد ما يسد جوع العائلة.

لم يكن الطفل لينتبه للحال، ولم يفطن إلى فرق ما بين الكراث واللقمة الدسمة، حتى جر- بجهله- على أبيه ما لا يريد أن يصرح به..

كان الوالد يتعفّف، فإذا سئل عما تغدى.. أو تعشى عدد أصنافاً لا صحة لها من لحم ومرق.. وكان السائلون يعرفون الصحيح من الأمر.. وإنما أرادوا أن يتندّروا به شأنهم إذ لا يشعرون بوقع التندر وقساوته.

وإذ كان الوالد يصحب طفله إلى مجالسهم.. كانوا يتوجهون إلى الطفل بالسؤال:

-ماذا تغديتم؟

فيبادر وفي صوته خنته (تميل برائه هنا الى النون):

-كراث وجبن.

فيضحكون أما إذا سألوا الوالد منفرداً وأجاب بشيء ثم سألوا الولد بحضور والده وأجاب بشيء آخر فإنهم يغرقون في الضحك..

ويخرج الأمر لدى الولد من الهزل إلى الجد.. إنه صار يدرك ما عليه بيته من ضنك إنهم لا يملكون الغطاء الكافي، ورب ليلة ناموا على غير عشاء..

ترى أين هم؟ أين؟

صحيح أن الوالد كريم متلاف، فليست هـذه صـفة رديئـة، وطالما مدحـه النـاس بهـا، وصحيح أنه لم يعد يكسب شيئاً، وأنه مـن الاعتـزاز بـالنفس والأنفـة (العنفـة) عـلى درجـة المبالغة، ولكن أمَا يمكن أن يتلقى عوناً مـن ((مشـتبك العـروق)) مـن هـذه الأسر الكبـيرة الغنية التي هي أُسر دينٍ قبل كل شيء، وأنها أسر من الجواهري وإليه فهو منهم وإليهم.. بـل إن آل الجواهري أنفسهم فيهم الوجيه الغني.. إذا لم نذكر آل كاشف الغطاء وآل القزوينـي.. وآل.. وبني.. وكلهم أعمدة الدين والوجاهة باسم الدين..

كان ((الفتى)) يرى في رجال الدين قساوة وحباً للمال، ولعله سمع شيئاً عن هـذا في بيتـه على لسان أمه- مثلاً، ويرى فرقاً بين القول والعمل.. فيميـل قلبـه عـنهم وكلـما وعـى ازداد ميلاً، فلم كان لابن فلان من آل.. وبني.. المال.. ولـيس لـه شيء مـن ذلـك.. وصـح لـه أن الظاهرة عامة ولا يفسد قاعدتها أن هناك من أمثال شيخ ملا كـاظم الخراسـاني ولكنـه فـرد، الحاشية من حوله ومن حول كل ((مرجع)) تحتـاز وتملك.وتعيـث.. وهنـاك الشـيخ جعفـر البديري الذي ((أحبه كثيراً لأنه أعلم من غيره به)) وكان لا ينفكّ يتفقّـد حالـة الوالـد فـإذا جاء البيت أخفى تحت الفراش مبلغاً وخرج دون أن يقـول شـيئاً ودون أن يعلـم بـه أحـد.. ولكن الشيخ البديري واحد أيضاً والواحد من هذا النوع لا يمثل الكل.

إذاً، لم يعد في نفس ((الفتى)) أي ميل الى أن يكون فقيهاً أو أصولياً.. وماذا جنى أبوه من الفقه؟ لقد أضرب الوالد عن قول الشعر مبكراً وانصرف إلى الفقه وقدر الناس ذلك منه وأكبروه فيه.. ولكن لم يبق شاعراً..؟ وماذا في الشعر ليستهان به، ألم تكن له- حتى في هذا المجتمع الذي هجر فيه الوالد الشعر وهجره السيد الحبوبي من قبل- المنزلة العالية وللشاعر الاسم الرنان.. بل إن السيد الحبوبي الجليل، جليل لديه لأنه شاعر.. ويعظم إذ يذكر شاعراً ويتلى شعره.

أجل إن الشعر يستفزه أكثر من غيره.. ويهمه ولا يرى في الدنيا سواه ولا يحس بأنه أهل لسواه..

فما موقف الوالد؟ لا يعارض كثيراً، وما العمل؟ ثم إن الولد لا يخرج إلى ما لا يرتضى.. إنه يخرج إلى الأدب والشعر وهما جزء من مجد البلدة ومجد الاسرة.. ويبدأ الولد يحاول النظم.

-متى بدأتَ؟

-((بدأت محاولاتي لكتابة الشعر، وأنا في الرابعة عشرة. لكني لم أستطع أن أبوح بشعري، لأني كنت غير متأكد منه. ففي النجف يتمتع الشعر بحب أبناء المدينة وكلهم يعرفون جيده من رديئة))[1].

بدأ من حيث يدري ولا يدري ينظم البيت والبيتين، وخيل إليه أن هذا الذي يتعلمه شعر.. حتى أطمان إلى هاجسته وحسب أن آن الأوان لاطلاع الآخرين.. خطا الخطوة الأولى فعرض مقطوعة ميمية مضمومة من أوائل نظمه على بعض الأدباء العامليين.. وبدأ يقرأ:

....يجمجم

وسار في القراءة وإذا به يقرأ في المقطوعة نفسها:

....مدمدعا

فضحكوا به ولم ينفعه أنه أحس بخطئه وأنه كان اللازم أن يختم بيته بـ((يدمدم)) فقد نفذ ضحكهم إلى أعماق وجوده وتمكن منه حتى استحال ((عقدة)) تحول دون أن يطلع غيره على ما ينظم- كانت التجربة قاسية ولكنها أعقبت الحذر عموماً، بالحذر من أن يقع في مثل هذا الخطأ الكبير من التأليف الشعري خصوصاً.

وراح ينظم لنفسه مع نفسه تحدوه الثقة وتبعثه الطبيعة.حتى إذا اطمأن مجدداً بدأ يخرج عن نفسه فيطلع من يستضعفهم من أصحابه- مثل قاسم محي الدين- وإلاّ فإنه مازال يتهيّب ويتخوّف كثيراً أن يطلع الأكبر منه سناً ومنزلة في الشعر أمثال رضا الشبيبي وعلي الشرقي. إنه يراهم عالين جداً ثم إنه يخشى الحزازات ويخشى إذ تؤدي القراءة إلى المثبطات لأنه يعرف كم في مجتمعه هذا الذي يبدو ظاهره برّاقاً من لؤم وخبث وحسد وإيذاء.إنه على الغاية من القساوة حتى لترتبط هذه القساوة بالعمامة ارتباطاً عجيباً!

وكلما زاد اطمئنانه اتسعت دائرته وإذ دعت ضرورة إلى الخروج عن النفس خرج، وكان من هذه الضرورات أنْ كان ذات يوم مفلساً جداً وأراد أن يحصل على ((مال)) من شيخ محمد حسين كاشف الغطاء فأراد أن يستعطيه شعراً- وليس الأمر غريباً عن بيئته وعن

---

[1] مجلتي وقد يفهم من شعره أنه بدأ هذه المحاولات وهو في العاشرة.

أغراض الشعر فيها- فقدم له ما نظم من أبيات فهزه ولكن غاية الاهتزاز لم تنفرج عن أكثر من ((ليرة)) فاستقلّها سدّاً لحاجته أو قدراً لشعره فردّها.. وما كان من الممدوح إلاّ أنْ قبلها.

وأدّت به إلى النظم والإعلان عنه حالة أخرى أقسى من الإفلاس عليه.. لأنّها تتصل بالقراءة وحرمانه من القراءة، فقد كان الشيخ علي كاشف الغطاء-ويسميه خالي- يملك في بيته مكتبة نفيسة جداً لما فيها من مخطوط ومطبوع، ولا يسمح في سهولة لأحد بالدخول إليها ولكنه سمح بها لمهدي وسمح له مع ذلك بأن يستعمل الدرج في الوصول إلى أي كتاب يشاء، فوجد مهدي فيها مرتعاً خصباً ورأى فيها حياته، يأخذ منها الكتاب تلو الكتاب من كل فّن ومعنى. ورأى الشيخ علي ذات يوم أن مهدي قد ((همّش)) على الكتاب الذي استعاره فثار و((هرَّ)) عليه بالعصا.فهرب وانقطع ولكنه لا يستطيع أن يطيل الغياب لأنه يموت بدون هذه المكتبة فهداه طبعه وتفكيره ومألوف مجتمعه إلى أن يحل الموقف بأن ينظم أبياتاً يستلين بها الشيخ ويترضاه ففعل، وأوصل أبياته إلى الشيخ فارتاح الشيخ كثيراً وفتح له الباب على مصراعيه، وزاد في الإكرام- هذه المرة- أن أعطاه فهرست المكتبة وهو الذي لا يمكن أن يعطيه لأحد.. فتمَّ بذلك للفتى الشاعر فرح ما بعده من فرح.. بالمكتبة وبأنه نظم فأرضى..

ونظم غيرها وغيرها.. ولم يترك القراءة يوماً.. القديم في كل مكان، والجديد يستعين عليه بأخيه عبد العزيز وابن عمته الشيخ علي وبالشيخ رضا الشبيبي مما يقع في متناول أيديهم من جرائد ومجلات وكتب مما يطبع في مصر. وينتقل إليه الفكر الجديد والمفهوم الجديد في الحياة والأدب، ونظم الشعر عن طريق القراءة حيناً وعن هذه الفئة المتنوّرة من الشباب التي سبقته في الميلاد نحو عشر السنين إذ يسمعها تتحدث وتتناقش وتسخر من القديم وجموده وتعجب بالجديد وتحرّره، وقد يشترك هو نفسه في أطراف من هذا النقاش..

وإذ يتركهم يعود إلى النظم.. أجل فهو في فورة تكاد تكون ثورة في القراءة والنظم والسعي إلى أن يكون شاعراً معدوداً يشار إليه بالبنان ولم لا؟ وفي أقصر وقت.فليكثف الزمن. إنه لا يعرف- ولا يدري- من شؤون الموهبة ما يجب أن يتهيأ ليكون الشاعر شاعراً حقيقياً لأن مسألة الموهبة هذه ضائعة في بيئة يتعاطى الشعر فيها كل من أراده، وتهيىء فيها مناسبات التهنئة والمدح والرثاء- الفرصة لأن يقول فلان ويقول فلان.. بل إن فلاناً ليتغزل وكأنه سيموت حباً وغراماً وهياماً... ويتحدث عن الخمر والكأس والنديم كأنه ولد

سكران.. وما هو من هذا أو هذا في شيء بل قد يكون تقياً نقياً مؤمناً ثقة- ولم تكن ضرورة للتجربة- بأي من معانيها- فلم تكن التجربة والحديث عنها مما يرد على الألسن. ثم هل من ضرورة إلى مناسبة مهمة لقول الشعر؟ لا، إنهم ينظمونه حتى في أتفه أمور الحياة اليومية من أخذٍ وعطاء وبيع وشراء..

ليست المسألة- إذاً- أكثر من ثروة في المفردات وإدراك للوزن وقلم وورقة.. وقد تهيأ كل ذلك لمهدي على أحسن ما يرام. فلينظم، فالشعر كله نظم، وكلّ ما في أمره أنه يخشى أن ينسب إلى الرداءة وبيئته تميز جيداً الغث من السمين، وها هو ذا يطمئن إلى نفسه..

((في السادسة عشرة طغمت الكلمة على قلبي ولساني.. فبدأت أقرأ شعري في أوساط النجف وبدأ الناس يتعرفون على شعري...))[1].

وطورت الشاعرية في ((عوامل.. عديدة أهمها حب الظهور والتنافس، وقد جرى لي ذلك فكنت أقرأ شعراً لشعراء مشهورين وأناجي ضميري بأني، هل أستطيع أن أنال مقام ذلك الشاعر..))[2].

وقد ضاع الشعر الذي نظمه في البدايات ولم يعد يحفظه أو يحتفظ به أحد.. وربما كان مرد ذلك إلى أنه كان اعتيادياً أو ضعيفاً لم تكن عليه من دلائل النبوغ ما يفرض به نفسه على الحافظين ويجتذب المعجبين.. إنه شعر موزون مقفى مثل كثير وكثير غيره، ويا طالما نظم مثله الألوف والألوف من المبتدئين من كان ذا شاعرية منهم ومن لم يكن.. من اطمأن الى نفسه ومن لم يطمئن.

ثم إنه لم ينشره في مكان من جريدة أو مجلة.. لأن وسائل النشر لم تكن لتتوافر سهلة في العراق. أما صحافة الخارج في القاهرة ودمشق وبيروت وجبل عامل، فليست له إنها للشيخ محمد الشبيبي وإنه ليعترف بالفارق الكبير، وانه لو ((ركب رأسه)) فإنّ قوة طاغية تصده وتشل نزوات الشهرة فقد كانت عارمة تسدّ على تفكيره كل طريق وعلى جرأته كل منفذ.. تلك هي سلطة الشيخ الوالد الذي ضحى بشعره كله من أجل الفقه وحده، ولم يعد الفتى يهمه الفقه وأهله، والوالد متزمت ازاء الجديد وقد ملأ هذا الجديد آفاق الشاعر الناشيء..

---

[1] مجلتي.

[2] شعراء الغري ١٠/ ١٤٦- وتقرأ مقدمة ((حلبة الادب)).

هذا إلى أن المسألة ليست رهبة وحدها وإنما هي رهبة واحترام وحب متبادل قد يكون عجيباً تبادله..

وإذ بدأ الانكليز يزحفون نحو ((الكوت)).. وتقدم العراقيون نحوهم في حرب غير متكافئة، كان بين هؤلاء العراقيين الشيخ الوالد..

ولم يلبث الانكليز أن تغلّبوا، فعاد الشيخ إلى بلدته.وما هي إلاّ شهور حتى مرض وكان يقول: إنّه ميت مع ما كان عليه من قوة، وإذ اختلط المرض على الطبيب فظن النزلة ((تيفوئيد))، عرض بعض الحاضرين بالطبيب، وشد الآخر من عزيمة المريض نفسه فكان مطمئناً إلى نهايته ويردد:

الناس يلحون الطبيب وإنما   غَلَطُ الطبيبِ إصابةُ الأقدارِ

وبعد أيامٍ قليلة قام يصلّي المغرب متكئا على ولده عبد العزيز وابن اخته علي ومات قبل أنْ يتمّ الصلاةَ. وكان ذلك كلّه في عام ١٩١٧ [١].

..ومرت أيام الحزن فعاد الولد الى درسه فقد تقدم فيه وزاد على مواده السابقة مواد جديدة فهو يدرس البيان على الشيخ علي ثامر، والمنطق والفلسفة على السيد حسين الحمامي، ولكنه يحيا بالأدب والشعر وللأدب وللشعر، مع فارق بدأ أول الأمر ضئيلاً، فقد أخذ الولد الشاب يحسّ بحريته. لقد آن الأوان إلى أن تعرب الجرأة عن نفسها منطلقة من كل قيد، وحان للبركان أن يثور.. أو أن يتحفز في الأقل.. وليتجمع.. فزاد الشاب من قراءة الجديد من شعر وغير شعر مما هو للعرب أو مترجم عن الغرب، وزاد من إعلان إعجابه به والنقاش مع الآخرين من أجله- دون أن يترك النظم لحظة.

وإذ يتنادى العراقيون إلى الثورة على الانكليز وتكون النجف مركزاً للثورة وطليعة للمنادين يجد مهدي طريقاً ما إليها.. وكان طبيعياً جداً أن يكون معها في حديثه ومجلسه وإلى جوار أصدقائه.. ولكن ماذا يمكن أن يؤدي اليها؟ وقد يبدو عجيبا أنه لم يفكر جديا بالشعر الاستنهاضي وهو الذي يتصيّد الشهرة، ويتصيّد مناسبات يبدو فيها جديداً على مجتمعه، وهل فرصة أنسب من ((الثورة)) التي تهيىء له مطلبه على أسمى ما يكون.

---

[١] في شعراء الغري ٥/ ١٦٧ ((توفي بمرض التيفوئيد عام ١٢٣٥ هـ ودفن بمقبرة الاسرة الخاصة الواقعة في محلة العمارة)).

أجل، إنه لم ينظم الشعر في الثورة ولم يعتل المنبر ولم يخاطب الجمهور، لأنه يعرف محيطه جيداً، يعرف النجف وقساوتها في الحكم الأدبي، وقد وهبته هذه المعرفة التريث والحذر وطمنت من بدوات الطيش، إنه لو اعتلى المنبر لأول مرة لزجَّ نفسه في مأزق وتطاول بها أكثر مما لها كثيراً. ليس سهلاً أن تُلقي في المحفل، إنك لما تبلغ سن المنابر، وإذ كنت ترى نجم المحافل الثورية اللامع الشيخ باقر الشبيبي، فهو نجم في مكانه الطبيعي من السماء، وهو يكبرك بنحو من عشر سنين، فلو كنت- مثلاً- في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، فإنّه في الثامنة والعشرين- والفرق كبير من الأشياء. إنّ المسألة ليست مسألة نظم فقط، فما قيمة النظم إذا لم يلقه صاحبه كما يلي الآخرين شعرهم؟ وكيف يزحم هذا الناظم الجديد سابقيه؟ وكيف يواجه محفلاً فيه كبار الأدباء والشعراء والعلماء؟ كيف يرتقي المنبر وشيخ الشعراء (الشيخ جواد الشبيبي) حاضر؟ وكان يتهيَّب، وإلاّ فإنّ الشعر الذي كان يلقي لم يكن على الغاية من البراعة، ألم يقف السيد باقر الحلي فيلهب الجمهور الثائر بشعره، وببيت مثل:

هم يطلبون على العراق وصاية

عجبا فهل أبناؤه أيتام

ألم يستعد شيخ الشعراء هذا البيت وإذا استعاد الشيخ جواد استعادت الدنيا بعده وأعجبت لإعجابه؟

لقد فاتت على الشاعر الفتى فرصة لم يكن ليقضه فواتها كثيراً، لأنه لا يريد أن ينظم كل ما اتفق من دون اختمار واهتزاز ينبىء بالاختمار. ثم انه اختار طريقاً آخر أكثر وعورة من الشعر ألا وهو: كتابة الإعلانات في الدعوة إلى الثورة ولصق هذه الإعلانات على أبرز أبواب الصحن العلوي.دافعه إلى ذلك شعوره الوطني، وكافله إنه من آل الجواهري ويصعب على السلطة- بقائمقامها حميد خان- أن تمسَّه بسوء.

انه من آل الجواهري. صحيح جداً، ولكن لو كان الوالد حياً لما جرؤ أن يفعل ما يفعل فقد كان وجود الوالد سبباً في صدّه عن كثير من الأشياء.التي يرغب في أن يعرب عنها ويؤكد بها وجوده كما يريد..

لو بقي الوالد لعوّق مرحلة الولد.. ولعوّق كثيراً من الأشياء المهمة جدّاً لديه ومن أهم المهم: النشر، نشر الشعر.. أما الآن، وقد زال الخوف ولم تبق منه بقية تذكر، واستوت السليقة

وتهيأ ما يؤكد الثقة بها ينظم.. فإلى النشر.. إليه.. وما عليه إلاّ أن يحضر ظرفاً وطابعاً.. وما أسهل ذلك..

لقد انصرم عام ١٩٢٠ أو كاد.. ولتكن بقايا الثورة العراقية، أول موضوعات النشر كأنّه لا يريد أن يخرج عن النجف وعلى النجف بما ترسّخ فيها من مفهوم الشعر وموضوعاته حتى كاد يأسن..

أجل.. ليرسل بأحدث ما نظم فنال رضاه ورضى الآخرين.. إلى بغداد، جريدة الاستقلال.. وها هو ذا الأسبوع الأخير من كانون الثاني ١٩٢١ يطلع على الناس وفيه للجواهريّ قصيدتان[1].

وهو خلال ذلك يعاني شظف العيش وضيق ذات اليد. وقد انقطعت المعونة التي كان يقدّمها البديري، ولم يبق في الدار شيء يستحقّ البيع، وكاد ينفد ما حصل عليه لقاء بيع حصة من دار، ولكن الشعر يوسع عليه ما ضاق من نطاق الدنيا.

---

[1] كان عمر الشاعر على حساب رواية الشيخ جعفر محبوبة: إحدى وعشرين سنة ((ونصف)) سنة. أما الشاعر نفسه فيقول في ((مجلتي)) ١نيسان ١٩٧٢: ((..نشرت أول قصيدة لي في جريدة- العراق وكان عمري سبعة عشر عاماً)). ولم يثبت أن نشرة الأول كان في جريدة العراق. أما الرقم الذي قدمه لعمره، فهو يدل على إصرار الشاعر أن ميلاده كان بعد الـ ١٩٠٠، فلو فرضنا جدلاً أنه نشر في العدد الأول من العراق (وقد صدر في ١ حزيران ١٩٢٠) فإن ميلاده يكون في ١٩٠٣ ويكون ميلاده كذلك - مع فارق في عدد الشهور- على حساب النشر في جريدة الاستقلال.

على قارعة الطريق

قال لي وقد عرج عليّ- وأنا في منتصف الطريق إلى حيث أريد- أأنت مسافر مثلي..؟؟

فقلت له: لا! بل أنا شريد.

قال: وأين وجهتك الآن؟

قلت: وجهتي أن أضع مطلع الشمس على جبيني وأغذ في السير.. حتى إذا جنني الظلام في الليل أقمت حيث يجنني.. وسرت عند طلوع الفجر.

قال: والليل ليل والنهار نهار منذ الأزل وحتى الأبد.. أفأنت مجنون؟

فقلت له: لا- كما اعتقد.. ولكن أأنت جاهل؟

قال: وكيف؟

فقلت له: لقد علمنا علم المكان وعلم الزمان من جديد؛ أنّك كلّما أغذذت السير قدما قصر الليل وطال النهار.. حتى ليكادا يتحدان عند المنتهى.

ولقد كنتُ أجهل مثلك هذه الحقيقة طيلة ثلاثين عاماً خلالها أهيم على وجهي وأتخبط في مجاهل الأرض- دون معالمها- إذ كنت لا أعلم من هذا العلم شيئاً.

قال: والآن؟

قلت: والآن.. فمنذ سبعة عشر عاماً- وقد عرفت هذه القاعدة- وانا أمشي- إلى الأمام على ضوء الشمس..

قال: وعندما تغيم؟

فقلت له: إنني لأفـتح عينـيّ أكثـر لأعتـاض بهـما عـن نـور الشـمس وقـد أزيـغ وأنحرف! ويكلفني هذا تعباً يطول أو يقصر على قدر انحرافي.. ولكنه ليس عـلى كـل حال أكثر من التعب في أن أعود وعلى ضوء الشمس من جديد ومن حيث ابتدأتُ.

قال: وماذا أكثر من التعب؟

قلت: أكثر منه ألّا أتعب.

قال: أولا ترتجف من البرد؟

قلت: لا.. فقد تعودته حتى لأكاد أرتجف من الحر.

قال: وماذا تأكل؟

قلت: لحوم الحيوانات السائبة فإن لم تكن تقوّت بقليل من لحمي..

قال: لحمك؟!

قلت: أجل.. ولماذا لا وإني لآكل من لحم أولادي أيضاً..

قال: آه.. وعندك أولاد؟

قلت: بلى.. وهم سبعة ومعي أيضاً في طريقي..

قال: وكيف يطيقون هذا العناء؟

قلت: أحمل العاجز منهم على كتفي، وأدع رعاية الصغير للكبير منهم، وآكـل مـن لحمهم وأطعمهم من لحمي.. ومن مات منهم جوعاً أو تعباً، تركته للكلاب..

قال: أولا يرتجفون مثلك من البرد؟

قلت: بلى يرتجفون.. الآن وسوف يتعودون ذلك غداً.. فلا يرتجفون أبداً..

قال: أو لم تقدر أن تكسوهم وتطعمهم فيما تمر به على المدن، والقرى والناس؟

قلت: أبداً..

قال: ولماذا؟؟

قلت: لأنهم يريدون لذلك ثمناً.

قال: أو تريده بلا ثمن؟

قلت: وكيف أريده بدونه.

قال: فلماذا؟

قلت لأنني أريد لهم ولي أن أعمل ويعملوا لنشبع ونكتسي..

قال: وهم؟

قلت: هم يريدونني أن أرقص.

قال: ترقص؟!

قلت: أجل ومثل القرود تماماً.

قال: ولماذا لا ترقص؟ ومثل القرود؟

قلت: لأنني لم أوهب سعة حيلة هذا الحيوان وصبره على المجاراة.

-ألك إخوة؟

قال لي صديق الطريق.. هذا! وقد صمت ورمق الأفق البعيد بعينيه.

قلت: أجل لي ثلاثة..

قال: وأين هم؟

قلت: واحد تشرد مثلي، وآخر تخلف عنّي في المدينة، وثالث أكلته الحيوانات!

قال: أولك أم؟

قلت: وكيف لا؟!

قال: وأين تركتها؟

قلت: تركتها على قارعة الطريق، وبيدها كتاب! وإبريق! ومبخرة!

قال: وما هذا؟!

قلت: هذا من عقائدها..

قال: عقائدها؟!

قلت: أجل من عقائدها إنها كلفّتني أن أقبّل الكتاب، وقد حملته باليمين، فقتلته ولكن.. بعد أن أخذته منها بالشمال.. وأرادت أن ترش الأرض من حولي بالماء، ومن أنبوبة الإبريق فرشت به الأرض ولكن بعد أن رفعت الإبريق إلى فوق ومن فوهته!

قال: والمبخرة؟

قلت إني حطمتها وإن والدتي لمتشائمة وحزينة من أجل ذلك.

قال: مفهوم أنها حزينة، ولكن لماذا هي متشائمة؟

قلت لأنها تعتقد أنني لا أرجع إليها سالماً وقد حطمتها.

قال: وأين ولدتك أمك؟

قلت: على قارعة الطريق أيضاً.

قال: أكل شيء على قارعة الطريق؟!

قلت: أجل إنّها من المعتقدات بـ- أسطورة!!- ((سيادة النور)) و((عبودية الظلام)).. وهي ترتجف رعباً من الليل، ولذلك فهي لا تضع حملها إلّا على قارعة الطريق..

قال: وأبوك؟

فقلت له: إنه لا يشغل بالي من أمره أكثر من أنّه كان يتحمل الألم ولكن بصمت! بلا ثورة على الألم وبلا تجديف وإنه كان يغني ثمّ خاف فترك الميدان وكل من هو على شاكلته من المغنين لا يشغل بالي من أمرهم شيء!

قال: ومتى كان عهدك بالمدينة وأهلها؟

قلت منذ تركتها أما عهدي بأهلها فمنذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود.

قال: وبعد؟

قلت: وبعد فقد استمروا يرقصون حتى بعد أن طردني الحاكم شر الطرد من أجلهم.. طردني أنا ومن معي..

قال: أفأنت حاقد عليهم من أجل ذلك؟

قلت: لا.. أبداً بل غاضب..

قال: أولا تريد أن تراهم؟

قلت: إن بريق الغضب في عيني ليصدني عن رؤيتهم.

قال: لي عابر السبيل بعد برهة وجيزة استرحت من خلالها من قال وقلت.

قال: وقد فهمت أن عنده ما يخاله هو شيئاً جديداً- إن هناك- من ورائنا!! غابـة.. وارفة الظلال كثيرة الأشجار، ناضـجة الـثمار، شـاخبة الغـدران، أفـلا أدلّـك عليهـا فتستريح عندها.. ولو بالرجوع خطوات؟

قلت له عابساً: أفأنت خارج منها؟

قال: أجل.

قلت: أفأنت من أشباحها؟

فصمت مذهولاً! ولما أدركت أنّه ليس منهم وأنه مجرد عابر سبيل انحدر إليها..

قلت له: لا.. لا أبداً فهل تريد أن أقص عليك أمري منها، وأدع لك أمرك وشأنك على أن نفترق بعد الآن، لأنك حديث عهد بها، وبأرواحها ولأنني لا أطمئن إليك من أجل هذا.

قال وقد رأيت الألم الصادق! في عينيه: موافق.

قلت له: لقد مررت بغابتك هذه، بعد أن كنـت قـد انحرفـت قلـيلاً أو كثـيراً- لا أدري- عن شرع الطريق الذي كنت أريده، وكان الأمر في ذلك أنني لقيـت مـن عـلى جانبي طريقي المنحرف أشباحاً وكأنها الأدلاء إلى الطريق السوي فتبعتهم- شاكراً!

-حتى إذا توسطت الغابة استقبلتني من خلال أغصـانها المتشـابكة رؤوس كأنهـا الشياطين وأصوات كأنها حشرجة المحتضرين، وأطبق علي الظلام الذي أخافه.

ولا أنكرك.

إنني كنت جائعاً وإنّ ثمرها كان شهياً.

وإنني كنت ظامئاً وإن ماءها كان عذباً سائغاً.

ولكنه مع هذا كله فقد أنستني حاسة الرعب والهلع من الظلام المسيطر عليها كل الحواس الأخرى.

فلقد أدركت يا صديق الطريق العابر من بادىء الأمر بغريزتي- وليس بعقلي- أنّ طريقاً يقف عليه الأدلاء ليدلوا عليه المارة ليس هو بالطريق القويم فمثل هذا الطريق ما تسير أنت مدفوعاً على هداه.

ولقد علمت يا صديق الطريق العابر أنّ تلك الأشباح المبثوثة في طريقي إلى الغابة إنّما هي من أرواحها! وإنّ كلّ ما عوى عليَّ من ذئابها!

وكلّ ما طلع عليَّ من رؤوسها!

وكل مّا أدمى قدمي من أشواكها!

وكل ما حك جلدة رأسي من أغصانها وفروعها!

كان جزءاً لا ينفك من أرواحها أيضاً.

وحتى تلك الحيوانات المتفرجة المسالمة فيها هي منها أيضاً.

وتلك الأشباح التي كانت تتسلل من خارج هذه الغابة فتتشابك مع ما في داخلها من أشباح وأرواح وكأنّها تريد أن تتلاعب معها! أكثر من أن تتقاتل.

حتى تلك الأشباح التي كانت وكأنّها تريد أن تدفع عنها كلّ البطر! وفتور الدلال! في معركتها هذه، آمنت أنّها من سلالة أرواح الغابة ومن عناصرها!

ولقد ألفيت تلك الأرواح الشريرة ومن تابعها ترى ذلك الجني الغض من الثمر العاجل في هذه الغابة والماء العذب البارد خير العوض عن الظلام الرائن عليها!

وكنت أراه مجرد ثمر عاجل ومجرد سراب لامع.

وكانوا يضحكون مني وكنت أضحك منهم!!

وعندما هز عابر السبيل هذا رأسه باستحباب كمن يريد زيادة في الحديث..

قلت له: ومن الغريب أنني كنت أحمد! في خطواتي الأولى إلى هذه الغابة هؤلاء الأدلاء.

وكنت لا أنفك أغني إلى جانب ذلك أغاني التمجيد لنور الشمس، وكان هؤلاء الأدلاء أنفسهم- لا غيرهم- يهزون رؤوسهم وأذقانهم كالمؤمنين بما أغنّي.

والأغرب من كل هذا- يا صديق طريقي العابر- أنني حتّى بعد أن ولّيتُ منهم ومن غابتهم فراراً..

كنت أغني بحماس أكثر وأغاني أجود في تمجيد نور الشمس وفي شجب عشاق الظلام..

وكانوا- هم وليس غيرهم- أيضا يهزون رؤوسهم وأذقانهم تأميناً على أغاني هذه في حين كانوا يشيعونني معها بنظرات الأسف.

إنهم كانوا يفعلون ذلك وهم يقضمون من نبات تلك الغابة وأثمارها ثمر الظلام الذي يعيشون فيه..

ثم يرمون ببعضها أو ببقاياها إلى من وراءهم وحواليهم من تلك الأرواح.

ومن قصرت أيديهم أن تمتد الى أغصان أشجار الغابة.

ثم قلت وقد انتهيت..

والآن فوداعاً يا صديق الطريق العابر..

قال: وداعاً يا أيّها المغني لنور الشمس!

وداعاً أيها الشريد!

وكان هذا آخر عهد لي به، وآخر عهد له بي.

محمد مهدي الجواهري

أمنن عليّ(*)

مــولاي كــم لــكَ في العِــدى يـــومٌ ســـبقتَ بـــه أغـــرُّ
ومكــــارمٌ فُــــتَّ الكـــرا مَ بهــا ففــاتَ العــدَّ حصــرُ
لم يَعـــدُني تقبيــــلُ كفِّــكَ غـــيرُ جـــودك فهـــو بحـــرُ
أنـــا غـــرسُ نعمتِــك الـــذي أنطقتنـــي فـــالقولُ شُـــكرُ
فلأجزينَّـــك مـــا حييـــتُ ومـــا بقـــي ليـــلٌ وفجـــرُ
بمـــدائحٍ رقّـــتْ كـــما أخـــذتْ مـــن الألبـــابِ خمـــرُ

(*) كتب المرحوم الشيخ ((علي كاشف الغطاء)) صاحب ((الحصون)) في الجزء الأول من كتاب ((سمير الحاضر ومتاع المسافر)): المحروس بالله شيخ ((مهدي ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين الجواهري)) كتبها ليستعير مني كتاب ((دمية القصر للباخرزي)).

وقد كان رحمه الله قد غضب على الشاعر ومنع عليه استعارة أي كتاب من مكتبته الشهيرة وذلك بسبب هوامش كان الشاعر يعلّق بها على بعض الكتب التي كان يستعيرها، وهو ما كان الشيخ الكبير يتشدد في منعه.

(ورد في الطبعات السابقة لديوان الجواهري، تأريخ نظم القصيدة عام ١٩٢٤، ولكن من أحاديث الجواهري وذكرياته يستدل على أنّها كانت من قصائده الأولى، ولذلك وضعناها في مستهل الديوان/ د.كفاح الجواهري).

وقصـــــــائدٍ بدويـــــــــةٍ يصـــبو لهـــا بـــدوٌ وحضـــرُ

أنكـــــرتَ منـــــي ســـــيرةً قـــبلي عليهـــا الأهـــلُ مـــرّوا
قـــلْ لي: ((لعـــاً)) إمّـــا عثـــرتُ فـــإنّني ذاك الأغـــرُّ[1]
وامـــنن عـــليّ ((بدميـــة)) أو لا فـــإنّ ((القصـــرَ)) قفـــرُ
ســـتريك أيـــام الشـــقا ء بهـــا عـــداك ولا تســـرُّ

---

[1] لعاً: كلمة تقال للعاثر.

يا خمرتي

خمرتي فضلُك لا يُحصى عليّ   أنتِ قد حبّبتِ دنياي إلي
عدتي في شدتي خمرٌ و((ني))   لا أقولُ الشعرَ حتى أشربا
فطرتي كلٌّ على ما فُطِرا

النجف عام ١٩٢٠

العزم وأبناؤه

دمعة حرّى على شهداء الثورة العراقية

هو العزمُ لا ما تدعي السمرُ والقضبُ وذا الجدُّ حتّى كلُّ ما دونه لعبُ
ومن أخلفته في المعالي قضيةٌ تكفّل في إنتاجها الصارمُ العضبُ
ومن يتطلّبْ مُصعباتِ مسالكٍ فأيسرُ شيءٍ عنده المركبُ الصعبُ
ومن لم يجد الّا ذعافَ مذلةٍ وروداً فموتُ العزّ موردهُ عذبُ
وهل يظمأُ اللاوي من الذلّ جانباً وبيضُ الظُبى رقراقُها عَلَلٌ سكبُ
اذا رمتَ دفعَ الشّكِ بالعلم فاختبر بعينيك ماذا تفعل الأُسُدُ الغُلبُ

***

أما والهضابِ الراسياتِ ولم أقلْ عظيماً، فكلٌّ دون موقفه الهُضبُ
لئن أسلمتهم عزةُ النفس للردى فما عودتهمْ أن يلُمَّ بهم عَتبُ
أحباي لو لم تُمسك القلبَ أضلعي لطار أسى من برج ذكراكمُ القلبُ
قضيتمْ وفي صدر الليالي وليجةٌ وما غيركم يستلّها، فلها هُبوا[1]
سقاكِ الحيا أرضَ العراق ولا رقتْ جفونُ غواديه، وناحت بك السحبُ[2]

---

[1] الوليجة: الدخيلة وهي هنا ما تضمره الليالي من شر.

[2] الحيا: المطر. لا رقت جفون غواديه: دعاء الا ينقطع المطر فتجف الأرض.

تضـــمنتِ- لا ضُـــمنتِ شراً لظــالمٍ- كواكبَ ليل الخطب إن حلكَ الخطـبُ[1]

بكيـــتُ وحيـــداً في رُبـــاك ولم أُردْ مخافـــة واشٍ أن يســـاعدني الركـــبُ

فيـا شرقُ حتّـى الحشـرِ تُربـك فوقـهُ دليــلٌ لمــن لم يــدر مــا فعــل الغــربُ

النجف عام ١٩٢١

---

[1] حلك الخطب: اشتد الامر وعظم.

رثاء شيخ الشريعة(*)

أبنْ ما لهذا الدين ناحت منابرهُ ... وقل خفيةً أين استقلت عساكرهُ
ولِمْ شَرِقَ الناعي بمنعاهُ علّه ... رأى شامتاً يُخشى وعيناً تحاذرهُ
وشكواك فاكتمها وقلْ متجلّداً: ... زمانٌ مضت أولاهُ هذه أواخرهُ
وهل ينفع المفجوعَ حبسُ دموعهِ ... وباطنُ ما يُخفيه يبديه ظاهرهُ

***

أبا حسنٍ في الصدر منّي سريرةٌ ... سأكتُمها حتّى تُباحَ سرائرهُ
أعدّوك للأمرِ الجليلِ وأضمرتْ ... خلاف الذي قد أضمروه مقادرهُ
ولم تُدركِ الثأرَ المنيمَ من العدى ... فجفنك لِم أغضى- وهوّم ساهرهُ؟
سلامٌ على النعشِ الخفيف فقد ثوتْ ... ثقالُ المعالي عنده وأواصرهُ
أناعيه خفّض، ((فالشريعةُ)) تعتزي ... إلى ((شيخها)) فانظر لما أنت ذاكرهُ
لفقدك حال الدينُ عمّا عهدته ... فمسلمُه في ذمّة الشرع كافرهُ
فلا بلغَ الناعي على دين أحمدٍ ... مناهُ ولا حاقت يديه بواترهُ
فلو شاء ذاك القبر بيّن كم به ... أماني نفوسٍ قد طوتها ضمائرهُ
فيا لا سقت إلاّ يداه ضريحهُ ... ففيه مُسِحُّ الغيث حلَّ وماطرهُ

النجف عام ١٩٢١

(*) أنشدت في الحفل التأبيني المقام على روح ((شيخ الشريعة)) في الجامع الهندي في النجف وفقد قسم غير قليل من القصيدة لأنّ الشاعر لم يستطع أن ينشرها كاملة بسبب الرقابة الشديدة آنذاك.

ثورة العراق

[إن كـــان طـــالَ الأمـــدُ   فبعـــد ذا اليـــومِ غـــدُ]

مـــا آن أن تجلـــو القـــذى   عنهـــا العيـــونُ الرُمّـــدُ

أســـيافكم مرهفـــةٌ   وعـــزمكم متّقـــدُ

هبـــوا كفـــتكم عِـــبرةً   أخبـــارُ مـــن قـــد رقـــدوا

هبـــوا فعـــن عرينـــهِ   كيـــف ينـــامُ الأســـدُ

***

وثـــورةٌ بـــل جمـــرةٌ   ليعـــربٍ لا تخمـــدُ

أجّجهـــا إبـــاؤهم   والحـــرُّ لا يُســـتعبدُ

لا تنثنـــي عـــن بلـــدٍ   حتّـــى يُشـــب البلـــدُ

خفّـــوا إلى الـــداعي وفي الـــ   ـــحرب جبـــالاً ركـــدوا

واستبشـــروا بعـــزمهم   فهلهلـــوا وغـــرّدوا

وأقســـموا إلى العـــدى   أن لا يلـــين المقـــودُ

يـــأبى لكـــم أن تقهـــروا   عـــزّكم والمحتـــدُ

إن كـــان أعيـــا مـــوردٌ   غـــيرَ الأذى لا تـــردوا

أو كـــان لا يجـــديكم   قربـــى لهـــم فابتعـــدوا

كـــم جلـــب الـــذلَّ عـــلى الـــ   ـــمرء حســـامٌ مغمـــدُ

زيـــدوا لقاحـــاً حـــربكم   لعـــلّ عـــزاً تلـــدُ

إيـــاكم والـــذلَّ إنّ   جُرحـــه لا يُضـــمدُ

***

وللفـــرات نهضـــةٌ   مشـــهودةٌ لا تجحـــدُ

هـــاجوا بهـــا لا لعـــب   فـــيما أتـــوا ولا دَدُ

غطارفٌ من الظُّبا   صرحٌ لهم مُمرّدُ

وفتيةٌ على المنى   أو المنايا احتشدوا

ناديهُمُ الحربُ وصهـ   ـوةُ الجيادِ المقعدُ

لو أُوردوا على ظمأً   بذلّةٍ ما وردوا

من كلِّ مشتدّ الحصا   ةِ رأيه مستحصدُ

***

ناشد بذاك عوجةً   ومثلها يستنشدُ[1]

هل اشتفتْ من العدى   أم بعدُ فيها كمدُ؟

وهل درتْ أبناؤها   إنّ الثنا مخلّدُ

هم عمروها خُطّةً   يصلى بها وتُحمدُ

خالدة ما ضرهم   أنهم ما خلدوا

***

وللقطارِ وقعةٌ   منها تُفزّ الكبدُ[2]

ما تركوا حتّى الحديد   سلسلوا وقيدوا

مرّ وقد تحاشدت   عديده والعددُ

كأنّما لسانهُ   خطيبُ جمعٍ مُزبدُ

كأنّه آلى على   أن لا يطولَ المددُ

---

[1] العوجة: قرية على جانب الفرات وتسمى بالرميثة وفيها الوقعة المشهورة بين الثوار والبريطانيين وقد فاز بها الثوار على الانكليز وتغلبوا عليهم وردوهم بأفظع صورة.

[2] هو القطار المدرع الذي بعثه المحتلون لتأديب الثوار وكان مشحوناً بالضباط البريطانيين وكانت الغلبة للثوار إذ أوقفوه وحطموه واعتقلوا من به.

تكـــاد مـــن هيبتـــه صـــمُّ الجبـــالِ تســـجدُ
تحتشّـــه النـــارُ كـــما بـــالروح ســـار الجســـدُ
لم يُلـــف إلاّ مُوعِـــداً فمـــبرقٌ ومُرعـــدُ
حتّـــى إذا مـــا أجـــلٌ دنـــا وحـــان الموعـــدُ
لم يُنجـــه مـــن الـــردى حديـــدهُ الموطّـــدُ
هيهـــات يُغنـــي عـــن قضـــاءٍ زبـــرٌ مصـــفّدُ
مـــن بعـــد مـــا قـــد أبـــرم الأمـــرَ قـــديرٌ أوحـــدُ
هنـــاك لـــو قـــد وجـــدوا ســـمَّ خيـــاط نفـــدوا[1]
واســـتنجدوا وأيـــن مـــن حَـــينِ النفـــوس المنجـــدُ
ملحمـــةٌ تشـــكر مصـــليها الوحـــوشُ الشـــرّدُ

***

ودعـــوةٌ مشـــهودةٌ تـــدعو ليـــوم يُشـــهدُ
قـــام بهـــا مقلّـــد بعزمـــه مجتهـــدُ
((محمـــد)) ومعجـــزٌ مثلـــك يـــا ((محمـــدُ))[2]

ألقحتهـــا شـــعواءَ لا يطـــاع فيهـــا الســـيّدُ
يَـــرون أقصـــى مطمـــعٍ في الحـــرب أن يُستشـــهدوا
كـــأنّما ليســـت لهـــم نفوســـهم والولـــدُ

***

---

(1) يقال أنفدت القوم اذا خرقتهم ومشيت في وسطهم فإن جزتهم حتى تخلفهم قلت نفدتهم
(2) الشيخ محمد تقي الشيرازي

حتّـــى إذا مـــا ويلســـنٌ | ضـــاقت بهـــا منـــه اليـــدُ[1]
ولم يجـــد لينـــاً بهـــمْ | وهـــل يليـــن الجلمـــدُ
ومـــا رأى ذنبـــاً ســـوى | أنّ حقوقـــاً تُنشـــدُ
وأنّهـــم أولى بـــما | قـــد زرعـــوا أن يحصـــدوا
ســـواعدٌ مفتولـــةٌ | بعزمهـــا تعتضـــدُ
وهمـــةٌ شـــماءُ لا | ينـــال منهـــا الفرقـــدُ
مـــال إلى الحـــقّ ولم | يكـــن لحـــقٍّ يَرشُـــدُ
وقـــال: هـــذا عاصـــفٌ | هـــبَّ وبحـــرٌ مُزبـــدُ
وجـــذوةٌ تلهـــم مـــن | أطرافهـــا مـــا تجـــدُ
ولســـت أقـــوى حمـــل مـــا | تنـــوء عنـــه الكتـــد[2]

***

يـــا ثـــورةَ العـــرب انهضـــي | لا تُخلقـــي مـــا جـــددوا
لا عـــاش شـــعبٌ أهلُـــه | لســـانُهم مقيّـــدُ
ســـيّان عنـــدي مقـــولٌ | أو مرهـــفٌ مجـــرّدُ
أفـــدي رجـــالاً أخلصـــوا | لشـــعبهم واجتهـــدوا
كـــم خُطبـــةٍ نفّاثـــة | فيهـــا تُحـــلّ العقـــدُ
ومقـــولِ قصّـــر عـــن | تـــأثيره المهنّـــدُ
هـــذا لســـاني شـــاهدٌ | عـــدلٌ متـــى تستشـــهدوا
أن لا تـــزال أضـــلعي | تُطـــوى عـــلى مـــا تجـــدُ

([1]) هو الحاكم العسكري العام في العراق ابان الثورة وكان له رأي حسن في الثورة العراقية.

([2]) الكتد: مجتمع الكتفين وقيل هو أعلى الكتف.

عهـــــداً أكيـــــداً فثقـــــوا أنّي عـــــلى مـــــا أُعهـــــدُ

صـــــبراً ومـــــا طـــــاب لكـــــم مرعـــــاكم والمـــــوردُ

صـــــبراً ومـــــا عودتمـــــوا مـــــن قبـــــل أن تضطـــــهدوا

إن رفعـــــتْ رواقَهـــــا الحـــــربُ فـــــأنتم عمـــــدُ

وأنـــــتمُ إذا الـــــوغى أعـــــوزه مـــــن يُوقـــــدُ

نـــــيرانُ حـــــربٍ يصـــــطلي الأدنـــــى بهـــــا والأبعـــــدُ

***

مـــــواطني شـــــقت وأبنـــــاء ((الســـــقوط)) سَـــــعِدوا

يـــــا إخـــــوتي كـــــلّ الـــــذي أمّلتمـــــوه بـــــدَدُ

نصـــــيبكم مـــــن كـــــلّ مـــــا شـــــيدتموه النكـــــدُ

تترّكـــــوا، تـــــأرمنوا تنكلـــــزوا، تهنّـــــدوا

أولا فـــــإنّ عرضـــــكم ومـــــالكم مهـــــددُ

قـــــد أكلـــــت نتـــــاج أقـــــوامي أُنـــــاسٌ جُـــــددُ

أخـــــو الشـــــعور في العـــــراق ضـــــائعٌ مضـــــطهدُ

يحـــــتُّ مـــــن فـــــؤاده مـــــا لا يحـــــتُّ المـــــبردُ

النجف عام ١٩٢١

الثورة العراقية

لعلّ الذي ولّى من الدهر راجعُ فلا عيشَ إن لم تبقَ إلّا المطامعُ
غرورٌ يُمنينا الحياةَ: وصفوُها سرابٌ وجناتُ الأماني بلاقعُ
نسرّ بزهو من حياة كذوبة كما افترّ عن ثغر المحب مخادعُ
هو الدهرُ قارعْه يصاحبْك صفوهُ فما صاحب الأيامَ الا المُقارعُ

***

الى مَ التواني في الحياة وقد قضى على المتواني الموتَ هذا التنازعُ
ألم ترَ أنّ الدهرَ صنفان أهلُه أخو بطنةٍ مما يُعد وجائعُ
إذا أنت لم تأكل أُكلت، وذلّةٌ عليك بأن تُنسى وغيرُك شائعُ
تحدّثُ أوضاعُ العراقِ بنهضةٍ تردّدها أسواقُه والشوارعُ
وصرخةُ أغيارٍ لإنهاض شعبهم وإنعاشه تستك منها المسامعُ

***

لنا فيك يا نشءَ العراقِ رغائبٌ أيسعف فيها دهرنا أم يُمانعُ
ستأتيك يا طفلَ العراق قصائدي وتعرفُ فحواهن إذ أنتَ يافعُ
ستعرف ما معنى الشعورِ وكم جنتْ لنا موجعاتِ القلبِ هذه المقاطعُ
بني الوطن المستلفت العينَ حسنهُ أباطحُه فينانةٌ والمتالعُ
يروّي ثراه ((الرافدان)) وتزدهي حقولٌ على جنبيهما ومزارعُ
تغذيه أنفاسُ النسيم عليلةً تُذيع شذاهن الجبالُ الفوارعُ
أأسلمتموهُ وهو عقدُ مضنةٍ يُناضل عن أمثالهِ ويُدافعُ؟
وقد خبّروني أنّ في الشرق وحدةً كنائسهُ تدعو فتبكي الجوامعُ
وقد خبّروني أنّ للعُرْبِ نهضةً بشائرُ قد لاحت لها وطلائعُ
وقد خبروني أن مصرَ بعزمها تُناضل عن حقّ لها وتدافعُ

وقــد خــبّروني أنّ في الهنــد جــذوةً تُهــاب إذا لم يمنــع الشــرَّ مــانعُ
هبــوا أنّ هــذا الشــرق كــان وديعــة ((فــلا بــدّ يومــاً أن تُــردّ الودائــعُ))

***

ويومٍ نضــتْ فيــه الخمــولَ غطــارفٌ يُصان الحمى فيهم وتُحمى المطــالعُ
تشــوّقهم للعــزّ نهضــةُ ثــائرٍ حنــينَ ظــماءٍ أســلمتها المشــارعُ
هم افترشوا خــدّ الــذليل وأُوطئــت لأقــدامهم تلــك الخــدودُ الضــوارعُ
لقــد عظمــوا قــدراً وبطشــاً وإنّــما عــلى قــدر أهليهــا تكــون الوقــائعُ
وما ضرّهم نبْــو السيوف وعنــدهم عــزائمُ مــن قبــلِ الســيوف قواطــعُ
اذا استكرهوا طعــم المماتِ فأبطــأوا أتــيحَ لهــم ذكــرُ الخلــودِ فســارعوا

***

وفي الكوفةِ الحمراءِ جاشت مراجــلٌ من الموت لم تهــدأ وهــاجــت زعــازعُ
أُديــرت كــؤوسٌ مــن دمــاءٍ بريئــةٍ عليهــا مــن الــدمعِ المــذالِ فواقــعُ
هــم أنكــأوا قرحــاً فأعيــت أُســاتُه وهــم أوســعوا خرقــاً فــأعوز راقــعُ
بكــلّ مُشــبٍّ للــوغى يهتُــدى بــه كــما لاح نجــمُ في الدُجنــةِ ســاطعُ
وممــا دهــاني والقلــوبُ ذواهــلٌ هنــاك وطــيرُ المــوتِ جــاثٍ وواقــعُ
وقد سدّت الأفقَ العجاجةُ والتقــت جحافــلُ يحــدوها الــردى وقطــائعُ
وقد بُحّ صوتُ الحقّ فيها فلــم يكــن ليسُــمعَ الّا مــا تقــول المــدافعُ

كمــيّ مشــى بـين الكُـماة وحولــه نجـومٌ بليـل مـن عَجـاج طوالـعُ[1]

يُعلمهــم فــوزَ الأمــاني ولم تكــن لتجهلــه لكــن ليــزدادَ طــامعُ

وما كان حــبُّ الثـورة اقتـاد جمعَهـم إلى المـوت لـو لا أن تخيـبَ الـذرائعُ

هم استسلموا للموت، والموتُ جارفٌ وهم عرضوا للسيف، والسيفُ قاطعُ

***

ببــاخرة فيهــا الحديـــدُ معاقــلٌ تقيهــا وأشــباح المنايــا مــدارعُ[2]

وإن أنس لا أنس ((الفرات)) وموقفاً بــه مثّلـت ظُلـمَ النفـوس الفظـائعُ

غــداة تجـلّى المـوتُ في غـير زيـه ولـيس كـراءٍ في التهيّــب ســامعُ

تسـيرُ وألحـاظُ الـبروقِ شـواخصٌ إليهــا وأمــواجُ البحــار توابــعُ

تراهـا بيـوم السـلمِ في الحسـن جنـةً بهــا زُخرفــت للنــاظرين البــدائعُ

عــلى أنّهـا والغـدرُ مـلءُ ضـلوعها على النار منها قـد طـوين الأضـالعُ

مدرعــةُ الأطـرافِ تحمـي حصـونهَا كـــماةٌ بطيّـــات الحديـــد دوارعُ

***

ألا لا تَشَــل كـفّ رمتهـا بثاقــب حشـته المنايـا فهـو بـالموت نـاقعُ

من اللائـي لا يعـرفنَ للـروح قيمـةً ســواءٌ لــديها شُــيّبٌ ورضــائعُ

فواتكُ كم ميّلْنَ مـن قـدر معجـبٍ كـما ميّـل الخـدَّ المصـعّرَ صـافعُ

---

[1] الكمي المفرد هنا يتضمن رمزا عاما للكماة الوطنيين من الثوار، ويريد الشاعر كل كمي منهم وكل شجاع وكل قائد منهم ونص في طبعة سابقة على أنّ الكمي هو عبد الواحد الحاج سكر.

[2] هي الباخرة التي رست في الكوفة إبّان الثـورة لمحاربـة الثـوار هنـاك وكانـت عـلى أعظـم أهبـة واستعداد وقد أضرت ما شاءت بالأهالي وكان آخر أمرها ان دُمّرت بأيدي الثوار المدافعين الـذين نسفوها بالقذائف.

أتتهـا فلـم تمنـع رداهـا حصـونُها ... ولـيس مـن المـوت المحـتم دافـعُ
هنالك لـو شـاهدتَها حـين نُكّسـتْ ... كـما خـرّ يهـوي للعبـادة راكـعُ
هوت فهـوى حسـنٌ وظلـمٌ تمازجـا ... بهـا وانطـوى مـرأى مـروعٌ ورائـعُ
فـإن ذهبـت طـيّ الريـاح جهودُنـا ... فعرضُـك يـا أبنـاء يعـرب ناصـعُ
ثبـتٌ وحسـبُ المـرءِ فخـراً ثباتـهُ ... ((كما ثبتت في الراحتين الأصابعُ))

***

ومحيـي لليـل الـتمِّ يحمـي بطرفـه ... ثغوراً أضاعتها العيـونُ الهواجعُ[1]
تكـادُ إذا مـا طـالعَ الشـهبَ هيبـةً ... تخـرُّ لمـرآه النجـومُ الطوالـعُ
مـدبرٌ رأي كلّـف الـدهرَ همـه ... فنـاء بـما أعيـا بـه وهـو ظـالعُ
مهيـبٌ إذا رام الـبلاد بلفظـةٍ ... تـدانت لـه أطـرافُهن الشواسـعُ
((ينـام بإحـدى مقلتيـه ويتّقـي ... بأخرى الأعادي فهو يقظانُ هـاجعُ))
يحـفّ بـه كـلُّ ابـن هـمٍّ إذا رنـا ... إلى الحـيّ ردت مقلتيـه المـدامعُ
يـرى أيـنما جـال اللحـاظ مهاجمـاً ... يصـول ومـا في الحـي عنـه مـدافعُ
تثـور بـه للمـوتِ نفـسٌ أبيـةٌ ... وتـأبى سـوى عـاداتهن الطبـائعُ
يطارحـه وقـعُ السـيوف إذا مشـى ... كما طارحَ المشتاقَ في الأيـك سـاجعُ

***

وقـد راعنـي حـول الفـراتِ منـازلٌ ... تخلـينِ عـن أُلاّفهـا ومرابـعُ
دواثـرُ مـن بعـد الأنـيس توحشـتْ ... وكـلُّ مقـامٍ بعـدَ أهليـه ضـائعُ
جـرى ثـائراً مـاءُ الفـرات فـما ونـى ... عـن العـزم يومـاً موْجُـه المتـدافعُ
حـرامٌ علـيكم وردهُ مـا تزاحمـتْ ... على سفحه تلك الوحوشُ الكـوارعُ

---

[1] هو زعيم الثورة الديني وموري شرارتها الأولى المرحوم العلامة الشيخ محمد تقي الشيرازي.

هـمُ وجـدوا حـولَ الفـرات أمانيـاً لطافــاً أضــلتها نُفــوسٌ نــوازعُ
ولــو قــد أمدتــه السـيوف بحـدّها لغــصّ بِمــوارٍ مــن الــدم كــارعُ
ومهرُ المنى سـوقٌ مـن المـوت حـرّةٌ بهـا يـرخص الـنفسَ العزيـزةَ بـائعُ
فــلا توحــدوه إنّــه يســتمدكم بأنفاســـه تيـــارهُ المتتـــابعُ

***

عـلي أيّ عـذر تحملـون وقـد نهـتْ قـوانينكم عـن فعلكـم والشــرائعُ
على رُغم روحِ الطهرِ عيسى أذلـتمُ بــراء دمــاءٍ هوّنتهــا الفظــائعُ
فيــا وطنــي إن لم يحــن ردُّ فائــتٍ عليـك فـإنّ الـدهرَ مـاضٍ وراجـعُ
وأحلامنـا منهـا صـحيح وكـاذبٌ وأيامنـا مــنهن معــطٍ ومــانعُ
كـما فـرّق الشـملَ المجمّـعَ حـادثٌ فقـد يجمـع الشـملَ المفـرقَ جـامعُ
وما طال عصـرُ الظلـم إلاّ لحكمـةٍ تُنبّــىءُ أن لا بــد تــدنو المصــارعُ

النجف عام ١٩٢١

الليل والشاعر(*)

وليلي به نمّ السنا عن سدوفه فنمّت بما تُطوى عليه الأضالعُ
تَلامعُ في عرض الأثير نجومُه كأنّ الدجى صدرٌ وهن مطامعُ
رعيتُ به الآمالَ والنسرُ طائرٌ إلى أن تبدّى الفجر والنسرُ واقعُ
خليلانِ مذهولانِ من هيبة الدجى تُطالعني من أفقها وأطالعُ
سجيّةَ مطوي الضلوع على الأسى متى يَرُمِ السلوى تعقه المدامعُ
صريعُ أمانٍ لم يقرّبه جاذب لما يرتجي إلّا وأقصاه دافعُ
عمىً لعيون الهاجعين وأسلموا لحرّ الأسى جنباً قلته المضاجعُ
أفي العدل صدرٌ لم تضِق عنه أضلعٌ تضيقُ به ستُ الجهات الشواسعُ

النجف عام ١٩٢١

(*) هذه قطعة مستلة من قصيدة الثورة العراقية ارتأى الشاعر نشرها منفصلة لتحافظ على وحدة الموضوع، وكان مكانها بعد البيت:

أأسلمتموه وهو عقد مضنة يُناضل عن أمثاله ويدافع

الشاعر المقبور

دعا الموتَ فاستحلت لديه سرائِرُهْ أخو موردٍ ضاقت عليه مصادرهْ
عراه سكوتٌ فاسترابت عداتُه وما هو إلّا شاعرٌ كَلَّ خاطرهْ
وحيداً يحامي عن مبادىء جمّةٍ أما في البرايا منصفٌ فيوازرهْ
تفرّد بالشكوى فأسعده البكا لقد ذلّ مَن فيضُ المدامعِ ناصرهْ
يهمُّ ببثِّ النجم سراً فينثني كأنّ رقيباً في الدراري يحاذرهْ
وتُنطقه الشكوى فيُخرسه الأسى فيسكتُ لاحيه إذا جدّ عاذرهْ
يروم مُحالا أن يرى عيش ماجدٍ أوائلُه محمودةٌ وأواخرهْ
فؤادي وإن ضاق الفضا عنه فسحةً فلا بدّ أن تحويه يوماً مقابرهْ
فؤادي وكم فيه انطوت لي سريرةٌ عظيماً أرى يبلى وتبلى سرائرهْ
سيحمل همّي عند منزل وحدتي وتصبح آمالي طوتها ضمائرهْ
فيا طيرُ لا تسجع، ويا ريحُ سكّني هبوباً على جسمي ليسكن ثائرهْ
ويا منزلَ الأجداث رحمة مُشفق عليه ففيك اليوم قرّت نواظرهْ
ويا بدرُ من سامرتهُ وجدكَ انقضى فمن لك بعد اليوم خِلٌّ تسامرهْ؟
عساك إذا ضاقت بصدرك فُرجة تُطالعه في رمسه فتذاكرهْ
ويا خُلةَ الباكي عليه تصنعاً ألم تَكُ قبل اليوم ممن يغايرهْ؟
تحمل ما ينأى فشاطره الردى فما ضرَّ لو كنت الرزايا تشاطرهْ
ويا غاضباً قلبي لترقيق حرّه سراحا فقد دارت عليه دوائرهْ

دعا بكَ يستشفي فأغضيتَ فانطوى ... وما فيه إلاّ الهجرُ داءٌ يخامرهْ
أمن بعد ما وسّدتَه بتَّ جازعاً ... إذا مات مهجوراً فلا رقَّ هاجرهْ
فيا ظلمةَ الآمال عنّي تقشّعي ... فقد تتجلّى عن فؤادي دياجرهْ

النجف عام ١٩٢١

شكوى وآمال

أُعاتبُ فيكَ الـدهرَ لـو كـان يسـمعُ وأشكو الليالي، لو لشكواي تسـمعُ

أكـلُّ زمـاني فيـك هـمٌّ ولوعـةٌ وكـلُّ نصـيبي منـك قلـبٌ مـروّعُ

ولي زفـرةٌ لا يُوسـع القلـبَ ردُّهـا وكيــف وتيــارُ الأســى يتــدفّعُ

أغــرّك منّــي في الرزايــا تجلّــدي ولم تــدر مــا يُخفـي الفـؤادُ الملـوّعُ

خليلي قد شفَّ السُّها فـرطُ سـهدها فهـل للسـها مـثلي فـؤادٌ وأضـلعُ

كأنّي وقد رمـتُ المواسـاةَ في الـورى أخــو ظمــأ منّــاه بــالورد بلقــعُ

كأنّ ولاةَ الأمـر في الأرض حَرّمـت سياسـتهم أن يجمـع الحـرّ مجمـعُ

كــأنّ الــدراري حُملـت مــا أبثّــه إلى الليل من شكوى الأسى فهي ضُلّعُ

كــأنّ بــلاد الحـرّ سـجنٌ لمجـرمٍ ومــا جُرمــه إلّا العـلى والترفّــعُ

ستحملني من مسكن الـذُّلِ عزمـةٌ بوطأتهــا السـبعُ السـوائرُ تخشـعُ

تجنّبني مـن كنـتُ في الخطـب ضَـلّةً بإســـعافه دون البريــــةِ أطمـــعُ

أرى لـك في هـذا التـورّع مقصـداً وإلّا فــما ضــبُّ الفـلا والتـورّعُ

تلفّعــتَ بــالتقوى وثوبُـك غـيره فللّـــه ذيـــاك الضـــلالُ الملفّـــعُ

لعــلّ زمانــاً ضــيعتني صروفُــه يــرقُّ فيُرعــى فيــه قــدرٌ مضـيعُ

وخِـلًّا أسـاء الظـنَّ بي إن بـدت لـه حقيقةُ ما أُخفـي عـن الشـر، يقلـعُ

إليـك زمـاني خـذ حيـاةً سـئمتُها هي السُـم في ذوب الحشاشـة ينقـعُ
وإنّي وإن كنـتُ القليـلَ حُماتُـه فـلي مبـدأ عنـه أُحـامي وأدفـعُ
ولو أنّني أُعجلـتُ خيفـتْ بـوادري ولكـنّ صـبرَ الحُـر للحـرِّ أنفـعُ

النجف عام ١٩٢١

صحو بعد سكر

أإن عنَّ في جُنح الدُّجى بارقُ الحِمى طويتَ على الشوقِ الفؤادَ المتيّما
وباتت تُعانيها ضلوعُك جذوةً تضيءُ إذا ما طارقُ الوجدِ أظلما
جهدتَ فلم تملِكْ مع الحبّ مهجةً بها لم يصحّ الشوقُ الا لتسقما
تودُّ- وفيه الحزمُ- لو كنتَ بالحشا ضنيناً ويأبى الحُب الّا تكرّما
سلوتُ الهوى فليردُدِ النومَ سالبٌ فجفنيَ لم يُخلق لكيلا يهوّما
فما أنا من ريم الحمى بمكانةٍ تُهوّن من قدري لديه لُيكرما
ولا أنا ممن يقتفي الجهلَ كاشفاً فؤادي مرمى للغواني مُرجّما
وما لي وسلسالٍ بخدٍ مرقرقٍ نصيبي منه لوعةٌ تُورث الظما
قِلَىً لك يا ظبي الصريمِ وللهوى فذاك زمانٌ كان، ثُمّ تصرّما
بمثل الذي راشت لحاظُك للحشا رماني زماني لا عفا الله عنكما
وما فيك يا عرشَ الشباب مزيّةٌ على الشيب الّا السيرُ فيكَ على عمى
سلمتَ وقد أسلَمْتَني بيد الأسى كأنّي إلى الموت اتخذتكَ سُلّما

***

خليلي هل كان السُّها قبلُ واجداً خفوقَ الحشا أم من فؤادي تعلّما؟
وهل بحمامِ الأيك ما بي من الأسى شكا فتغنّى، واستراب فجمجما
أظنّك ما رنّمتَ إلّا تجلّداً وإن قال أقوامٌ سلا فترنّما
وما ذاك من ظُلم الطبيعة أن تُرى شجياً، ولكن كي ترى الحزنَ مثلما
ولم تُبكك الأزهارُ وجداً وإنّما نثرتَ عليهن الجُمانَ المنظّما
فُنح يَنُح القلبُ المعنّى فإنّما أقام علينا الليلُ بالحزن مأتما
وبُحْ لي بأسرار الغرامِ فرحمةً بأهل الهوى غنّى مُغنٍ ونغّما

ولا تحذر الشُهبَ الدراري فلم يدع لها بَرَحُ الشهبين قلباً لتعلما
ومنك تعلّمتُ القريضَ منمنماً فحقّ بأن أهديك شكري منمنما
فلا تبتئس إن آلمتك حوادثٌ فان قُصارى الحرّ أن يتألما
أفي كلِّ يوم للحواسد جولةٌ أرى مُقدِماً فيها الذي كان مُحجما
كأن لم أسر من مقولي في كتيبةٍ ولا حملتْ كفّي اليراعَ المصمّما
ولا كان لي البدرُ المعلّى مسامراً وإن كنتُ أعلى منه قدراً وأكرما

النجف عام ١٩٢١

منى شاعر

حمامـةَ أيـكِ الـروضِ مـالي ومالـكِ ذُعـرتِ، فهـل ظُلـمُ البريّـة هالـكِ

نفـرتِ وقـد حـقّ النفـورُ لأنّنـي مُجسّـمُ أحـزان وقفـتُ حيالـكِ

ولـولا جنـاحٌ طـار عـن موقـع الأسـى لكـان قريبـاً مـن منـالي منالـكِ

أعنـدك علـمٌ أنّنـي مـن معـاشرٍ أبـوهم جنـى واختـار أدنـى المسالكِ

رمـاهم إلى شرّ المهالـك آدمٌ فهـم أبريـاءٌ حُمّلـوا وزرَ هالـكِ

هلُمـي هلمـي إنّ هاتيـك نسـبةٌ تقـرّب مـا بينـي وبـين الملائـكِ

***

ألسـنا وإن كُنّـا شـتاتاً يضـمُّنا أسـانا وإن لم تُمـسِ حـالي كحالـكِ

ألفـتِ الريـاضَ الزهـرَ يبسـم ثغرهـا ومـا أُلفتـي غـيرُ الوجـوه الحوالـكِ

هَزجـتِ فنظّمـتِ الـدموعَ قلائـداً فليـت مثـالاً كـان لي مـن مثالـكِ

بعيشـك كـم غنّـى مثيلُـك طـائرٌ وكـم نـائحٍ مـثلي ثـوى في ظلالـكِ

تقولين: خلقٌ ليس يـدري سـوى العنا عجيـبٌ.. فمـن أنبـاك أني كـذلكِ

رأيتُـك قبّلـت الغـدير لأنّـه علـى صـفحتيه لاح مـرأى خيالـكِ

وداعبـت فيـه البـدرَ فانصـاع مُـذعراً يمـوج ارتجافـاً خشـيةً مـن جلالـكِ

فقلـت مطـاراً أُمّـة الشـرق هكـذا تملكـت الأطيـارُ أعـلى المهالـكِ

***

تبـاكوا وقـالوا: الشـرق مـال دعامُـه وهـل دُعَـمٌ قامـت بغـير التماسُـكِ!

وقـالوا: هـي الـدنيا عِـراكٌ، رويـدكم فإنّـا ضـعافٌ مالنـا والتهالـكِ

نصـحنا ولا يُجـدي وكـم قبـل رُدّدت بمثـل مقـالي صـحفُهم ومقالـكِ

***

سـألتُك مـا معنـى وجـودٍ مكـوّنٍ إذا لم تكـن عقبـاه غـيرَ المهالـكِ
وهـل هـذه الـدنيا سـبيلٌ لعـابرٍ أم الأرضُ مهـواةُ الغُـواة الهوالـكِ
وإني أُراني بـين نـومٍ ويقظـةٍ أسـيَّان حـالي في هُنـا أو هنالـكِ
أجيبـي فـلي صـوتٌ يقطّعـه الأسـى فقـد لـذَّ للقلـب المعنّـى سـؤالكِ
فـردّت وأورت مثـلَ زنـدٍ لقـادحٍ خـواطرَ يسـمو وقعُهـا عـن مـداركي
وقالـت: نعـم في ذلـك السـر حكمـةٌ فقلـت: ومـا شـكّكت في غـير ذلـكِ!

***

وبتنـا كـما شـاءتْ أخـوّةُ جنسـنا خليلين أصفى من ((عقيـلٍ)) و((مالـكِ))
درسـنا كتـابَ العاطفـاتِ ومـا اعتنتْ بنـو نوعنـا إلّا بـدرس التفـاركِ
إلى أن بـدا وجـهُ الطبيعـة سـافراً يُضـاحك عـن ثغـر الأقـاحِ المُضـاحكِ
وقـد شرّدت فكـري هنالـك ضـجةٌ لأطيارهـا تـدعو بنبـذِ التفاكـكِ
إذا مـا السـما كانـت دُخانـاً كـما ادعـوا فلـيس سـوى أنفـاسِ أهـل الحسـائكِ[1]
هنـاك شـكرتُ الطـيرَ رأفـةَ مشـفقٍ عـلى جنسـه شـأنَ الحـزين المشـاركِ
مُنى خالجتْ نفسـي وأحبـب بهـا مُنـى تُريـنـي حيـاتي فـوق شُـهب النيـازكِ
فقلـتُ إلى اللقيـا سـلامَ مُـودّعٍ هنالـك عـيشُ الخالـدين هنالـكِ

النجف، عام ١٩٢١

---

[1] الحسائك: جمع الحسيكة وهي الحقد.

في الليل

وليـــلٍ دَجُــوجيّ الحــواشي ســعرتُهُ بنــار الأســى بــين الجــوانح فاســتعرْ
نشــرتُ بــه الآمــال وهــي هــواجسٌ بعقــد الثريــا لــو غــدا مثلهــا انتثــرْ
وردّد لي همـــسُ الطبيعـــة نغمـــةً من الشعر ما كانت سوى خـاطرٍ خطـرْ

***

أعـرتُ الـدراري فكـرةً تبعـث الأسـى إلى القلب شـأنَ النـاظرين ذوي الفكـرْ
شكوتُ إلى البدر الهوى شأنَ من مضـى قُبـيلي فلـم أسـكتْ ولا نطَـق القمـرْ
بثثـــتُ اليـــه أنّـــةً تُـــوهن الصـــفا فلـــمّا تغـــاضى صـــحّ لي أنّـــه حجـــرْ

النجف عام ١٩٢١

مبادلة العواطف(*)

يـــا أخـــا البُلبُـــلِ رفقـــاً هجـــت لي وجـــداً وذكـــرا
لُمـــتَ في أمـــري ولـــو أســـطيعُ مـــا أخفيـــتُ أمـــرا
أنـــت لـــو تعلـــمُ مـــا يُلهـب نفســـي قلـــتَ عـــذرا
كـــان لي سرٌّ ولكـــنْ بـــك قـــد أصبح جهـــرا
قـــد طويـــتُ الحـــزنَ أزمانـــاً فخـــذه اليـــوم نشـــرا

***

أنـــا مـــا غـــرّدتُ لـــو أنيّ رضـــيتُ العـــيشَ أسرا
أنـــا مـــا لجلجـــتُ في أُغنيتـــي لـــو كنـــتُ حُـــرّا
أنـــا أخشـــى النفـــعَ إن جـــاهرتُ فيـــه كـــان ضُرّا
غـــالط الوجـــد وســـلِّ القلـــبَ وادعُ الحـــزنَ شـــعرا
فأنـــا ذاك الفتـــى يطلـــبُ بعـــد ((الخمـــر)) ((أمـــرا))
وســـيبدو لـــك مـــا تهـــواه مـــن أمـــري.. فصـــبرا

النجف عام ١٩٢١

(*) رداً على تحية شعرية لمحمد الهاشمي مطلعها:

أيهـــا البلبـــل غـــرّد وانظـــم الآلام شـــعرا

يا شعب

زعمـوا التطـرّفَ في هـواك جهالـةً   أكـذا يكـون الجاهـلُ المتطـرّفُ
هـذا فـؤادي للخطـوب دَريئـةٌ   وأنـا المُعـرَّضُ فـيكمُ فاسـتهدفوا[1]
أمّـا هـواكَ فـذاك مـلءُ جـوانحي   تحنـو عـلى ذكـراكَ فيـه وتكلـفُ[2]
يا شعر نُمَّ على الشعور فكمْ وكـم   نمّت عـلى زُمـر العواطـف أحـرفُ

النجف عام ١٩٢١

(١) الدريئة: هدف، وهي في الأصل الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها. واستهدفوا يقصد اتخذوني هدفاً لرميكم.

(٢) تكلف: تولع.

بين القلب والاستقلال

وهـواجسٍ في الليـل رامـتْ حمْلَهـا ... شُـهبٌ فعـثن بشـملها المجمـوعِ
مـا أنصـفت فيـه الطبيعـةُ صـبّها ... لّمـا دعـا للشـوقِ غـيرَ سـميعِ
أبـت الجـوانحُ أن تَقـرّ، فمـن يُطِـقْ ... مُلكـاً فلسـتُ بمالـك لضُـلوعي
حُبَّ الرجـوعُ إلى الشباب ولم أجـد ... في مُـرّه مـا يُرتجـى لرجـوعِ
بـين الأضـالع صـخرةٌ لكنّهـا ... مما جنـى الأحبـابُ ذاتُ صُـدوعِ
قلـبٌ عليـه تحالفـتْ زُمـر الهـوى ... فمنيعـهُ للـذلّ غـيرُ منيـعِ
قالوا استقل عـن الهمـوم فقلـت لا ... فهـو التبيـعُ لظـالمٍ متبـوعِ

النجف عام ١٩٢١

فطار الحمام

يا شعبُ كم في القلب من لوعةٍ　　عليك تغلي يا مُهيجَ الغرامْ
شكوتَ عيشاً خلتَهُ وصمةً　　وحبذا عيشُك لو كان دامْ
تزاحمتْ فيك أماني الورى　　((والمورد العذبُ كثيرُ الزحامْ))
هم نصبوا للصيد أشراكهَم　　فلم يجدْ بُداً، فطار الحمامْ
حنّت قلوبٌ لك شوَّقتها　　يا معهدَ الشوق سقاك الغَمامْ
إن نجحتْ فيك أمانٍ لنا　　فهي، وإلّا فعليك السلامْ

النجف عام ١٩٢١

يا يراعَ الحُرّ

أيهّــا الطالــبُ إنصــافاً لقــد رُمــتَ مُحــالا
أنــت مــثلي عــاطشٌ غــرّك إذ أبصــرت آلا
كــاذبٌ مــا نــال شــعبٌ بســوى القــوّة نــالا

***

يــا يــراعَ الحــرّ قــد ضــاق بــك الحــرّ مجــالا
فصــموتاً فلكــم جــرّ لــك النطــقُ وبــالا
واعتــزالا أو يكــون الحــقّ حــرّاً فــاعتزالا

***

يــا أخــا البلبــل شــدواً وشــعوراً واعتقــالا
كلّنــا يــدري الــذي تلقــى كفينــاك مقــالا
لم تطــل دولــة هــذا الظلــم إلّا لتُــدالا

***

عثــرةٌ يــا شــعبُ كانــت أحــرامٌ أن تُقــالا
ألِلى الأحــرار تشــكو وهُــمُ أســوأ حــالا
تهــت لمــا أخمــدوها فكــرةً كانــت ذُبــالا

النجف عام ١٩٢١

جناية الأماني

جلبتْ لي الهمَّ والهمُّ عنا آه ما أروحني لولا المُنى
آه ما أخيبني من غارسٍ شجرَ الآمالِ لكن ما جنى
كلّما حُدثتُ عن نجمٍ بدا حدثتني النفسُ أن ذاك أنا
أملٌ أخشى عليه زمني فلو اسطعتُ أطلتُ الزمنا
لا تذكّرني الهنا يشجو الحشا ذكرهُ إنّي ألفتُ الشجنا
إنّما أشكو حياة كلّها تبعاتٌ كنتُ عنها في غنى
لا تخلهُ في هناء ظاهرٍ كلّ من في الأرض لا يدري الهنا
غرّد الطير فقالوا: مسعدٌ رُب نوح خاله الغرُّ غنا
وانثنى الغصنُ ولولا أنّه حاملٌ ما لم يُطقهُ ما انثنى
أتُرى الأنجمَ طُراً تشتكي ذاء أم الآلام خَصّتْ نجمنا؟
بات يرعى الشُهب مُضنىً جالباً سهراً راق له وهو ضنى
أتُرى استجليتَ منها غامضاً أنت يا من بالدراري افتتنا
آه ما أبهاك يا ليلُ على ظُلمةٍ فيك وما أجلى سنا!
أترى مرتَهناً بات بك الـ ـبدرُ أم بتّ به مرتهنا
قمِنٌ أنت إذا لم تهوه فبه سرّك أضحى علنا
كم فؤادٍ فيك مطويّ على حُرقٍ من غير ما ذنبٍ جنى
ومُعنّى أزعج الشهبَ له حَرُّ أنفاسٍ فرادى وثُنى
فعلى الرفقِ فما أبقى الأسى أملاً يُجدي على الرفقِ بنا

***

أنا حملّتك يا طيرُ الأسى أنا حتّى عُدتُ منه ألكنا

تلـــك أثقـــالُ المنـــى شـــاطرْتني حملَهـــا أنـــتَ فأســـديك الثنـــا
أنـــتَ مـــثلي شـــاعرٌ مُعتـــزلُ يتغنّـــى كـــي يُميـــل الغصـــنا
أنـــتَ لا تطلـــب مـــا لا ينبغـــي فـــدع الألقـــاب عنّـــا والكُنـــى
أنـــتِ يـــا آمـــالُ قـــد عاهـــدتني بالوفـــا لا، لا تخـــوني عهـــدنا
غننـــي باســـم عراقـــي تُشـــجني واتـــرك الشـــام وخـــلّ اليمنـــا
لا أرى لي بـــدلاً عنـــه وقـــد عـــذُبَ الـــوردُ وطـــابَ المجتنـــى
أتـــرى يُغنيـــك عنـــه وطـــنٌ أنـــت يـــا مـــن خـــان هـــذا الوطنـــا
لم تَبِـــعْ شـــعبك لـــو أنصـــفتَه فمـــن الشـــعب قبضـــت الثمنـــا
خلّـــفَ المجـــدَ لنـــا مـــن ســـلفوا أفيخـــزي عارُنـــا مـــن بعـــدنا

النجف عام ١٩٢١

بين الأحبة والبدر

لـئن شـكر الصـبحَ المحبـون إنّنـي شكرتُ الـدُّجى إذ كـان مـا بيننـا سـترا

وليـــلٍ رثـــى لي والأحبـــةُ نُـــوّم لـه مُقلـةٌ بالشـهب مـن لـوعتي عـبرى

بَكيـتُ فَـرَقَّ الـنجمُ لي وهـو صـخرةٌ إلى أن جــرتْ منـــه مَجرتـــهُ نهـــرا

ومـــا لي صـــدرٌ ينفـــثُ الهـــمَّ زفـــرةً ولكنّــه الهـــمُّ الـــذي ينفـــثُ الصـــدرا

خلـيلي مـا اخـترتُ الـدراري لـو أنني وجدتُ بكم من يحفظُ العهـد والسـرّا

ومـا أهـونَ الآلامَ لـو كـان سرُّهـا يبـاح ولكـن أحمِـلُ الوجـدَ والصـبرا

عـلى البـدر مـن غـدرِ الأحبّـة مَسـحةٌ فكـلٌّ قسـا قلبـاً وضـاحكني ثغـرا

النجف عام ١٩٢١

بلية القلب الحساس

تلبّـــد لكـــنْ مـــا حكـــاهُ غـــمامُ ونـــاحَ ولكـــن أيـــن منـــه حمـــامُ
ألا ليـت إحساسـاً وسـلوى تجمّعـا وكيف، وهل يُلفـى سـنى وظـلامُ؟
فمـن أيـن للحسّـاس قلـبٌ يريحـهُ ومـن أيـن للقلـب الغبـيّ غـرامُ؟
أكـلُّ نسـيمٍ للأسـى هـبّ زعـزعٌ وكـلّ ضـبابٍ للهمـوم قتـامُ؟
تطلّـبْ دقيقـاتِ الأمـورِ تفُـزْ بهـا وخـلّ التـي تنـوي فتلـك جسـامُ

النجف عام ١٩٢١

بين النجف وأمريكا(*)

أأمريكُ يا بنتَ ((كولمبس)) لحُبكِ وقعٌ على الأنفسِ

صبوتُ إليك وأين الفراتُ وأهلوه من بحرك الأطلسِ

حننّا ولو كان في وسعنا سعينا إليك على الأرؤسِ

إذا آنس الصبَّ ذكرُ الحبيبِ ففي غير ذكركِ لم آنسِ

هواجس تُدني إليك المنى ولولا المنى قطُّ لم أهجسِ

وإنّي وما بي حبُّ الصخور أحنُّ إلى صخرك الأملسِ

هوى لو بشُهب الدراري صَبَتْ ولو بالعواصف لم تهمسِ

إذا كان من ثمرٍ للمنى ففي غير أرضك لم يُغرسِ

وكم قائلٍ ما اصطلى في الهوى بناري وقد غرَّه ملمسي

أليس سواها نفيسٌ يرام فقلتُ: هواي مع الأنفَسِ

أحباي حتّى م يصبو لكم مَعيفٌ ويذكركم من نُسي[1]

ألا هل أتاكم بأنّي متى تدُرْ كأسُ حبكم أحتسِ

وإنّي كالليل بادي الهموم وإنّي كالنجم لم أنعَسِ

ولي قلبُ حرّ عصيّ الزمام فإن راضه حبّكم يسلسِ

(*) ضمن رسالة بعث بها الى صديق مهاجر الى امريكا.

(1) معيفٌ – في طبعة بغداد الأخيرة – معاف، وقد نبه عليها الشارحون.

وكـــم ليلـــةٍ بـــتُّ في عُزلـــةٍ ومـــن طيـــب ذكـــراكم مجلســـي

***

وبلـــدةِ ذُلٍّ تُميـــتُ الشـــعور فمنطقُهـــا الحـــرُّ كـــالأخرسِ

أحـــبُّ بـــلادي لـــو لم أخـــفْ بهـــا شرّ ذي الغـــدرة الأشرسِ

يجـــاذبُ قلبـــي إليهـــا الهـــوى ويـــأبى المقـــامَ بهـــا مَعْطِســـي

جفـــوني ولا ذنـــب إلّا الإبـــاءُ وإن طـــاب مـــن بيـــنهم مغـــرسي

وقـــالوا تناســـى ولا حَنّـــةٌ وهـــل بلبـــلٌ حـــنّ للمحـــبسِ؟

النجف عام ١٩٢١

ابن الشام

أسفاً تبيتُ رباكِ وهي مَدَرّةٌ ... للرزق، رهنَ الفقر والإملاقِ
خدعوك إذ سموا قيودكِ حِليةً ... ما أشبه الأصفاد بالأطواقِ
لكِ في العراق جوانحٌ ملهوفةٌ ... تشكو الذي تشكينه وتُلاقي
إنّي شآمي إذا نُسبَ الهوى ... وإذا نُسبتُ لموطني فعراقي
ويُذيع منك البرقُ كامنَ لوعتي ... فيدي على قلبي من الإشفاقِ

***

رقّتْ طباعُ بنيك فهي إذا انبرتْ ... سالت كصفو نميرِك الرقراقِ
كم في الجوانح لي إليهم زفرةٌ ... كمنتْ ليوم تزاور وتلاقي
ورسائلٍ برقيّة مهزوزةٍ ... أسلاكُها من قلبي الخفّاقِ
أمّا الهوى فدليلهُ شَرَقي متى ... ذكروا رُباك بدمعي المهراقِ
أرّقْت أجفاني فلو راودتُها ... غمضاً لما طاوعن في الإطباقِ
قالوا: دمشقُ، فقلتُ: غانيةُ الربى ... قالوا: لذاك تطاولُ الأعناقِ

***

ابن الشآم سلامَ صبٌّ واجدٍ ... يُهدي إليكم أكرَم الأعلاقِ
يهفو إليكم لوعةً لا مُدعى ... ما أهونَ الدعوى على العُشّاقِ

أنـا مـا بكيـتُ الشـعرَ ذُلّ وإنّـما أبكـي الشـعورَ يُبـاع في الأسـواقِ

أنـا للتجـاذب نقطـةٌ إن سرّني لقيـاكم سـاء العـراقَ فراقـي

ما كان أصفى ما أسالَ مـن الهـوى هـذا الـيراعُ بهـذه الأوراقِ

النجف عام ١٩٢١

ذكرت الوئام

وليـــلٍ ذكـــرتُ بـــه صـــبوتي فعـــــدتُ إلى الــــزمنِ الأولِ
تجــرّدتُ عـــن تبعـــاتِ الجـــدود وبـــتُّ عـــن الغـــير في معـــزلِ
قســت شُــهبُهُ عــن شــكاةِ الهــوى وحـــدّقن شـــزراً ولم تحفـــلِ
أبـــثُّ لهـــا هـــمَّ عصـــرٍ مضـــى فتبســـمُ عـــن عصـــري المقبـــلِ
ســـهرنا وشـــتانَ مـــا بيننـــا وأيـــن مـــن المســـتهامِ الخلـــي!
أمـــانٍ تســـامتْ فمـــن أجلهـــا حيـــاتي، وفي شرحهـــا مجملـــي
وآنســـت في جُنحـــه وَحْـــدتي فبِـــتُّ كـــأنّي في محفـــلِ
ســكونُ الــدجى وجــلالُ الغــرامِ جناحـــانِ للشـــاعرِ الأعـــزلِ

***

وعاذلـــةٍ في الهـــوى لـــو درتْ بحـــال المحبّـــين لم تعـــذلِ
((ذكــرت الوئــام)) فمــن عَــبرة تســيل ومـــن زفـــرةٍ تعتـلي
كمالُـــكَ جـــرّ عليـــكَ الفنـــاءَ أخـــا القـــرد ليتـــك لم تكمـــلِ
كـــأنّ الـــدنا خـــصّ في واحـــد فكـــلّ يقـــول الـــذي فيـــه لي

***

وهاتفـــةٍ راعهـــا مقـــدمي فـــلاذت بأغصـــانها المُيّـــلِ
أيـــا ورقُ لا تُـــذعري، إنّنـــا شِربنـــا العواطـــف مـــن منهـــلِ
ولا تُنفِـــري ســـانحاتِ المهـــا أصـــبتِ الأمـــانَ عـــلى المقتـــلِ
ويـــا ليـــلُ ردّدْ صـــدى مـــن مضـــى وإن كنـــتَ يـــا ليـــلُ لم تعقـــلِ
فكـــم بـــثّ مـــثلي أخـــو حســـرةٍ إليـــك الغـــرامَ فلـــم تحفـــلِ
ويـــا بـــدرُ كـــرّرْ حـــديثَ الشـــجون فلـــو لا هـــوى بـــك لم تضـــؤلِ

أيـا ليـلُ كـم فيـك مـن خـاطرٍ   لـذي لوعـةٍ بالأسـى ممتلي
وكـم مقلـةٍ فيـك سـهرانةٍ   وكـم غُلـةٍ فيـك لم تُبلـلِ
تجـلّى بـك البـدرُ ربُّ الجمال   فهـام بطلعتـه المُجتلي
أيـا ليـلُ هـام بـكَ المُغرمون   لمـا فيـك مـن عـالمٍ أمثـلِ
فراشـاً بجُنحـك حـاموا علـى   سـنا البـدر ينـزل أو يعتلي
عـلى رغـدٍ أيّهـا النـائمون   فجَفني بـالغَمض لم يُكحـلِ
ويـا ليـلُ رُحمـاك يـا ذا الجـلال   ويـا بـدرُ عطفـاً فأنـت العليّ

النجف عام ١٩٢١

ما هذه النفوس قداح

قِلىً لك يا عصر الشبيبةِ والصبا فإنّك مغدىً للأسى ومراحُ[1]
صحبتُك مرَّ العيش لا الروضُ يانعٌ لديّ ولا الماءُ القَراحُ قَراحُ
تفيّأتُ أطلال التصابى وإنّما نصيبي منها حسرةٌ وبراحُ
حشى أفسحت فيه المُنى خطواتِها فضاقت به الأرجاءُ وهي فساحُ
يقولون: محصوص الجناح هفت به همومٌ وماذا يستطيع جناحُ[2]
على رسلكم إنّ الليالي قصيرةٌ وما هي الا غُدوةٌ ورواحُ

***

أأحبابنا تِهتُمْ علينا فلا الهوى هواكمُ ولا تلك الوجوهُ صباحُ
تحوّلتمُ عن مركب الحبّ واستوى مشوبُ ودادٍ عندكم وصراحُ
إلى مَ انخداعي بالمنى وهي غرّة وتركي فيها الجدّ وهو مُزاحُ
همومٌ تُرى في كلِّ حينٍ بمظهر سواءٌ هديلٌ شائقٌ ونُواحُ
أغاض دموعي أنهن كرائمٌ وأنّ النفوسَ الآبياتِ شحاحُ
وما أعربتْ خرسُ الأراك بلحنها عن الحبّ إلّا كي يقال فصاحُ

***

[1] القلى: البغض.

[2] محصوص: مقصوص، طائر أحص الجناح: قليل ريش الجناح.

لأهل الهوى يا ليلُ فيك سرائرٌ عجابٌ وغدرٌ إنْ يُنمّ صباحُ
رأوا فيك مخضرّ الأماني فعرّسوا بجنحك ما شاء الغرامُ وناحوا[1]
نغضّ لمرآك الجفون وإنّما عيونُ الدراري في دجاك وقاحُ
خروق نجومٍ في سماء تلاوحت كما لاح في جسم الطعين جراحُ
ومرضى قلوبٍ من وُعودٍ وخُلفها ولم تهوَ يوماً أنهّن صحاحُ
براها الأسى حتّى استطار شرارُها فرفقاً فما هذي النفوس قداحُ

النجف عام ١٩٢١

---

[1] عرسوا: نزلوا.

تحيّة الملك والانتداب

نظمت أثر تصريح ((تشرشل))-وزير المستعمرات البريطانية آنذاك- بوضع العراق تحت الانتداب.

لمن الصفوفُ تحفُّ بالأمجادِ   وعلى من التاجُ الملمّعُ بادِ
ومن المُحلّى بالجلال يزينُه   وَقْرُ الملوك وسحنةُ العُبّادِ
ليت الرشيدَ يُعاد من بطنِ الثرى   ليرى الذي شاهدتُ في بغدادِ
حيثُ الملوكُ تطلعتْ توّاقةً   لك، والوفودُ روائحٌ وغوادي
وعلى المواكب من جلالِك هيبةٌ   غصّ الصعيدُ بها وماجَ الوادي
شوّال جئت وأنت أكرمُ وافدٍ   بالعيد تُسعدُ كعبةَ الوفّادِ
أمّا العراق فلستَ من أعياده   وعليه للأرزاء ثوبُ حِدادِ
ملكَ العراق هناك ملككَ إنّه   وقفٌ على سِبطِ النبي الهادي
زفّ العراقُ إلى علاك سلامه   ما بين حاضرِ ربعه والبادي
يدعوك للأمر الجليل ولم تزل   تُرجى ليومِ كريهةٍ وتنادِ
فكَّ العراقَ من الحماية تحُيِه   وامدد لسوريّا يدَ الإسعادِ
عجباً ترومُ صلاحَ شعبك ساسةٌ   بالأمسِ كانوا أصلَ كلّ فسادِ
صرّح لهم بالضد من آمالهم   أو لستَ ممن أفصحوا بالضادِ؟
قم ماشِ هذا الشعبَ في خطواتهِ   لا تتركنْ وطني بغير سنادِ
الله خلفك والجدودُ كلاهما   وكفاك عونُ الله والأجدادِ
هذه الرقابُ ولم تعوّد ذلةً   تشكو إليك نكايةَ الأصفادِ
علت الوجوهَ الواضحاتِ كآبةٌ   ومحا الذبولُ نضارةَ الأورادِ
والرافدان تماوجا حتّى لقد   أشفقت أن يثبا على الأسدادِ

ولقـــد شـــجاني أن تـــرى في مـــأتم   أمَّ الخلائـــفِ مرقـــدَ الأســـيادِ[1]

سل عن ((تشرشل)) كيف جاذبةُ الهوى   حتّـــى اســـتثار كـــوامنَ الأحقـــادِ

هيهـــات مـــن دون الـــذي أمّلتَـــه   وقـــعُ السـيوف ووثبـــةُ الآســـادِ

ومـــواطنٌ حَـــدَبت عـــلى اســـتقلالها   بالســـيف تُرضـــعه دم الأكبـــادِ

يكفيكمـــو بـــالأمس مـــا جـــرَّبتمُ   فـــدعوا السـيوف تقـــرُّ في الأغـــمادِ

أبنـــي الشـــعوب المستضـــامة نهضـــةً   تُـــرضي الجـــدودَ فـــلاتَ حـــينَ رُقـــادِ

هـــذا تـــراثُ الســـالفين وديعـــةٌ   لا تُخجلـــوا الأجـــدادَ في الأحفـــادِ

النجف عام ١٩٢١

[1] أم الخلائف: بغداد.

العلم والوطنية

ألقاها الشاعر في حفل افتتاح مدرسة ((الغري)) في النجف.

يا علمُ قد سعدت بك الأوطانُ فليسمُ منك على المدى سلطانُ
وليسقِ حُبّيك العراقَ ليشتفي منه الغليلُ ويرتوي الظمآنُ
هذّبْ لنا أخلاقَ أهليه فقد غشّى عليها الجهلُ والعُدوانُ
يا أيّها النشءُ الجديدُ تسابقاً بالعلمِ إنّ حياتكم ميدانُ
صونوا البلاد فإنّما عزماتُكم قُضُبٌ ومن أقلامكم خرصانُ[1]
يا شعبُ هل تخشى ضياعاً بعد ما حاطتْ عليك حياضَك الشبانُ؟
شادوا المدارسَ بالعلوم تنافساً فكأنّها بين البلادِ رهانُ
يا جهلُ رفقاً بالشعوب فأهلُها كادت تذيبُ قلوبَها الأضغانُ
لا لن تُفرّقنا الحدودُ، ولم تكن تدري الحواجزَ إخوةٌ جيرانُ
ماذا يريد اللائمون فإنّه وطنٌ يُحبُّ وحبُّه إيمانُ
سنذودُ عنه بعزمِ حرٍّ صادقٍ منه ضميرٌ يستوي ولسانُ
لا يرتضي إلّا المنيّةَ منهلاً أو منزلاً من دونه كيوانُ[2]
لي فيك آمالٌ وصدقُ عزائمٍ لابدّ تنشرُ طيَّها الأزمانُ
ولئن هتفتُ بها أجنُّ فعاذرٌ فلقد أضر بصدري الكتمانُ
يا موطنَ النُّجدِ الغزاةِ هضيمةً كيف ارتقت عن شأنك الأوطانُ[3]
ماذا التواني منك في شوط العُلى هلّا نهضت وكلّنا أعوانُ
إن تخشَ سطوةَ ظالم فلقد تُرى والغربُ منه لحكمك الإذعانُ

---

[1] الخرصان: الرماح.

[2] كيوان: زحل.

[3] نجد: جمع نجيد وهو الشجاع.

غـروك إذ دارت كـؤوسُ خِـداعهم حتّـى سـكِرتَ فعقَّـك النُّـدمانُ

أمـن المـروءةِ أن تنـالَ حقوقَهـا لِقَـطٌ وأنـت نصـيبُك الحرمـانُ

بئسـتْ علاقـةُ واغلـين وإنّـما عـيشُ الكـريمِ مـع اللئـيمِ هـوانُ

قـد سرَّ أكنـافَ الجزيـرةِ مـا رَوَوا يـا مصـرُ عنـكِ ومـادتِ الأركـانُ

مـدي بُروجَـك للعـراق يـبنْ لـه نهـجُ الرشـادِ، أمـدَّك الـرحمنُ

***

يـا أيـّهـا الـوطنُ المفـدّى، دونـه يـومَ الفـداء الأرضُ والأوطـانُ

فـدّتك ناشـئةُ الـبلادِ وشـمّرت لـك عـن سـواعدِ عزمِهـا الفتيـانُ

زاحـم بمنكبـكَ النجـومَ ولا يُطـل شرفـاً عليـك ببرجـه ((كيـوانُ))

وارعَ الشبابَ وصُنْ كريمَ عهـودِهم فهـمُ لصـفحة مجـدك العنـوانُ

النجف عام ١٩٢٢

خل النديم

يهنىء بها صديقه السيد علي السيد إبراهيم الجصاني بقرانه.

خـلِّ النـديمَ، فـما يكـون رحيقَـهُ | وأدرْ لَمــاكَ إذا غفــا إبريقُــهُ
لم يُصـبني كـأسُ النـديم وخمـرُهُ | لـو دام لي ثغـرُ الحبيـبِ وريقـهُ
إن تحمِ عن أهلِ الهوى كأسَ اللَّمى | فـالخمرُ أجـودُ مـا يكـون عتيقـهُ
حاشـا لعهـدك بعـد مـا عوذتُـه | بـدقيقِ خصـرك إن يُحَـلَّ وثيقـهُ
عـين تؤرّقهـا عـدتْكَ قروحُهـا | وحَشـاً تؤججـه عـداك حريقـهُ
حَمِّـل فـؤادي مـا تشـاء يُطـقْ بـه | إلاّ جفـاكَ فـذاك لسـتُ أُطيقـهُ
ما نسبة الخَصْر النحيـف مـع الحشـا | فهـل اسـتُعير مـن الوشـاح خفوقـهُ
أنا ليس لي عنـه غنـىً فلـو ارتضـى | ديـنَ المسـيح فـإنّني بِطْريقـهُ
لا أدعـي هجـر الخيـال وإنّـما | أرّقـتُ أجفـاني فسُـدَّ طريقـهُ
طـرفٌ تنازعـه هـوىً ومهابـةٌ | هـذاك يجذبـه وذاك يعوقـهُ
أم كيف يسـلو عنـك نشـوانٌ ومـن | كـأسِ الغـرام صَـبوحهُ وغَبوقـهُ
قالوا: نزالِ فقلتُ: هل يخشى الوغى | قلبـي وأسـمر قـدّه معشـوقهُ
كـذَب الوُشـاةُ فـما يـزال كعهـده | رغـمَ الصـدود يشـوقني وأشـوقهُ
مـا راق في عينـي سـواه ولا انثنـى | شيءٌ سـواي عـن الأنـام يروقـهُ
بـالرغم منّـي بعـدَ طُـولِ تَواصـلٍ | أرضى بطيـفٍ منـك عـزّ طُروقـهُ
وقـف البيـانُ علـيكما فتغـزُّلي | بـك والثنـاء إلى ((عـلي)) أسـوقهُ
مـا أبعـدَ الشـأوين هـذا إن يضِـقْ | منـه الحشـا فبـذا يُفَـرَّجُ ضـيقهُ
دع عنـك مـن كعـبٍ وحـاتمِ إنّـما | للجـود معنـىً عنـده تحقيقـهُ
المجـدُ مـا روّجـتَ فيـه بضـائعاً | للمكرُمـات فـما عُكـاظُ وسـوقهُ

نسبٌ زهت بأبي الجواد فروعُه وإلى ((محمَّد)) ينتمين عروقُهُ[1]

ذو عزمةٍ مشهورةٍ لو طاردت شُهُبَ السما ما عاقه عَيُّوقُهُ[2]

صال العِدى فقست صَلودُ صَفاته وسرى الندى فاهتزّ منه وريقُهُ

لا يدَّعي الحسّاد شأوَك في العُلى لعريقِ مجدك يُستذَمُّ عريقُهُ

أنعم بليلتك التي قَضّيتها والبدرُ من بين الستور شروقُهُ

لله أيَّ رتاج باب رمتَه حتّى استُبيح بهجمة مغلوقُهُ[3]

عجباً لقلبٍ بالوصال تروعه ودمٍ بلا ذنبٍ هناك تُريقُهُ

لي فيك صوغٌ للبلاغة لو خلا جيدُ الفتاة لزانها منسوقهُ

أرفدتُه لك لا كبائر سلعةٍ لكن كما هنّا الصديقَ صديقهُ

دُمتم على مرِّ الزمان مباهياً بكمُ وأخطى جَمعكم تفريقُهُ

النجف عام ١٩٢٢

---

(١) للسيد ابراهيم من الأولاد غير علي: جواد ومحمد.

(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء يتلو الثريا.

(٣) الرتاج في الأصل الباب الكبير فيه باب صغير.

استعطاف الأحبة

كـلُّ مـا في الكـون حـبٌّ وجمـالُ بتجليـــك وإن عـــزَّ المنـــالُ
بُسـط النــورُ فكـم ثــائرِ بحـرٍ هادئـاً بـات، وكـم ماجـت رمـالُ
وريــاضٌ ضــاحَكَ الزهــرَ بهـا ثغـرُك الصـافي وناجاهـا الخيـالُ
وسـهولٌ كـاد يعـرو هَضْبَها نـزقٌ مـن صبوةٍ لـو لا الجـلالُ
مـا لمـن يهـوى جمـالاً زائـلاً وعـلى البـدرِ جمـالٌ مـا يُـزالُ
لا عــدِمناكِ مُروجــاً للهــوى جـدّة فيهـا، وللـدهرِ اقتبـالُ
عيشُـنا غـضٌّ وميـدانُ الصـبا فيـه مجـرى للتصـابي ومجـالُ
يـا أحبـايَ وكـم مـن عثـرةٍ سـلفت مـا بـالُ هـذي لا تقـالُ
علّلونـا بوعــودٍ مـنكم ربّـما قـد علّـلَ الظمـآنَ آلُ
وعـدوني بسـوى القـرب فقـد شـفَّني الهجـرانُ مـنكم والوصـالُ
لا أمـلُّ العـيشَ مـا شئتم فكونـوا لسـوى حُـبّكم يحلـو المـلالُ
أمـن العـدل ومـا جُـزْتُ الصـبا ومـداه يـألف الشـيبَ القـذالُ
إنهـا أنفُـسُ لم تُخلـق سـدى ورقيقـات قلـوب لا جبـالُ
أشـتكي مـنكم وأشـكو لكُـم إنّ دائـي في هـواكم لُعضـالُ
فعـلى الرفـقِ! كفـاني في الهـوى مـا أُلاقـي، وكفـاكم ذا المِطـالُ
ألـذنبٍ تصـطلي حَـرَّ الجَـوى مهـجٌ كانـت لهـا فـيكم ظِـلالُ

***

أرتجيهـا صـفوةً مـنكم وإن زَعَموهـا بغيـةً ليسـت تنـالُ
إنّـما أغـرى زمـاني بكـم نِعَـمٌ طابـت وأيـامٌ طِـوالُ
لا أذُم الـدهر هـذه سُـنّة: للهنـا حـالٌ وللأحـزان حـالُ

قــد حثثناهــا مطايــا صــبوةٍ لكُــمُ أوشـك يعروهــا الكــلالُ

ورَجَعنــا مــنكمُ خِلــواً وقــد أكلَــت مــنهن آمــالٌ هــزالُ

لا تقولــوا: هجرُنــا عــن علّــة ربّــا سَرَّ حســوداً مــا يقــالُ

أنــا مــن جربتمــوه ذلــك الــ ـطاهرُ الحـبِّ اذا شِـينتْ خِصـالُ

شــيمٌ هــذَّبْنَ طبعــي في الهــوى مـثلما يجلـو مـن السـيف الصّـقالُ

***

أيهّــا النــاعمُ في لذّاتــه: لــذةُ الـنفس عـلى الـروح وبـالُ

شــهوة غرَّتــك فانقَــدْتَ لهــا ومُنــى المــرء شــعور وكــمالُ

النجف عام ١٩٢٢

لبنان في العراق

نظمت بمناسبة قدوم أمين الريحاني إلى العراق

أرضُ العـراقِ سـعتْ لهـا لبنـانُ فتصـافح الإنجيـلُ والقـرآنُ
وتطلَّعـت لـكَ دجلـةٌ فتضـاربت فكـأنّما بُعبابهـا الهَـيَمانُ
أأمـينُ إن سُرَّ العـراقُ فبعـدنا أبكـى ربـوعَ كـولمبسَ الهجـرانُ
لـك بـالعراق عـن الشـام تصـبرٌ وبأهلـهِ عـن أهلهـا سُـلوانُ
لـو تسـتطيعُ دنـتْ إليـك مُدلّـةً فتـزوّدتْ مـن رُدنـك الأردانُ

***

وحّـد بـدعوتك القبائـل إنّـه ألقـى إليـك زمامَـه التّبيـانُ
كيـف التـآلفُ والقلـوبُ مواقـدٌ تغـلي بهـا الأحقـادُ والأضـغانُ
أنِـر العُقـول مـن الجَهالـة يسـتبنْ وضـحُ السـبيلِ ويَهتـدِ الحـيرانُ
وأجهـز بحـدّ رهيـف حـدّ لم يَنُـبْ لـك عـن شَـباه مهنـدٌ وسـنِانُ
خضعت لعنوتـه الطغـاةُ، فأقسـمت أن لـيس تعـدو حُكْمَـه التيجـانُ
نـارٌ تُـذيب النـار وهـي يراعـةٌ عضـبٌ يفُـل العضـبَ وهـو لسـانُ
أنّـى يقصّـر بالعِنـان اذا انـبرى وهـو الجمـوحُ وفكـرُك الميـدانُ

***

زدنـا بمنطقـك الـوجيز صـبابةً فهـو السُّـلاف وكلُّنـا نشـوانُ
مـا كـلّ حـيّ قائـِلٌ مـا قلتَـه لكـنْ أمـدَّ بيانَـك الـرحمنُ
الشـرقُ مُهْتَـزٌ بنطقـك مُعجَـبٌ والغـربُ أنـت بجـوّه مِرنـانُ
والقولُ مـا نمَّقْـتَ، والشـعرُ الـذي يُـوحى إليـك، فصـاحةٌ وبيـانُ
أنـا خصـمُ كـلِّ منـافقٍ! لم يَنْهَنـي حَـذرٌ ولم يقعُـد بيَ الكِـتمانُ
عابوا الصراحةَ منك لمّا استعظموا أن يسـتوي الإسرارُ والإعـلانُ

***

يـا شـعبُ خـذْ بيـد الشـباب فـإنَّهُمْ لـــك عنـــد كـــلّ كريهـــةٍ أعـــوانُ

***

واعـــرف حقـــوقَ المُصـــلحين فـــإنَّما بهـــمُ الحقـــوقُ الضـــائعاتُ تُصـــانُ
واعطف لريحـانِ النُفـوس ورَوحهـا فلـــه عليـــك تعطّـــفٌ وحنـــانُ
واسِ الضعيفَ يكن ليومك أُسـوةً وكـذا الشُـعوب كـما تَـدين تُـدانُ

***

يـا شرقُ، يـا مهـدَ النوابـغِ شـدّما ســاوى مكـــانٌ بيـــنهم وزمـــانُ
للنـــاس كـــان.. وإن أبـــتْ لبنـــانُ ((فأمينُ)) ليس لهـا ولا ((جـيرانُ))

النجف عام ١٩٢٢

الوحدة العربية الممزقة

لم تنشر كاملة بسبب الرقابة الشديدة وضاع ما حذفه الرقيب منها.

حتّى مَ هذا الوعدُ والإيعادُ   وإلى كَمِ الإبراقُ والإرعادُ
أنا إن غصصتُ بها أُحسُّ ففي فمي   ماءٌ وبين جوانحي إيقادُ
يا نائمينَ على الأذى لا شامُكم   شامٌ ولا بغدادكُمْ بغدادُ
تلك المروجُ الزاهراتُ تحوّلت   فخلا العرينُ وصوّح المرتادُ
هُضِمت حقوقُ ذوي الحقوق، وضُيعت   تلك العهودُ وخاست الآسادُ[1]
أعزِزْ على الأجداد وهي رمائمٌ   أن لا تُعِزَّ تُراثَها الأحفادُ
فزِعت إلى تلك المراقد في الثرى   لو كان يُجدي بالثرى استنجادُ

***

قَرّي شعوبَ المَشرقَيْنِ على الأسى   ميعادُ فكِّ أسارِك الميعادُ
أخذوا بأسباب السماء تعالياً   واستنزلوكِ إلى الثرى أو كادوا
يسمو الخيال بنا ويسمو جهدُهم   بِهِمُ، فكلٌّ عنده منطادُ

***

إيهٍ زعيمَ الشرق نجوى وامقٍ   لَهِجٍ بذكركَ هزَّهُ الإنشادُ
إن فَتَّ في عَضُدِ الخِلافةِ ساعدٌ   فلَكَمْ هوت بسواعدٍ أعضادُ
ولكم تضرَّت في القلوب عواطفٌ   ثم انثنت وكأنهنَّ رمادُ[2]
خُطَّت على صفحات عزمك آيةٌ   إنّ الحياةَ ترفّعٌ وجهادُ
حاطت جلالَك عصبةٌ ما ضرَّها   إن أبرقت، أن يكثُرُ الإرعادُ

---

[1] خاس: غدر، لم يف بعهده.

[2] تضرت: اشتدت.

أنـا مـنكم حيـث الضُّـلوعُ خوافـقٌ   يهفــو بهــا التصــويبُ والإصــعادُ

***

أنــا شــاعرٌ يبغــي الوفــاقَ موحِّــدٌ   بــين الشُــعوب ســبيلُه الإرشــادُ

مــا الفــرسُ والأعــرابُ الا كفَّتــا   عــدلٍ، ولا الأتــراكُ والأكــرادُ

لم تكفنــا هــذه المطــامع فُرقــةً   حتّــى تُفــرّقَ بيننــا الأحقــادُ

ألغــاتِ هــذا الشــرق سـيري للعـلى   جنبــاً لجنــبٍ رافقتــك الضــادُ

النجف عام ١٩٢٢

أمين الريحاني

نظمت عند قدوم ((أمين الريحاني)) إلى العراق عام ١٩٢٢، وكانت معدّة لإلقائها في الحفلة التي عزم النجفيون على إقامتها له عند زيارته النجف، ولكن عدم مكثه فيها أكثر من ساعتين حال دون إلقائها.

لمـــن المحافـــلُ جمَّـــةُ الوفّــادِ جَـلَّ المقـامُ بهـا عـن الإنشـادِ
مَنْ زان صدرَ المجلس الأعلى وقد طفحَ الجلالُ بحيثُ فاض النادي
من صاحبُ السّمة التي دلَّت على أدبِ الحضـارة في جمـال البـادي
يـا نجـلَ ((سـوريّا)) وتلـك مزيّـة شـهدت بهـا بمهـارة الأولادِ
في كـلّ يـومٍ للمحافـل رنّـةٌ لـك مـن نيويـوركِ إلى بغـدادِ
مـا قـدرُ هـذا الاحتفـالِ وإنّـما كـلُّ الزمـان محافـلٌ ونـوادي
تَعْـدادُ مجـدِ المـرء منقصـةٌ إذا فاقـت مزايـاه عـن التَّعـدادِ

***

يـا كاشـفَ الآثـار زَوّد أهلَهـا وكفـت بـذورُك عندَهم مـن زادِ
رُحماك بـالأُممِ الضّعاف هـوتْ بها إحـنٌ، فمُـدَّ لهـا يـدَ الإسـعادِ
واشـفقْ عـلى تلـك الجـوانح إنّها حُنيـت أضـالعُها عـلى الأحقـادِ
وحّـدْ بـدعوتك القبائـل تهتـدي عـن غَيّهـا ولكـلِّ شـعبٍ هـادي
إقرأ على ((مصرَ)) السلامَ وقـل لها حَيّـتْ ربـاكِ روائـحٌ وغـوادي
لا توحشـي دارَ الرشـيد فإنهّـا وقـفٌ عـلى الإبـراق والإرعـادِ
وتصـافحي بيـد الإخـاءِ فهـذه كـفُّ العـراق تمـدُّ حبـل ودادِ

***

لا تَرْهَبَنَّـكِ قسـوةٌ مـن غاصـبٍ عـاتٍ فـإنّ الحـقَ بالمرصـادِ
لا تَخْـدَعَنَّك حِليـةٌ موهومـةٌ مـا أشـبه الأطـواقَ بالأقيـادِ
ما أنصفوا التـاريخَ وهـو صحائفٌ بـيضٌ نواصـعُ لُفِّعَـتْ بسـوادِ

***

أمثقّفَ القلمِ الذي آلى على ... أن ليس ترجَحُ كَفّةُ استعبادِ
ومُشيِّداً للشرق ركناً يلتجي ... منه بأمنع ذمةٍ وعِمادِ
أنْصِفْ شكيَّةَ شاعرٍ قد حلَّقت ... بالصبر منه فظائعُ الأنكادِ
إنّي سمعتُ، وما سمعتُ بمثله، ... نبأً يرنُّ على مدى الآمادِ
سوريّةٌ أمُّ النوابغ تغتدي ... هدفَ العداة فريسةَ الأوغادِ
تُضحي على البلوى كما تُمسي وقد ... خَفَتَ الزئيرُ بها عن الآسادِ
لم تكفِها آراؤك الظُّلَمَ التي ... غَشيتْ ولم تهمُم بقدح زنادِ
أكذا يكون على الودادِ جزاؤها ... أم لستَ من أبنائها الأمجادِ

***

حنّت إليك مرابعٌ فارقتَها ... لو أنّ بُعداً هزّ قلبَ جمادِ
حدّثْ عن الدنيا الجديدةِ إنّها ... أمُّ الشعوب حديثةُ الميلادِ
ماذا تقول غداً إذا بك حدَّقت ... خُوصُ العيون بمحضر الأشهادِ[1]
وتساءل الأقوامُ عنّا هل لنا ... فينا الشعورُ وما غِناء الحادي
وتعجَّبوا من مهبطِ الوحي الذي ... سمِعوا وليس سوى قرارةِ وادي
وعلمتَ ما في الدار غيرُ تشاجر ... وتَطاحنٍ ومذلَّةٍ وفسادِ

***

أتُذيعُ سرَّ حضارةٍ إن غيّبت ... منها السرائرُ فالرسوم بوادي
((كلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتى ... فتهون غيرَ شماتةِ الحُسّادِ))

***

قل إن سُئلتَ عن الجزيرة مُفْصحاً ... ما أشبه الأحفادَ بالأجدادِ

[1] الخوص من العيون: التي تنظر شزراً بمؤخرة الطرف.

ما حُوّلت تلك الخيامُ ولا عَدَتْ فينا على تلك الطباع عوادي
نارُ القِرى مرفوعةٌ وبجنبها نارُ الوغى مشبوبةُ الإيقادِ
أبقيةَ السلفِ الكريم عجيبةٌ ما غيرّتكِ طوارىءُ الآبادِ
ما بدّلَتْ منكِ الحقائِقُ مسحةً موروثةً لك قبلَ أعصر عادِ[1]
ما للحوادث فاجأتكِ كأنّها كانت على وعدٍ من الأوعادِ
نام ((الرشيدُ)) عن العراق وما درى عن مصره ((فرعونُ)) ذو الأوتادِ
حالتْ عن العهدِ البلادُ كأنّها لبست لفقدِهُمُ ثيابَ حِدادِ
واستوحشتْ عرصاتُها ولقد تُرى دارُ الوُفادة كعبةَ الوُفّادِ
إذ مُلكُها غضُّ الشباب، وروضُها زاهي الطراز، مفوَّفُ الأبرادِ
وعلى الحِمى للوافدينَ تطلّعٌ بتعاقب الإصدار والإيرادِ
أغرى بها الأعداءَ صيقلُ حُسنِها وجنتْ عليها نَضْرةُ المُرتادِ
فتساندوا بعد اختلاف مطامعٍ أن لا يقيمَ الشرقُ أيّ سنادِ
واذا أردت على الحياة دلائلاً لم تلقَ مثلَ تآلف الأضدادِ

***

إن هزّكم هذا الشعور فطالما لان الحديدُ بضربةِ الحدادِ
أو تنكروا منّي حماسةَ شاعرٍ فالقومُ قومي والبلادُ بلادي
عَجِلَتْ على وطني الخطوبُ فحتّمت أن لا يقَرَّ وُسادُه ووسادي

النجف عام ١٩٢٢

---

[1] الحقائق- في طبعة بغداد- الحقائب وهي مما نبّه عليه الشارحون.

في سبيل الكتاب[*]

إعـــارةُ الكُتْـــبِ رَســـمٌ بـــينَ الصّـــحابِ ورَمـــزُ
وقـــد أخـــذتَ كتـــابي أَظُنُّـــه ســـيُبَزُّ[1]
المُســـتعارُ عزيـــزٌ والمُســـتعيرُ أعـــزُّ
((قَرنـــاكَ)) تغـــدو طحينـــاً والصـــوفُ منـــكَ يُجَـــزُّ

النجف عام ١٩٢٢

---

[*] يداعب صديقا أمسك عليه كتاباً استعاره.

[1] سيبز: سيسلب.

يا أحباي

يا ليالي السفحِ من جنب الحِمى قابلي حَرَّ الجوى من نَفَسي
إن رعينا في هواكِ الذّمما فَلَكَمْ عندكِ عهدٌ قد نُسي

***

يا أحبايَ وإن حال الودادْ وذوى غُصن الصّبا وهو رطيبْ
فلكم ما بين أضلاعي فؤادْ حظُّه منكم عذابٌ ووجيبْ
فسقى دمعي لا صوبَ العهادْ زمناً مرَّ ولم يدرِ الرقيبْ[1]
تُشهدُ الأرضُ بنا شُهبَ السما فسوى الريبةِ لم نحترسِ
عَريت أشواقُنا لكنّما حاكتِ العفةُ أبهى ملبسِ

***

يا مراحَ العيش في ((الحيرة)) لا زلتَ ضحّاكاً من الغيث العميمْ
كنتَ فينا للتصابي مأهلاً حيثُ صحَّ الجو واعتلَّ النسيمْ
إن يكن روضُ شبابي أمحلا فلقد يُقنعني منه الشميمْ
ليت ملّاكَ الهوى ما حرّما ثمرَ اللهو على المغترسِ
ودرى أيَّ فؤادٍ إذ رمى منه أضحى نَهزةَ المفترسِ

***

يا مواثيقَ عهودٍ سلفتْ ذكّري أحبابنا ما عاهدوا
وانشُديهم نفسَ حُرٍ تَلِفَت في هواهمْ ضلّ عنها الناشدُ
عَرفوا كفَّ النوى ما خلّفت فيَّ لو بعضَ همومي كابدوا
لا ترى في الحبّ خَطْباً مثلما مُصْعَبٌ يُعطي قيادَ المسلسِ

---

[1] العهاد: المطر المتواتر.

شــيمة منهــا أُعيــذُ الكَرَمــا يسـتوي المحسـنُ فـيكم والمسِــي

***

لي فــؤادٌ فــيكُمُ إن سُــعّرا بلظى الشوق يَقُـلْ: هـل مـن مزيـدْ

أفمِــنْ أجـل حـديثٍ مُفـترى يؤخـذُ المغـدورُ بـالحكمِ العنيـدْ

أم كـذا الأحبـاب كـانوا أم تـرى ضاعت الأخلاقُ في العصـر الجديدْ

كــيفما شــئتمْ فكونــوا إنّــما لكـم انقـادت ضـعافُ الأنفـسِ

لم يَـدعْ منهـا الجفـا إلّا ذمـا كبقايــا غسَــقٍ في غلــسِ

***

أنا ما استبدلتُ عـن كـأس اللَمى بــدلاً يشــهدُ لي مرشــفُهُ

ذكّــروه العهــدَ والسـفح ومـا ضــمَّنا إن قــال لا أعرفُــه

فــإذا رقَّ فقولــوا حرّمــا ربُّــك الظلــم فلِــمْ تُتْلِفُــه

واذا مــاازوَرَّ قولــوا أجرمــا وهــو مـن عَطْفـك لمـا ييـأسِ

إنّــما الحــبُّ ضـلالٌ وعمــى فاهــدِه نـورَ الرضـا يسـتأنسِ

***

مســتهامٌ بكُــمْ إن عَنفـا عــاذلٌ داجــاه عــن أشــواقِه

قلــت لا ترجــعْ لعهــدٍ سـلفا ((إنّ عمـراً شـبَّ عـن أطواقـه))

قــال غالطــتَ خبـيراً عرفـا كـلّ مـا في القلـب مـن إخفاقـه

قلـتُ يـا قلـبُ نقضـتَ المُبرمـا أنــا لــولاك شـديدُ الملمـسِ

ظــالم خاصــمتُه فاختصــما آه لــو أمهــل دقُّ الجــرسِ

النجف عام ١٩٢٢

هجرت الديارا

هجرتَ الديارَ فقلتُ العَفاء   لربع السرور وزُوَّارِهِ
وبتُّ بليلٍ لفرط الأسى   كَلَيل الضجيعِ على نارِهِ
وظلَّ يحنُّ فؤادُ المشوقِ   لذكر الحبيب وأخبارِهِ
تفيض دُموعي بتَذكاره   زماناً تَقَضّى بأوطارِهِ
ولو بِنتَ - لا بنتَ - عن ذا المحيط   لضاقَ عليَّ بأقطارِهِ
أطلتَ المُقام ألا عودةٌ   تحيي ((الغريَّ)) بأنوارِهِ
لعمري أساء إليك الصنيعَ   زمانٌ يُشاب بأكدارِهِ
كذا الدهرُ كم حاز من خاملٍ   وحرّ تصدى لأفكارِهِ
علوتَ على موجه بعد ما   تحدّاك عارمُ تيارِهِ
تُنمّ بطيب شذاك البلاد   كما الروضُ فاح بأزهارِهِ
بعيشك شاطر فؤادي الهموم   فقد ضاق صدري بأسرارِهِ
فمثلك يُنهضُ قطرَ العراق   ويَجْمَعُ أشتاتَ أحرارِهِ
فلا تحرِم الشرقَ من مِقولٍ   تروع عداه ببتّاره
دُعُوا ودُعيتَ لنظم القريضِ   فكنتَ السَّبوقَ بمضمارِهِ
فهل أنت تغنَمُها فُرصةً   فتُنْهِضَ قطركَ من عارِهِ

النجف عام ١٩٢٢

الشباب المر

طوتِ الخطوبُ من الشبابِ صحيفةً لم ألـقَ منهـا مـا يُعـز فراقَهـا
ومسـهَّدٍ راع الظـلامَ بخـاطرٍ لـو كـان بـالجوزاء حَـلّ نطاقَهـا
ترنـو لـه زُهـرُ النجـوم وإنّهـا لـو أنصـفته لسَـوّدتْ أحـداقَها
أفدي الضُّلوعَ الخافقات يروعني إنّ الرُّقـاد مُسـكّن خفاقَهـا
وأنـا الموآخـذُ في شـظايا مهجـةٍ حَمّلْـتُ مـا لا تسـتطيع، رفاقَهـا
ضـمنتْ لي العـيش المهنّـأ لوعـةٌ أَخـذتْ عـلى شُـهْب السـما آفاقَهـا
يشـتاق أن يَـردَ اللـواذع مـنهلاً صـبٌّ ولـولا لـذةٌ مـا اشـتاقها
هـزِجٌ إذا مـا الـوُرق نُحـنَ لأنّنـي خالفـتُ في حـبّ الأسـى أذواقَهـا
كـم نفثـةٍ لي قَنّعـتْ وجـهَ الـدجى همـاً وأوحـت للسُّـها إخفاقَهـا
ومُهـوّنٍ وجـدي عَدَتْـهُ لـواعجٌ أخرسـن نـاطقَ عذلـه لـو ذاقَهـا
مـا في يـدي، هـي مهجـةٌ وهفـا بهـا داءٌ ألـحّ، وعـبرةٌ وأراقَهـا

***

يا مهـبِطَ الرسـلِ الـدُّعاةِ إلى الهـدى عليـا بنيـك عـن العـلى مـا عاقهـا؟
زحفـت بمدرجـة الخُطـوبِ ففاتهـا شـأوُ المُجِـدّ مـن الشـعوب وفاقَهـا
لحقـت فلسـطينٌ بأنـدلُسٍ أسـىً والشامُ سـاوت مصـرَها وعراقَهـا
مهضـومةٌ مـن ذا يـردُّ حقوقَهـا وأسـيرةٌ مـن ذا يَفُـكُّ وَثاقَهـا

يسـمو القـويُّ وذاك حكـمٌ لم يـدع حتّـى الغصـونَ فشـذّبتْ أوراقَهـا
نقضـت مواثيـقَ الشُـعوب ممالـكٌ باسـم العدالـة أبرمـت إرهاقَهـا

لم تُنْصفوا الأمـم الضّـعافَ، وَرَدْتُـمُ عــذْبَ الحيــاة وأُورِدت غَســاقَها[1]
إنّ الذي قسـم الـورى جعـل الحبـا نصــفاً وقسَّــم بيــنهم أرزاقَهــا

***

هُبّـي ليـوثَ المشــرقينِ وجـدّدي منهــا الحيــاةَ وقــوّمي أخلاقَهــا
صـبحٌ مـن الآمـال أشرق إن يكـنْ حقّـاً فشمسُــكِ عـاودت إشراقَهـا
أســمعت تَهْـدار الأُسـود مهيجـةً تحمي العرينَ وهل رأيـتِ وفاقَهـا[2]
تلك الشُـعوبُ المستكينةُ مـن جـلا عنها القذى؟ من حثّها؟ من ساقها؟
ولقــد علمــت بــأن ذاك لغايــةٍ تســمو بهــا إذ أكثــرت إطراقَهــا
لك في محاني ((الـدردنيل)) معاصـمٌ آلــت تمــدّ عــلى رُبــاكِ رِواقَهــا
حلَفت بمجد الشـرق لا خانـت لـه عهــداً فــأحكمَ حِلْفُهــا ميثاقَهــا

النجف عام ١٩٢٣

---

[1] الغساق: الماء البارد المنتن.

[2] مهيجة: في طبعة بغداد الأخيرة ((مُهاجة)) وقد نبه عليها الشراح.

الروضة الغناء

نَسَجَ الربيعُ لها الرداءَ الضافي وَهَمَتْ بها كفُّ الحيا الوكّافِ[1]

فضَّت بها عذراءَ كلّ سحابةٍ خطرت فنبهتِ الهزارَ الغافي

قضّى الربيع بها ديونَ مَصيفها من سَحّ كلّ مُدِرّةِ الأخلافِ

الحبّ ما ضَمِنَت ضُلوعُ سمائها للأرضِ لا ما يدعيه الجافي

قلبٌ كما اتّقدت لظى، وجوانحٌ رَعْدٌ، وجَفْنٌ دائمِ التّذرافِ

إنّ الذي قَسم الحظوظَ مواهباً أعطى الربيعَ نِقابةَ الأريافِ

وكأنّما لبست به أعطافُها حِللاً يُوشّيها السّحابُ ضوافي

وكأنّما العُشبُ النضير خمائلٌ ومن الورود لها طِرازٌ وافي

وكأنّما هزَجُ الرعودِ اذا حَدَتْ رَكْبَ السحابِ، بشائرُ الألطافِ

وكأن ميّاس الغُصون اذا انتشى غِبَّ السحاب يَعبُّ صِرفَ سُلافِ

وكأنّ مختلف الورودِ صحائفٌ فيها تُخطّ بدائعُ الأوصافِ

وكأنّ خلاّق الطبيعة شاعرٌ نظم الرياض قصائداً بقوافي

وتلبد الجوُّ المُغيمُ كأنّه قُطرٌ عرته سياسةُ الإجحافِ

وكأنّما الماءُ النمير مهنّدٌ للمَحْل تَصقلُه يدُ الإرهافِ

وكأنّه سَلَبَ الأصيلَ رداءه أو دسّ قَرنَ الشمس في الأجرافِ

أين الصفيُّ سرائراً وخلائقاً يَحكي لنا لُطفَ النمير الصافي

مترقرقاً تَلقى السماءَ بأرضه لو لا خيالُ تشابكِ الصفصافِ

وتخالُ إن لمعتْ حصاهُ لآلئاً تُجلى بكفّ النيْقدِ الصرّافِ

---

[1] الحيا الوكاف: المطر الغزير.

ترتـدُّ عنـه الطـيرُ وهـي مُليحـةٌ   ممّـا عليـه مـن الجـلال الطـافي

***

أوحـى النسـيمُ إليـه أنّ عواصـفاً   بعـدي فـأرجفَ خِشـية الإرجـافِ

واهتـاجَ حتّـى ودَّ أنَّ ضـفافَه   سـالت فلـم يُصْبحْ رهينَ ضـفافِ

ليـتَ الـذي قـاد الزعـازعَ ردَّهـا   عـن مثـل هـذا الجـوهرِ الشـفّافِ

***

الروضـةُ الغنّـاء مفـرشُ لـذّتي   حيـثُ الخيـالُ مطـرَّزُ الأفـوافِ[1]

تتسـاند الأعشـاب في جَنَباتهـا   فـترى القـويَّ يشُـدُّ أزرَ ضِـعافِ

باكرتُهـا والـنجمُ متّقـدُ السـنا   لِهِثٌ وقـد ضرب الـدُّجى بسِجافِ

والطـيرُ يكـتُمُ نطقَـه متحـذّراً   خـوفَ انتبـاه الصـبح للأسـدافِ[2]

حتّـى إذا مـا الفجـرُ حـان نشـورُه   وسـطا الصـباحُ بجيشـه الزّحّـافِ

خلعـت عليـه ذُكـا مَـلاءة نورهـا   فتبـاشرت منهـا ربـىً وفيـافي

فأخـذتُ أنشـدها وعنـديَ هـاجسٌ   أخـذَ الهمـومَ عـليَّ مـن أطـرافي

لو شـاء مـن ضـمَّ الأزاهـرَ لم تكـن   لتَعيـثَ في الأكـوان كـفُّ خـلافِ

لّمـا تزاحمـت القُـوى وتهافتـتْ   منهـا سِـمانٌ لانتهـاك عِجـافِ

مُتكـالبين كـأنَّ ربَّ لُغـاتهم   مـا خـطَّ فيهـا لفظـةَ الإنصـافِ

لـو أنّ ألقـاب الـورى في قبضـتي   حـلَّ الوضـيعُ محلّـة الأشرافِ

---

[1] مطرز الأفواف: الثوب المطرز.

[2] الأسداف: جمع سدف وهو الظلمة.

لـو كـان في مـالِ الغنـيّ لُمعْـوَزٍ حـقٌّ لسـادت عيشـةٌ بكفـافِ[1]

يسـمو الغنـيُّ عـلى المُقِـلِّ وعنـده أنّ الثـراء قـوادمٌ وخـوافي

عـاثوا بشـمل الاجـتماع فحبـذا يـومٌ يَعيـث القصـدُ بـالإسرافِ[2]

خـير مـن الأشِرِ الضـنينِ صـعالكٌ لا يسـألونَ النـاس بالإلحـافِ

لِتُبَجّـلِ النـاسُ الغنـيَّ فـإنّني كلِـفٌ بتبجيـل الفقـير العـافي

النجف، عام ١٩٢٣

(١) الكفاف: المساواة.

(٢) القصد: العدل.

النقمة

قد كنتُ أقربَ للرجاء فصرتُ أقربَ للقنوطِ
كلُّ البلاد إلى صعودٍ والعراقُ إلى هبوطِ
في كلِّ يوم مبدأٌ أُوّاهُ من هذا السّقوطِ

***

وطنٌ أقامت ركنَه شبانُنا بدمٍ عبيطِ[1]
يا للرجالِ تلاقفته يدُ الأعاجمِ والنَّبيطِ
سقط النشيطُ على افتقار الخاملين إلى النشيطِ
ولقد بَكيتُ على حُبوطِكِ يا بلادي لا حبوطي

***

يا نائماً ما نَبَّهَتْهُ الحادثاتُ من الغطيطِ
لم يبقَ من نسجِ الأكفِّ المُحكَمات سوى خُيوطِ
خُدِعت جموعٌ عن صريحِ الحقِّ بالكَلِمِ البسيطِ
أبداً تَقَرُّ على ضياعٍ في حقوقٍ أو غموطِ

***

أمّا أنا فكما ترى بين الطبيعةِ والمحيطِ

---

[1] الدم العبيط: الخالص الطري.

أُفٍّ لهـا مـن عيشـةٍ مـا بـين وغـدٍ أو لقـيطِ
يـا شـعرُ ثُـرْ إنّ الشـعور مهـدَّدٌ، يـا نفـسُ شِـيطي

النجف عام ١٩٢٣

أمنعم القلب الخلي

أمنعَّمَ القلبِ الخليِّ   تركتني حِلْفَ المحنْ
لم ترعَ عهدَ فتىً رعاك   على السريرةِ وأتمنْ
سل جَفنك الوسنانَ هل   علمتْ جُفوني ما الوسنْ
لحظُ الحبيب أثارَ بين   النومِ واللحظِ الفتنْ
إن كان لابدَّ الرّها   نُ فرحمةً بالمُرتَهنْ
رفقاً بقلبِ ما درى   غيرَ الشجا بك والشجنْ
يصبو لذكرك كلّما   ناح الحمامُ على فننْ
أخشى يطولُ على الصراطِ   عذابُ مَطلعِكَ الحسنْ

***

ما ضرَّ من ضَمِنَ الحشا   لو كان يرعى ما ضَمِنْ
طَرْفٌ قريرٌ كان فيكَ   رماه هجرُكَ بالدَّرَنْ
الله ماذا حَمَّلت   كفُّ النوى هذا البدنْ

***

لا تحسبوا ماءَ الفُراتِ   كعهدكمْ فلقد أجَنْ[1]
حسدَ الزمانُ لياليا   سَمَحَ الوصالُ بها فضنْ
أعذَرْتُمُ لولا النوى   ووفَيْتُمُ لولا الزمنْ
لو تُشترى بالروح   أيامُ الصبا قلَّ الثمنْ

***

---

[1] أجن: تغير لونه وطعمه.

ولقـــد وقفـــتُ بـــداركمْ وكأنّهـــا بطـــنُ المِجَـــنْ[1]

يـــا مـــألفَ الأحبـــابِ حُلْـــتَ وحـــال عهـــدُك بالسَّـــكنْ

واعتضـــتَ آرامـــاً ســـوانحَ فيـــك عـــن ريمـــي الأغـــنْ

وذَعـــرْتَ سِربي بـــالفِراق فليـــتَ سربَـــك لا أمِـــنْ

ويـــحَ المعـــذّبِ بالبِعـــاد تَهِيْجُـــه حتّـــى الـــدِّمَنْ

مـــاذا عـــلى العُـــذَّال إن وجَـــدَ المقـــيمُ بمـــن ظعـــنْ

أيُـــلامُ إلْـــفٌ بـــان عنـــه أليفُـــه فبكـــى وحـــنْ

لـــو لم يشُـــفّ القـــوسَ مرمـــى ســـهمِهِ مـــا كـــان رنْ

النجف عام ١٩٢٣

[1] المجن: الدرع.

النشيد الخالد

تزاحمتِ الآمالُ حولكِ وانبرتْ قلوبٌ عليهنّ العُيون شواهدُ
مشت مهجتي في إثرِ طرفكِ واقتفتْ دليلَ الهوى والكلُّ منهنَّ شاردُ
حُشاشةُ نفسٍ أُجهِدتْ فيك والهوى يُطاردها عن قصدها وتطاردُ
أجابت نفوسٌ فيك وهي عصيّةٌ ولانت قلوبٌ منك وهي جلامدُ
أعلَّ السُّها مَسرى هواك وأوشكت تَنازَلُ عن أفلاكهنَّ الفراقدُ[1]
ورغّبَني في الحبّ أن ليس خالياً من الحبِّ إلّا باردُ الطبعِ جامدُ
إذا كان وحيُ الطرفِ للطرف مُدلياً بأسرارِ قلبينا فأين التباعدُ
خليليَّ ما للعين في الحبّ ريبةٌ إذا كَرُمت للناظرين المقاصدُ
ولي نزعاتٌ أبعدتْها عن الخنا سجيّةُ نفسٍ هذّبتها الشدائدُ
أقاويلُ أهلِ الحبّ يفنى نشيدُها وأمّا الذي تُملي الدموعُ فخالدُ
وما الشعرُ إلّا ما يُزان به الهوى كما زَيّنت عُطلَ النحورِ القلائدُ

النجف عام ١٩٢٣

---

(١) أعل: أمرض.

سلام على أرض الرّصافة

صبوتُ إلى أرضِ ((العراقِ))وبَرْدِها إذا ما تصابى ذو الهوى لربى نجدِ
بلادٌ بها استعذبتُ ماء شبيبتي هوىً ولبستُ العزَّ بُرداً على بُردِ
وصلتُ بها عُمْرَ الشباب وشَرْخَه بذكرٍ على قربٍ وشوقٍ على بعدِ
بذلتُ لها حقَّ الودادِ رعايةً وما حَفِظَ الودَّ المُقيمَ سوى الودِّ

***

سلامٌ على أرضِ ((الرُّصافة)) إنّها مَراحُ ذوي الشكوى وسلوىذوي الوجدِ
لها الله ما أبهى ودجلةُ حولها تلفُّ كما التفّ السوارُ على الزندِ
يُعطّرُ أرجاها النسيمُ كأنَّما تنفسَّ فيها الروضُ عن عابق النَّدِ[1]
هواؤكِ أم نشرٌ من المسكِ نافحٌ وأرضُكِ يا بغدادُ أم جنّةُ الخلدِ

***

أحباي بالزوراء كيف تغيَّرتْ رسومُ هوىً لم يُرعَ جانبُه بعدي
رَضينا بحكم الدهر لا جوُّ عيشنا بصافٍ ولا حبلُ الودادِ بممتَدِ
كأن لم نحمِّلْ بيننا عاتقَ الصَّبا رسائلَ أعيته من الأخذِ والردِ
جفوتمْ ولم أنكر جفاكم فلستمُ بأولِ صَحْبٍ لم يدوموا على العهدِّ

النجف عام ١٩٢٣

---

[1] الند: الطيب.

لا تفكوا إساره

شـبابٌ ولكـنْ في هـواكم أضـعتهُ   وغـرسٌ ولكـنْ مـا جنيـتُ ثـمارَهُ
أسَرْتُـم فـؤاداً لا يحـبُّ انعتاقَـه   بحـبِّ سـواكم مـا رضـيتم إسـارَه
خـذوه تُريحـوا أضـلعاً كابـدتْ بـه   همومـاً برتهـا.. أبعـد الله دارَه!!
ولم أنسَ يومَ السـفح إذ طلّـه النـدى   ولا كـأسَ إلّا طرفُـه فـأدارَه
أقـولُ لـه لا تُرجـع اللحـظ إنّنـي   مـن النظـرة الأولى عَرَفـتُ اقتـدارَه

النجف عام ١٩٢٣

الشاعر السليب

((بَلينا وما تَبْلى النجوم)) الرواكدُ	رسومٌ عَفَت منها العلا والمحامدُ[1]
أصاخَ بها للجهلِ طيرٌ مشرَّدٌ	وسابتْ بها للغيِّ رُقْمٌ أساوِدُ[2]
وليلةَ بتنا بالغريّ بساطُنا	رياضٌ ومن خدّ الشقيق الوسائدُ
تخال الصَّبا إمّا سرتْ كفَّ لاقطٍ	وقد نُظِمَتْ للطلِّ فيها فرائدُ
تجمّع للأحزانِ جوٌّ ملبدٌ	وهبّت من البلوى رياحٌ رواكدُ
ومما شجا أنّ الثلاثةَ قادهم	لما قادني حَظٌّ عن الكلّ شاردُ[3]
صغارٌ بغوا للنحو شرَّ وسيلةٍ	تضِلُّ بها للسالكين المقاصدُ
يقولون أعْرِب قام زيدٌ وخالد	وما جرّ إلّا الشؤمَ زيدٌ وخالدُ
فقلتُ: لئن قاما فذا الفعل حاضرٌ	وقد بان عمّا تسألون الشواهدُ
وقالوا: جلاميدٌ أُقيمت محارباً	فقلتُ: جسومٌ دونهن الجلامدُ
فلمّا دنونا وانجلى ضوءُ بارقٍ	من الحقّ، جلّى الظنُّ والظنُّ فاسدُ
هناك التقى الجنحانِ منها وأخفقا	ضعيفان مقصودٌ هناك وقاصدُ
وما منهم إلّا كما البرجُ ناهضٌ	علينا ومثلَ الكلب للتُّرب ساجدُ

[1] تضمين من مطلع قصيدة للبيد: بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع.

[2] رقم: جمع أرقم وهو الحية فيها سواد وبياض والأساود: جمع أسود وهو الحية.

[3] هم ثلاثة من طلبة العلم في النجف كانوا مع الشاعر.

يقولـون: لا تَهمِـس، وبـالهمس قـولهم فقلــتُ: اسـتوى منــا خـليٌّ وواجــدُ

أراكم ((حسبتم كـلَّ بيضـاء شـحمةً)) من النـاس أو ضـاقت عليكم فدافـدُ[1]

وإلّا فهــل أغنــتكمُ عــن طرائـفٍ مــن المـال هــذي الباليـاتُ الأوابـدُ[2]

لهــم حسـبٌ في اللـؤم دقَّـت عروقُـهُ طوارفُــه تســمو بهــم والتوالــدُ

مُحـالاً أرى تصـحو مـن الغـيّ قفـرةٌ أراذلُهــا تُكسـى وتَعـرى الأماجـدُ

لــئن ســلبوا ثوبــاً أرثّ فبعــد مــا كسـتهم ثيـابَ العـار منّـي القصـائدُ

النجف عام ١٩٢٣

---

(1) فدافد: جمع فدفد وهو الفلاة.

(2) الأوابد: القديمة.

في تقريظ ديوان ابن الخياط

وما الروضُ راوحَه مُثقَلٌ من المُزْنِ يَحْمِلُ ما لا يُطيقُ
فعاطاه من صوبِ أكوابه هنالك ما لا يُعاطى الرحيقُ
وفَضَّت لطائمَهُنَّ الرياحُ عليه كما فاح مسكٌ فتيقُ[1]
بأحسنَ مما أجادَ القريض وحلاّه هذا الكلامُ الرشيقُ
بألفاظه وهي غُرٌّ رِقاقٌ ومعناه وهو الغريبُ الدقيقُ
سيُبْلي زمانُك حتى الحديدَ ويُبْليه هذا النسيجُ الرقيقُ

النجف عام ١٩٢٣

---

[1] اللطيمة: وعاء المسك والمسك الفتيق الذي خلط وطيب بعود.

أعيذكم من كذبتين

خـذوا كَبِـدي قبـل الفـراق فإنّهـا　معـوّدةٌ ألاّ تَقَـرَّ عـلى النَّـزْحِ
ومـن نسـماتِ الصبح روحٌ جديـدةٌ　بعثـتُمْ بهـا لي قبـلَ مُنبلجِ الصبحِ
يُصعدُ من وجدي بكمْ رونـقُ الضحى　إذا ارتفعت شمسُ النهار على رمحِ[1]

***

ونُبِّئْـتُ أنَّ البعـدَ أورى زنـادَكُمْ　فلـم تعرفـوا غـيرَ الوقيعـةِ في قَـدْحي
هلُمُّـوا انظـروا قلبـي فـإنّ صفاءَه　يبـينُ الـذي خلَّفـتُمُ فيـه مـن قَـرحِ
محضـتُ لكـم رشـحَ الـودادِ كعـادتي　ولم تعرفـوا لي غـيرَ مُختلَطِ الرشـحِ
لـئن سرَّكـم أني إلى العـيش كـادحٌ　لقـد سـاءني أنيّ لغـير العـلى كـدحي
فـما عرفـت كفّـي التسـوّلَ للغنـى　ولا صـافحت كفّـاً تُمـدُّ إلى المـنحِ
وإنيَ مُـذ فـارقتكم كـان لي غنـىّ　وشـغلٌ عـن المـال المجمَّـع بـالطرحِ
أُعيـذُكُمُ مـن كـذبتين فلـم يكـن　ليصْـدقَ في الـذمّ المصَّـدقُ في المـدحِ

النجف عام ١٩٢٣

---

[1] ورد البيت في طبعة دار العودة - بيروت - كالآتي:

يـذكرني عليـاكُمُ رونـقُ الضـحى　اذا ارتفعـت شـمس النهـار عـلى رمـح

صوت من النجف

إثر ضجة مدسوسة على مقال ((الأكثرية الشيعية في العراق)) الذي نشرته جريدة الشاعر ((معروف الرصافي)) ((الأمل)) وقد قدم الرصافي الشاعر والقصيدة تقديماً رائعاً: (أحدث بعض تجار الوطنية في هذه العاصمة ضجة كبيرة في الصحف حول مقال نشرته هذه الجريدة بعنوان ((الأكثرية الشيعية في العراق)) (نشر في العدد الأول منها) فأساء ذلك الضجيج عقلاء الأمّة في جميع أنحاء القطر لا سيمّا في النجف، فقد جاءتنا كتب عديدة يستحسن فيها مرسلوها، وهم من علية القوم، خطتنا وبالخاصة مقالتنا تلك، ويستهجنون دعوى المتاجرين المنافقين، كما وردت إلينا قصائد شائقة من أفاضل ذلك المركز الديني الخطير توجت هامتنا بتاجٍ من الشرف والمجد وها نحن ننشر الآن إحداها وهي لفاضل نجفي معروف طالما تحلّت صحفنا العراقية بقصائده الرائعة، وازدانت بأدبه الجم).

أنابغةَ الدين الذي دون عِرضه تدافع يُسراه وتحمي يمينُهُ

مقالُك هز المشرقَيْنِ وقد بكى لما هاجه ركنُ الصفا وحجونُهُ

شحذتَ له الذهنَ الذكيَّ توقّداً كما شحذتْ عضبَ الغِرار قُيونُهُ

فجاء كما راقت شَمولٌ أجادها ((بناجُودِها)) دهرٌ أَسفَّتْ سنينهُ[1]

وما كنتَ شيعياً ولكنّ مذهباً دعاك لكف الظن عنه يقينُهُ

صدقتَ فإمّا ذنبُه فسكوتُهُ لدينا وأمّا عارُه فسكونهُ

كثيرٌ محبّوه الكرام وإنّما لِما قد عراه أخرستهم شجونهُ

***

هو الدينُ إمّا حاكمتْه خصومُه فقرآنهُ يقضي عليهم مبينُهُ

وما هو إلّا واحدٌ في جميعهِ وإنْ رجّم الغاوي وساءتْ ظنونهُ

أخلاي ما أحلى التآلفَ في الهوى اذا كثُرتِ عُذّالُهُ وعُيونهُ

هلُمّوا فهذا الروض زاهٍ أريضُهُ لنرتاده والماءُ صافٍ معينهُ

نسير معاً لا العرق منّي بنابِض سواكم ولا عهد الإخاء أخونهُ

فلو ريم كشفُ السترِ عن قبر أحمدٍ إذن لشجانا نَوْحُهُ وحنينهُ

تجمُّعُنا من أمرِه لو نُطيعه ووحدتُنا من عهده لو نَصونهُ

***

أعد نُصرةَ الإسلام تُقضَ دُيونه سيَجزيك عنه الله فالدينُ دينهُ

أثرها على اسم الله نفثةَ واجدٍ تَهيجُ الذي يُطوَى عليه حزينهُ

ألستَ الذي إن قال أصغتْ لشعره رياضُ الحمى واستنشدته غُصونهُ

---

[1] ((الناجود)): هي ((الخمرة)) المتميزة بجودتها. و((الشمول)): الخمرة التي بردتها ريح الشمال.

يبـين لـه السـرُّ الخفـيُّ إذا خفـى   عـلى غـيره مـا لا يكـاد يبينـهُ[1]

وتُـرقصُ أوتـارَ القلـوب لحونُـه   يُخال بهـا مـسُّ الصّبا أو جنونـهُ

فـلا تبتـئسْ إن طاولتـك قصـائرٌ   وناطحـك الكـبشُ الخفـاءُ قرونـهُ

فـذلك دأبُ الـدهرِ جرّع من مضى   بمثـل الـذي جُرَّعتَـه مَنْجَنُونُـه[2]

مضـى عـالمُ الآداب عنّـا فهـذه   حقائقـه تفنـى ويحيـا مُجونـهُ

وللعلـم مثـلَ الشـعب عمرٌ مقـدّر   وكـلاً أراه حـان للمـوت حينـهُ

أفي العـدلِ يعلـو مـن ذُبـابٍ طنينُـه   ويَصـفِرُ بالليـث الهزبـرِ عَرينـهُ؟

ويُسكتُ عن حقٍّ، ويُعـزى بباطـل   وتُغضي على هضـم الأبيّ جُفونـهُ؟

ويُظلـمُ مـن كانـت تَهـشُّ لصـوته   سهولُ الفلا شوقاً، وتبكـي حُزونـهُ

يُـردّد في صـدح الهـزار صُـداحُهُ   وتستقطرِ الصـخرَ الأصـمَّ لُحونـهُ

وما كان بالمستضعفِ العزمِ من سطا   بعـزِّ المعـالي والمعـالي تُعينـهُ

وراءك أقـلامٌ يهـوِّن وقْعُهـا   شبا السيف إن ساوى القرينَ قرينـهُ

تُمـدُّ بهـا أيـدٍ طِـوالٌ يُطيعهـا الـ   ـبيانُ جنيبـاً إن تعاصـت فُنونـهُ

ويرفـدها الفكـرُ الغزيـرُ كأنّـه   مَصـبُّ غـديرٍ طافحـاتٍ مُتونـهُ

النجف عام ١٩٢٣

---

(1) خفى: مثل خفي.

(2) المنجنون: الدولاب.

على أطلال الحيرة

وقفتُ عليه وهو رِمّةُ أطلالِ أسائله عن سيرةِ العُصُرِ الخالي
مضى أهلُه عنه وخُلّفَ موحشاً مُعاصرَ أجيالٍ مُترجمَ أحوالِ
خليليَّ ما لوحُ الكِتاب مخلَّداً بأفصحَ منه وهو مندرسٌ بالي
مُهيّجَ بلبالِ ((المناذرةِ)) الأولى بأنسك، هجتَ اليومَ بالحزن بلبالي[1]
أهابُك إنْ أدنو إليك كأنّني أرى الملكَ الغضبانَ في دسته العالي[2]
أفي يوم ((بؤسٍ)) أم ((نعيمٍ)) زيارتي إليك لَقد خاطرتُ بالنفس والمالِ
أخاف ((أبا قابوس)) أن لا يسرَّه لساني ولا يُرضيه شكلي ولا حالي[3]
أبعد ابن ((ذبيانٍ)) زيادٍ لسانهِ ونابغِه يُصغي ليسمعَ أقوالي[4]
بلادك يا ((نُعمان)) سلْ كيف أصبحت فغيرُك ليس اليوم عنها بسآلِ
فلا تحسبنْ أنّ العروبة معقِلٌ منيعٌ: فقد أضحت نِهاباً لدُخّالِ
ولا تحتقرْ هذا المقال فإنّه وإن قلّ يكبو دونه كلُّ قوّال
لقد أعْدتِ العربَ المقاويلَ رطنةٌ وزمزمةٌ ليست بزجرٍ ولا فالِ

---

[1] المناذرة: هم ملوك الحيرة في الجاهلية.

[2] الملك الغضبان: يريد به ((النعمان بن المنذر)) أقوى ملوك الحيرة.

[3] ابو قابوس: هي كنية النعمان.

[4] ابن ذبيان: ((زياد)) هو النابغة الذبياني.

لـو انّ ((زيـاداً)) و((المنخَّـلَ)) راجعـا　زمـــاني لمـبـا جـــاءا بــراء ولا دالِ[1]

يَعيبُـــكِ يـــا أمَّ الجـــمالِ مـــبغَّضٌ　مـن القـول عـارٍ عـن جمـالٍ وإجمـالِ

خلـيليَّ بـاع النـاس بخسـاً بلادَهـم　فـمالي وحـدي سُـمتها الـثَمن الغـالي

النجف عام ١٩٢٣

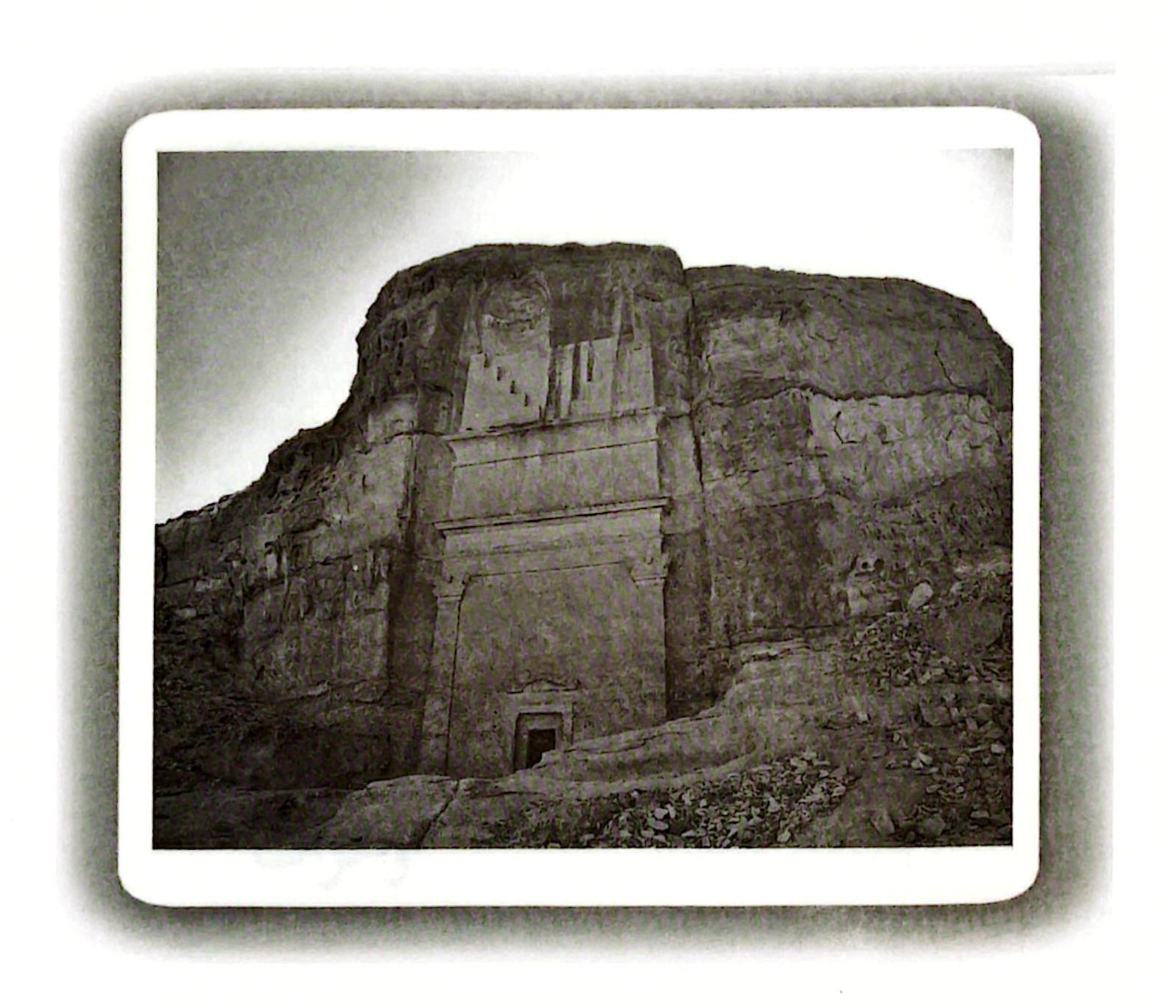
---

[1] الراء إشارة الى قصيدة المنخل اليشكري شاعر النعمان ومطلعها:

إن كنــــت عـــــاذلتي فســـيري　نحـــــو العـــــراق ولا تحــــوري

والدال إشارة الى معلقة ((النابغة الذبياني)) ومطلعها:

مـــن آل ميـــة رائـــح أو مغتـــدي　عجـــلان ذا زاد وغــــير مـــزوّد



اطلال الحيرة

وخزات

طــال الســكوتُ لأمــرٍ خـيراً عســى أن يكونــا
قــالوا ليــومٍ وشــهرٍ فكيــف عــاد ســنينا
مــا بـين ((أمـرٍ)) و((خـمـرٍ)) ظــنَّ ((العــراقُ)) الظنونــا
لا تفهمــوا مــن كلامــي يـــا نـــاسُ أيَّ اعــتراضِ
أســاخطٌ ليــتَ شــعري ((مــولاي)) أم هــو راضي؟!

***

((طيــارةٌ)) في بــلادي تكفــي لحــلّ ((المشــاكلْ))
وحفنــةٌ مــن نُضــار تهُــدُّ كــلَّ ((الهياكــلْ))
أصــاحبُ ((الأمــر)) يهـوى شـيئاً ونحــن نجــادلْ؟
نُريــد وضــعاً جديــداً لكــنْ بغـير مخــاضِ
شــعبي لهــذا وهــذا غنيمــةٌ بــالتراضي

***

أشــكو ضَــياعي ولكــنْ أشــكو مــن الحُــرّاسِ
مــاذا جنتــه بــلادي مــن كــلّ هــذا الغِــراس
أمّــا أنــا فــبراسي لم يبــقَ أيّ ((عُطــاس))
لم يبــقَ أيُّ حَــراك في قلبــي النضّــاضِ
يــا حــاكمي يــا خصيمي إقــضِ بـما أنـت قــاضِ
أواجــدون لشــعبي في كــلّ يــومِ دسيسَــهْ
يَهْنــيكُمُ قــد أكلــتم حتّــى عظــامَ الفريســه
حتّــى ((الدجاجــةُ)) تــأبى ترفّعـــاً أن تسوســه

قالـــت بـــما في مبيضـــي   مـــن صُـــفرةٍ وبيـــاضِ

((وزارةٌ)) أنـــا فيهـــا   قبِلتهـــا بامتعـــاضِ

***

ظننـــتُ مـــاءً فلـــمّا   ســـبحتُ ســـبْحاً طـــويلا

لم أُلـــفِ الآ سرابـــاً   وســـاء وِرداً وبـــيلا

أردتُ شـــيئاً كثـــيراً   لم أُعـــطَ حتّـــى القلـــيلا

العـــيشُ صـــوّح لكـــنْ   آمالُنـــا في ريـــاضِ

عـــن دجلـــةٍ وفـــراتٍ   غنـــىً لنـــا بالحيـــاضِ

النجف عام ١٩٢٣

مستهام

إن سعى الواشي يُريك الغيَّ رشدا   لا تكن أهلاً وصُن للودّ عهدا
حاشَ لله بقايا ذمةٍ   منك أن تُشْمِتَ بي خصماً ألدّا
أنا إنْ بُلّغتُ عنكم ريبةً   قلت: شكراً لهمُ منّي وحمدا
وإذا قيل جفا من سلوةٍ   قلت: لا أسلو وإن عاف وصدّا
مستهامٌ كَرَع الدمع فما   زادَه إلّا جوىً فيكمْ ووقدا

النجف عام ١٩٢٣

رسالة

مــن مبلــغٌ عنّــي رســالةَ موجــد   كلِـفٍ إلى الرشــأ الأغــن محمــدِ

خــادعْتَني بــاللحظ منـك فصـدتني   ولقــد يعِــزُّ عــلى ســواكَ تصـيُّدي

ولقــد ذكرتــكَ والكــؤوسُ مُرِنَّــةٌ   والصــحبُ بــين مصــرَّع ومعربــدِ

وجَــذَبْتني وأنــا البعيــدُ تنــاولاً   وبريتنــي بــريَ الحديــدِ بمــبردِ

وغمــزتَ للســاقي وقلــت لـه ادع لي   باســم الــذي أهــوى ولا تــترددِ

واذا خشِــيتَ المــرجفينَ فغــن لي   ((مــن آل ميــة رائــحٌ أو مغتــدي))

النجف عام ١٩٢٤

تذكر العهود

قدمت إلى الملك ((فيصل الأول)) عند قدومه إلى النجف واجتماعه بعلمائها الذين طالبوا بإعادة العلماء الذين هجروا العراق احتجاجاً على نفي الشيخ ((مهدي الخالصي)).

أُعِـدَّ لــك الــنَّهَجُ الواضـحُ ... فســر لا هفـا طـيرُك الســانحُ
وحيّــاك ربُّــك مــن ناصـحٍ ... إذا عزّنــا المشــفقُ الناصــحُ
يُحـدّثُ عنـك بطيـبِ الهُبـوبِ ... نسـيمٌ لــه عَبــقٌ نــافحُ
فكــلُّ مكــانٍ ربيــعٌ يــروق ... وكــلُّ تــرابٍ شــذىً فــائحُ
ســلامُ الإلــه عــلى طــالعٍ ... يُحــارُ بطلعتــه المــادحُ
مَهيــبٌ يــرُدُّ ســناه العيــون ... وإن أجهــد النظــرَ الطــامحُ

***

مليــكَ العــراق وكــم جمــرةٍ ... يَضــيق بأمثالهــا القــادحُ
ينــوح المغــرّدُ شــجواً فــلا ... يَغرّنــكَ إن غــرّدَ النــائحُ
أَبْثّــكَ أنّ الفــؤادَ الرقيــقَ ... يُمِــضُّ بــه الحــادثُ الفــادحُ
ألا لا يُقَــلْ- وحُبيــتَ الحيــاةَ- ... وريــدك أنــتَ لــه ذابــحُ
وأنّــك مســتبدِلٌ باليســار ... يمينــاً لهــا الشــرفُ الــراجحُ
وأنّــك خودعــتَ عــن نيّــة ... فــؤادُ الحســود بهــا طــافحُ
وكيــفَ تَصــولُ لــردّ الصّيال ... يمــينٌ لهــا عَضُــدٌ طــائِحُ
فقــد ســار بــين حُــداةِ الركــابِ ... حــديثٌ يــرِقّ لــه الكاشــحُ
تــنُمُّ الشــمالُ بــه للجَنــوب ... ويُنبــي بــه الغــاديَ الــرائحُ
وحاشــاك، حاشــاك كيــف استُخِف ... لمــا بلّغــوا، حِلْمُــك الــراجحُ
بــوديَ لــو مجمَــلاتُ الحــديث ... تُبــاح لينشُــرَها شــارحُ
لــتعلمَ كيــف خبايــا الصُّــدور ... ومــن هــو في غيبــهِ جــارحُ
لــئن سرّهــم أنّنــا عــزّلٌ ... فقــد أخطــأ المقتــلَ الــرامحُ

وفيمن تصول لردّ الصّيال ... يمينٌ لها عَضُدُ طائحُ

تذكَّرْ لعلّ ادّكارَ العُهود ... يُراح به نَفَسٌ رازحُ

غداةَ استضمَّك في ((كربلاء)) ... وإياهم المجلسُ الفاسح[1]

هُمُ ألْقحوا الأمرَ حتّى إذا ... تمخَّضَ لم يَجْنِهِ اللاقحُ

فيا جَبرَ اللهُ ذاك الكسير ... ويا خَسرَ الصفقةَ الرابحُ

ووالله لا الوِرْدُ عذبُ النمير ... ولا العيشُ من بعدِهِمْ صالحُ

وأُقسمُ لو لا أمانٍ عِجافٌ ... بتعليلهنَّ الحشا الجامح[2]

لبِتنا وكلٌّ له شاغلٌ ... وكلٌّ على قربه نازحُ

ولو لا قدومُك كان ((الغريُّ)) ... لفقدهم وجهُهُ كالحُ

وإنّا لنأمُلُ نصرَ اللُّيوث ... وأن يُلقَمَ الحجرَ النابحُ

ودام مَقامُك للوافدين ... كالركنِ ما مَسَحَ الماسحُ

النجف عام ١٩٢٤

---

[1] هو المؤتمر الذي عقد بدعوة من الشيخ ((مهدي الخالصي))، في كربلاء عام ١٩٢٢.

[2] ورد هذا البيت في طبعتي وزارة الثقافة والإعلام العراقية ودار العودة ((بيروت)) بالشكل الآتي:

وأُقسمُ لو لا أمانٍ يُراض ... بتعليلهن الحشا الجامع

يا فراتي

إي وعيشٍ مضى عليك بَهيٍّ | وشُعاع من شطّكَ الذهبيِّ
والتفافِ النَّخيل حولَك حتَّى | لو تقصَّيْتَ لم تجدْ غيرَ فيِّ
وانبساطِ السَّفح الذي زاحمته | دَفَعاتٌ من مَوجكَ الثَّوْريّ
وسنا الشَّمسِ حين مجَّتْ لُعاباً | أرسلته من نورها الكسرويّ
فتخالُ الضياءَ- والماءُ موجٌ | في رواح من جانبٍ ومجيّ-
كخيوطٍ من فضَّةٍ بتْنَ طوعَ الرّ | يحِ بين الشمالِ والشرقيّ
وابتسامِ البدرِ المطلّ إذا ما | بات يجلو الدُّجى بوجهٍ وَضيّ
وزمانٍ حلوٍ كطلّ نديّ | لم يَشُبْهُ صفوُ السَّماءِ بشيّ
لو تحوّلْتَ عن مجاريك أو حُلـ | ـتَ لما جئتَ بالنكيرِ الفريّ

***

يا فُراتي وهل يُحاكيك نهرٌ | في جمال الضُحى وبردِ العَشيّ
ملكتْ جانبيك عُرْبٌ أضاعوا | إذ أضاعوا حِماكَ عهدَ قُصيّ
نضجتْ بالصَّغار منهم جلودٌ | ولقد تنضج الجلودُ بِكَيّ
إي ومجرى الجيادِ يومَ التَّنادي | ومجرِّ الرماحِ حول النديّ
دنَّسَتْ طُهْرَكَ المطامعُ حتّى | لم تَعُدْ تَنْقَعُ الغليلَ بِريّ
الحَنى.. أين منه نفسُ أبيّ | والحِمَى.. أين عنه طَرْفُ الحَميّ

لا القنـــا يـــومَ تنثنـــي لمـــذَبٍّ عـــن حـــريم، ولا الظُّبـــى لكمـــيّ

آه.. لـــو لا خِصـــبُ العـــراق وريـــفٌ هـــو لـــولاه لم يكـــن بمـــرِيّ

مـــا استجاشـــتْ لـــه المطـــامعُ والتفَّـــ ـــتْ عليـــه مـــن المَحَـــلّ القَصـــيّ

واســـتخفَّتْ بـــه الشـــعوبُ، وباتَـــتْ وهـــي ترنـــو لـــه بلحـــظٍ خفـــيّ

قـــد نطقنـــا حتّـــى رُمينـــا بهُجْـــرٍ وســـكتنا حتّـــى اتُّهمنـــا بِعِـــيّ

ورضِـــينا حُكْـــمَ الزَّمـــانِ ومـــا كـــا نَ احتكـــامُ الزَّمـــانِ بـــالمَرْضيّ

فـــإذا كـــلُّ يومِنـــا مثـــلُ أمـــسٍ وإذا كـــلُّ رُشـــدنا مثـــلُ غَـــيّ

وعلمنـــا أنْ لـــيس نملـــكُ أمـــراً فصـــبرنا عـــلى احتكـــام ((الـــوصيّ))!

بغداد عام ١٩٢٤

النجوى

يقولــونَ: ليــلٌ علينــا أنــاخ نهــارٌ عــلى الغــربِ يُعشــي العيونــا
وإنّــا نســينا عنــاءَ القلــوب لأنّــا بهــذا الــدُّجى هادئونــا
وأنْ لــيس في الكــون مِــن رحمــةٍ يــواسي بهــا معشــراً آخرونــا
فليــتَ عيونــاً سُــهاداً درتْ بأنّــا - كعادتنــا - راقــدونا
ســألناكمُ عــن مَثــار السَّــديم فَعَــنْ حُــرَقِ الهــمّ لا تســألونا
فــإنَّ معــاملكمْ والبخــار وقلبــي وزفرَتــهُ مســتوونا

***

أرى أُممــاً هــي والمــالكين متــاعٌ أُعــدّ لِمَــنْ يأكلونــا
نظــنّهُمُ خُلقــوا للغــلاب وأنّــا خُلِقْنَــا لأن يغلبونــا
وعصــرٌ تَنــاهضَ فيــه الجهادُ عجيــبٌ بــه يجمُــدُ النّاهضــونا
ألا هِــزَّةٌ تســتثيرُ الشّــعوب فقــد يُــدْرِكُ النَّهْــزَةَ الثائرونــا
ألا قبســاً مــن شُــعاع الكلــيم تُعيدُ عــلى الشَّــرق يــا ((طُــورَ سينا))
خلــيليَّ أيــنَ نبــوغُ العــراق وأيــن ذوو حُكْمــهِ النابغونــا
أذاكَ الــذي خَلَّــفَ الــذّاهبون كهــذا الــذي تــرك الوارثونــا؟
أغــيرَ المطــامع لا تعرفــون وغــيرَ الهياكــلِ لا تعبــدونا؟
زفيفــاً وقــد حلَّــقَ المعتلــون وزحفــاً وقــد أبْعَــدَ الرّاكضــونا؟
ولســنا وقــد أعجزتنــا الحيــاة عــن المــوتِ في نيلهــا عاجزينــا

***

وإنْ أنْسَ لا أنْسَ حول ((الفرات)) منــاظرَ تُصــبي الحلــيمَ الرّزينــا
نســيماً يلاطــفُ رخــوَ النمــير كــما حــرَّكَ الــوَرَقَ اللاعبونــا

وسـاكن جـوّ يعيـدُ الأثـير | كـما الحُـبُّ شـاء شـجيّاً حزينـا
ونـوراً كسـا سُـدُفاتِ الأثـير | جمـالاً يـردُّ التَّصـابي جنونـا
يـدلُّك يـا بـدرُ هـذا الجـمالُ | عـلى الخَلـق لـو أنصـفَ الشـاكرونا
كفتنـي الكـرى داجيـاتُ المحـاق | فجئـتَ تُماسِـحُ منّـي الجفونـا
تَجـلّى علينـا إلـهُ الشـعور | سـجوداً معـي أيُّهـا الشـاعرونا
عـلى مَهَـلٍ بعـضَ هـذا الخـداع | فنـورُك قـد أوهـمَ اللاقطينـا
إذا مـا اعـتلى البـدرُ خـيطَ الرمـال | تخيَّلهـا الطـرفُ عِقْـداً ثمينـا
بـأمرك تحريـك درع الفضـا | ءِ وإن رجـم الخلـق فيـك الظنونـا
سـلامٌ عـلى أنفُـسٍ رفرفـتْ | مـن الحـبِّ هـام بهـا المغرمونـا
خلـيليَّ حتّـى وعـورُ الجبـال | تَهـيجُ الصَّـبابةَ لي والحنينـا
ولي مضـغةٌ بـينَ عُـوج الضـلوع | تحـاولُ أنْ تجعـلَ الفَـوْقَ دونـا
فـديتُ المُنـى أنّهـا رَوحـةٌ | ورُوحٌ يعـيشُ بهـا الشـاعرونا
ولـولا قلـوبٌ تحـسُّ الأذى | لمـا عـرف اللـذةَ العاشـقونا
رقـاقٌ تـرى أنَّ مَيْـلَ الغصـون | إذا مـا الصبا جـالَ في الـروضِ هُونـا
وأنَّ مـنَ الشّـعْر وهـو الخيـالُ | عروشـاً وأنَّهُـمُ المالكونـا
خلـيليَّ إنَّ ادّكـارَ الصّـبا | يُهـيّجُ مـن عيشـنا مـا نَسِـينا

هَلُمُّـوا رفـاقي فهـذا الضـياء | سينشـرُ أعمالَنـا إن طُوينـا
أبـنْ أيُّهـا البـدرُ كيـفَ النَّجـاة | وأيـنَ اقْتُنِصْـنا، وأنَّـى رُمينـا
وكيـفَ اسـتحالَ صـفاءُ الربيـع | همومـاً تصـاحِبُنا مـا بَقينـا
وكيـفَ اختفـائيَ تحـتَ الظـلال | زمـانَ صِـبايَ مـع اللاعبينـا

وكيـــف اذا البـــدرُ حيّـــا الوِهـــاد نَخِـــفُّ لطلعتِـــهِ أجمعونـــا

نســيرُ عـــلى خُطُـــواتِ الشّـــعاع كأنـــا إلى غايـــةٍ ســـائرونا

وكيـــف السَّـــلام عَقيـــبَ الصّـــدام وكيـــفَ الـــتمازجُ مـــاءً وطينـــا

أعيـــدوا الطفولـــةَ لي إنَّهـــا تُعيـــدُ النزاهـــةَ لي واليقينـــا

***

وليـــلٍ أراني دبيـــبُ السَّـــنا بـــهِ كيـــفَ تحيـــا أمـــانٍ بَلينـــا

وقـــد ذهـــب اللَّيـــلُ إلّا ذمـــاً كـــما ردَّدَ الـــنَّفَسَ الجارضـــونا[1]

وآذنَ بالصـــبح صـــوتُ الهَـــزار كـــما هَـــيَّجَ الـــنَّغَمَ العازفونـــا

صُـــداحٌ هـــو الشَـــعر زاهـــي البيـــان يُكَـــذِّبُ مـــا زخـــرفَ المُـــدَّعونا

وكـــم هـــاجَ في شـــدوهِ الأعجمـــي خـــواطرَ أعجـــزتِ المُفصـــحينا

يهـــبُّ عـــلى نَســـماتِ الصـــباح اذا مـــا اســـتهانَ بهـــا الرّاقـــدونا

خلـــيليَّ روح الحيـــاة النَّســـيم فلـــولا انتشـــاقُ الصَّـــبا مـــا حيينـــا

***

ويـــومٍ تضـــاحكَ فيـــه الرَّبيـــعُ وحيَّـــتْ ورودُ الرُّبـــى المجتلينـــا

تمشَّـــى عـــلى الـــروضِ روحُ الإلـــه فـــمالَ ومِلْنـــا لـــه ســـاجدينا

حـــدائقُ خَـــطَّ عليهـــا الجـــمال قصـــائدَ أعْجَـــزَتِ النَّاظمينـــا

كـــأنَّ جـــلالَ الهـــوى شـــفَّها ففاضـــتْ دموعـــاً وســـالتْ عيونـــا

***

وســـاقيةٍ بـــاتَ قلـــبُ الـــدُّجى يُعيـــد عليهـــا الصَّـــدى والأنينـــا

جـــرتْ وأجـــرَّتْ دمـــوع الغـــرام فـــلا عَـــذُبَ الـــوِرْدُ للشـــاربينا

---

[1] الجرض (محركة): الغصص و((جَرِضَ)) يجرض غص بريقه حتى أشرف على الموت.

عليهــا ريــاضٌ كســاها الرّبيــع | مَطــارفَ يَعيــا بهــا المُبــدعونا
أُحِــبُّ الحقــولَ لأنَّ الجمــال | تجمَّــعَ فيهــا فنونــاً فنونــا
فيــا ســاكني فَجَــواتِ البطــاح | هنيئــاً لكــمْ أيُّهــا الخالــدونا
نعــيماً فــلا الــريحُ خــاوي المهــبّ | ولا الــرُّوح ذلَّلهــا الطّامعونــا
خلــيليَّ أُفٍّ لهــذي المــروج | إذا مــا اســتبدَّ بهــا المالكونــا
وليــتَ الفــداء لكــوخ الفقــير | قصــورٌ أنــافَ بهــا المتْرَفونــا
إذا مــا اســتدارتْ خطــوبُ الزّمــان | ســتعلمُ أيُّهُــمُ الخاسرونــا
فــإنَّ الهبــوطَ بقَــدرِ الصّــعود | فــانْ شــئتَ فَوْقــاً وإنْ شــئتَ دونــا
ومَــنْ في البســيطةِ يَفــدي البســيط | ويفــدي ذَوُو الجَشَــع القانعينــا

***

ألا هَــلْ أتــى نوَّمــاً في العــراقِ | أنّــا لأجلِهــمُ ســاهرونا
أحِبّتنــا إنَّ همــسَ البحــار | زفــيرُ الأحبَّــةِ لــو تعلمونــا
أصــيخوا ولــو لاهتــزازِ القلــوب | فلــيسَ مــن العــدلِ أنْ تُوحــدونا
إذا مــا وردتــم نمــيرَ الحيــاة | وراقَ لكــمْ وِرْدُه فاذكرونــا
وإنْ لاحَ صــبحٌ لكــمْ فــاذكُرُوا | بأنّــا بليــلِ العمــى خابطونــا
وإنَّ عُضــالاتِ هــذا المحــيطِ | نقــائصُ أعوزهــا المصــلحونا
هياكــلُ أخنــى عليهــا الجمــودُ | فغــيرَ الــذي وجــدوا لــن يكونــا

النجف عام ١٩٢٤



عاطفات الحب

عاطفـــاتُ الحـــبِّ مـــا أبْـــدَعَها　　هـــذَّبتْ طبعـــي وصـــفَّتْ خُلُقـــي

حُـــرَقٌ تمـــلأ روحـــي رقّـــةً　　أنـــا لا أُنكِـــرُ فضـــلَ الحُـــرَقِ

أنـــا باهَيْـــتُ بمـــوتي في الهـــوى　　لا بشـــوقي أيـــن مـــن لم يَشْـــتَقِ

ثـــق بـــأن القلـــبَ لا تشـــغَلُهُ　　ذكريـــاتٌ غـــيرُ ذكـــراك ثـــقِ

لســـتَ تـــدري بالـــذي قاســـيتُهُ　　كيـــف تـــدري طعـــمَ مـــا لم تَـــذُقِ

لم تـــدعْ مِنّـــيَ إلّا رَمَقـــاً　　وفـــداءٌ لـــك حتّـــى رمقـــي

مَصْـــبَحي في الحـــزن لا أكرهُـــهُ　　إنّـــما أطيـــبُ منـــه مَغْبَقـــي

إنّ هـــذا الشـــعر يُشـــجي نقلُـــهُ　　كيـــف لـــو تســـمعُه مـــن منطقـــي

ربّ بيـــتٍ كســـّرتْ نبرتَـــه　　زفـــراتٌ أخـــذتْ في مخنقـــي

أنـــا مـــا عشـــت عـــلى ديـــن الهـــوى　　فهـــواكم بَيْعـــةٌ في عنقـــي

النجف عام ١٩٢٤

في بغداد

يـا نسـمةَ الـريح مـن بـين الريـاحينِ حيـي الرُّصـافة عنّـي ثـم حَيّينـي
إن لم تُمـرّي عـلى أرجـاءِ شـاطِئها فلَيـتَ لم تحمـلي نشـراً لـداريـنِ
لا تَعبقـي أبـداً الا مُعطَّـرةً ريانـةً بشـذا وَردٍ ونِسـرين
أهديتِ لي ذكـرَ عَصـرٍ قـد حَييتُ بـه مـن عَلَّـم الـريحَ أن الـذكرَ يُحيينـي
حيـثُ الزمـانُ وَريـقُ العـودِ رَيِّقـه والـدهرُ دَهـرُ صـباباتٍ تـواتيني
معي من الصحب يسعى كـلُّ مُقتَبِلٍ نَضْـرِ الشباب طليـقِ الوجـهِ ميمـونِ
خـالٍ مـن الهَـمِّ لـو لامَسْـتَ غُرَّتـه أعـداكَ واضـحُ تَهليـلٍ وَتحسـينِ
ولي إلى الكـرخ مـن غربيِّهـا طَـرَبٌ يكـادُ مـن هِـزَّةٍ للكـرخ يَرمينـي
حيث الضـفافُ عليهـا النخـلُ مُتَّسـقٌ تنظـيمَ أبيـاتِ شـعرٍ جـدِّ مـوزونِ
وللنسـيم اسـتراقٌ في مرابعِهـا للخطـو مَشْـيٌ ثقيـلُ القيـد موهـونِ
يـا ربّـةَ الحسـن لا يُحصـَى لنَحصِـرَه وصـفٌ فكـلُّ معانينـا كتخمـينِ
والله لـو لا ربـوعٌ قـد أَلِفـتُ بهـا عـيشَ الأليفـينِ أرجوهـا وترجـوني
وأنَّ لي مـن هـوى أبنائهـا نَسَـباً دونَ العشـيرة للأصـحابِ يَنميني
لاخترتُهـا منـزلاً لي أسـتظلُّ بـه عـن الجنـان ومـا فـيهنَّ يُغنينـي
لخُـبِّرتْ كيـفَ شـوقُ الهـائمين بهـا وكيـف صَـفْقُ عـذولي كـفَّ مغبـونِ
إخوانُنا حيـث راقَ الجسـرُ وانتظمَـت بُروجُـه بوجـوه الخـرّد العِـينِ
واعتلَّ نشرُ الصبا من طـولِ مـا حَمَلَـت إلى مغـانيكم أنفـاسُ محـزونِ
فالشـمسُ كـلُّ بـروج الأفـق تصحبُهـا سـيراً وتسـري إلى بـرج بتعيـينِ
سـقاكُمُ ريّـقٌ مـن صَـوب غاديـةٍ ينهـلُّ عـن عـارضٍ بالبِشـرِ مقـرونِ
لا تحسـبوا أن بُعـدَ الـدارِ يُـذهِلني عـنكم ولا قِصـرَ الأيـامِ يُنسـيني

ضِــقْتُمْ قلوبــاً لمــا ضــمَّتْ جوانحُنــا　　لــو كــانَ يُســمحُ في نشــرِ الــدواوين

ذاوي النبــات هشــيماً لســتُ آمــن مــن　　ريــح الصَّــبا أنّهــا جــاءت لتــذروني

خــلِّ الملامــةَ في بغــدادَ عــاذلتي　　عــلامَ في شــمِّ رَوح الخُلــد تَلحينــي

هــل غــيرُ نفــسٍ هَفَــت شــوقاً لمالِئِهــا　　شــوقاً، يصــعِّد بــين الحــين والحــينِ

أمــا النســيمُ فقــد حَمَّلتــهُ خَــبراً　　غــيرُ النســيم عليــه غــيرُ مــأمونِ

مــا سرَّني وفنــونُ العلــم ذاويــةٌ　　أنَّ الأفــانينَ لُفَّــتْ بالأفــانينِ

ولا الربــوعُ وإن رقَّ النســيمُ بهــا　　إن كــان مــن خَلفهــا أنفــاسُ تِنِّــين

هيهــاتَ بعــد رشــيدٍ مــا رأت رشَــداً　　كــلا ولا أمِنَــت مــن بعــد مَــأمونِ

أمــا اللســانُ فقــد أعيــا الضّــرابُ بــه　　وكــان جِــدَّ رهيــفِ الحــدِّ مَســنونِ

النجف عام ١٩٢٤

عدّ عنك الكؤوس

عَـدِّ عنـكَ الكـؤوس قـد طِبتُ نَفسـا واسـقنيها مراشـفاً لـك لُعْسـا[1]

إن يُحِـسَّ الغـرامَ قلبـي فحـقٌّ خلـق اللهُ عَبـده ليُحِسّـا

لسـت أنسـى عيشـي، وخـيرُ زَمـانٍ زَمَـنٌ طِيـبُ عيشـهِ لـيسَ يُنسَـى

حبـذا دجلـةٌ وعيشـيَ رَهْـوٌ طيـب الـرَوحتين مغـدىً وممسـى

حـينَ أيامُنـا مـن الـدهر يـومٌ فيـه تُسـتَفرغُ الكـؤوس وتُحسـى

يَحسَـب الشَّـرْبُ أنّهـم علمـوا الغيـ ـبَ وهـم يخطئـون ظَنّـاً وَحَدْسـا[2]

طـاف وهنـاً بهـا علينـا إلى أن لم يكـد أنْ يعـي مـن القـوم حسّـا

عـيَّ منّـا اللسـانُ فالكـلّ خُـرْسٌ ينقُلـون الحـديثَ رَمـزاً وهَمْسـا

رمـتُ كأسـاً ومـذتلجلجتُ أوميـ ـتُ بكفّـي فظنّنـي رُمـتُ خَمسـا

فأتـاني بهـا فلـمْ اعترضـها حـذراً أنْ يكـونَ مـثليَ جبسـا

إنّ ردَّ الكـريم عـارٌ عـلى النَفْـ ـس وحاشـاي إنّنـي صُـنتُ نَفْسـا

أفرغـتُ كالنُّضـارةِ بـل هـي أبهـى فعليهـا لم يوجـب الشـرع خمسـاً

ولهـا في العُـروقِ نـبضٌ خفـيٌّ مـثلما يُمسـك الطبيـبُ المجِسّـا

وكـأنّ النـديمَ لّمـا جلاهـا أفـقٌ يُطلِـعُ المَسـرَّةَ شمسـا

يـا نـديمي أمـري اليـكَ فـزِدْني أو فـدَعني فلسـتُ أنطِـقُ نَبسـا

لا تقطـبْ إنّي أرى الإنـس جِنّـاً وتبسَّـم لأحسَـبَ الجـنَّ إنسـا

مـا تـرى الفجـرَ والـدجى في امتـزاجٍ مثـل خيطـي ثـوبٍ خِلاطـاً وَمَسّـا

كـم أرادَ الصـبحُ المُتـاحُ انطلاقـا وأرادت لـه دَياجيـهِ حَبْسـا

---

(1) يهنىء بها صديقه بزفافه، اللعس بفتحتين لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك يستملح ولعس جمع لعساء.

(2) الشرب: بالفتح الشاربون.

مـــا شربنـــا الكـــؤوسَ إلّا لأنّـــا ... قـــد رأينـــا فيهـــا لخـــديكَ عَكْســـا

أنـت تـدري حرمـانَ ذي العقـل في النــــــاسِ فـــزدني منهـــا جُنونـــاً ومَسّـــا

لا تُمِلْهـــــا عنّـــــي وفيَّ حَـــــراكٌ ... واســـقنيها حتّـــى تـــرانيَ يَبســـا[1]

إنّ عُمـــراً مســـتَلطَفاً باعـــه المـــرءُ ... بغـــير الكـــؤوسِ قـــد بيـــعَ بَخْســـا

أنـــا حِلـــسُ الطِـــلا ولســـتُ كشـــيخٍ ... خلـــسَ الـــدينَ وهـــو يُحسَـــب حِلســـا[2]

لـــو يبيـــع الخَـــمّار دَينـــاً بـــدَينٍ ... لاشـــتراها وبـــاع أخـــراه وكْســـا[3]

إنّ أحـــلى ممّـــا يســـبّح هذاالحبــــــرُ قـــرْعُ النّـــديم بالكـــأس جَرْســـا

لا تلُـــم في الطِـــلا ولا في انتهـــاكي ... مـــا أبـــى اللهُ.. إذ نهـــى أن تُحَسّـــا[4]

إنّ نيـــل الحـــرامَ أشـــهى مـــن الحِـــلِّ ... وأحـــلى نـــيلاً وأعـــذبُ كأســـا

قـــد طويـــتُ الحـــديثَ خـــوفَ رقيـــبٍ ... يبتغِـــي فيـــه مطعنـــاً ليَدُســـا

وهجرنـــا الكـــؤوسَ لكـــن لعُـــرسٍ ... هـــو أصـــفى كأســـاً وأطيـــبُ أُنســـا

وانتقلنـــا لكـــنْ لـــبُرج سُـــعود ... قَـــرنَ اللهُ فيـــه بَـــدْراً وشَمســـا

هـــي جَلَّـــت عُرســـاً فزيـــدت بهـــاءً ... دارةُ المجـــدِ إنّـــهُ جـــلَّ عُرســـا

طـــاب مُمســـى سروره فليكَّـــرْ ... أبـــدَ الـــدهر مُصـــبحاً حيـــث أمســـى

لـــك عـــمٌّ أحيـــا مزايـــا ذويـــه ... وأرانـــا الجـــدودَ تـــنفُضُ رمْســـا

لا تلمْـــه إنْ هـــزّ للشـــعر عِطفـــاً ... إنّ فيـــه مـــن دوحـــةِ المجـــدِ رِسّـــا

هـــو أصـــفَى مـــن اللُّجـــينِ وأوفى ... في المعـــالي مـــن الهِضـــاب وأرســـى

وهـــو إنْ ينتســـبْ فمـــن أهـــل بيـــتٍ ... أذهـــبَ اللهُ عنـــه عـــاراً ورِجســـا

---

[1] اليبس: اليابس.

[2] حلس: ملازم، لا يبرح.

[3] الوكس: الغبن والغرم.

[4] تحس: تشرب.

بيتُ مجدٍ كالبحرِ طامٍ ولكنْ أنت فيه أبا ((الضيائين)) مَرْسى

يا ابنَ بنتِ البيت الذي كان نَجماً لك سعداً وفي أعاديك نَحسا

لستُ أنسى مدحَ الجواد ومن كا ن من المدح فرضُه كيف يُنسى

مستفيضُ الندى وكم من يَمينٍ صخرةٌ زلقَةُ الجوانب مَلسا

حَيَّرت مادحيكَ رقةُ طبعٍ تَحلِفُ الخمرُ أنَّها منه أقسى

قد بلونا سجليكَ قبضاً وبسطاً وخَبَرنا دَهرَيك نُعمى وبُؤسى[1]

فوجدناكَ في الجميع رضيّاً وحميداً مصبَّحاً ومُمَسّى

وهززنا في الأريحية غُصناً ورأينا في الدست رضوى وقُدْسا

وكأنّ اللغات بتن يفرقـ ـن كما تشتهيهِ نِعماً وبِئسا

فكسونَ الصديقَ شهماً ونَدْبا وأعدن العَدُوَّ نذلاً ونِكسا[2]

وارتديتَ العلى لباساً وتاجاً وسواك ارتدى الحريرَ الدِمَقسا

لك كفٌّ كالركن فينا فأقصى منيةِ النَّفس عندنا أن تُمَسّا

***

وبليدٍ لا يكتفي من سَنا النار بومضٍ حتّى يجرِّبَ لمسا

قال هل ألحقنَّه قلتُ: تَعْيَا قال: حتّى غبارَه قلتُ: تَخْسا

رُوِّضت كفُّه فلولا رجا رِدْ نَداه وبطشَه وتُقاه

مُ الناس أقرى بها الطيورَ وعسّا[3]

واتركن حاتِماً وعمراً وقُسّا[4]

وذكرنا في اليوم عُرسَ عليٍّ فكأنَّ السرورَ قد كان أمسى

---

[1] السجل: الدلو، سجليك يراد بها حاليك.
[2] النكس: الجبان.
[3] أقرى وعسا بمعنى أطعم.
[4] مدحه بالكرم والشجاعة والفصاحة، والمراد بـ عمرو: عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

حيث مُدّاحه تجول وثوب الـ ... ـنحس يُنْضَى ومِطرفَ السعد يُكسى

طاب غرْساً مُصدّقاً لا كمن يُحسَـ ... ـبُ نُكراً إن قيل قد طاب غَرْسا

هو قاسٍ إن أغضبُوهُ ولكن ... لو يَهُزّ الصَفَا نَداه لحَسّا[1]

لو تكون النجوم بُرداً وتاجاً ... كسيناكَهُنَّ عِطفاً ورأسا

إنْ علوتم فحقّكم أو لستم ... قد رَفَعتم لكعبةِ الله أُسّا

هزّني مدحُكم فقلتُ ولا يصـ ... ـلُح عودُ الغناء حتّى يُجَسّا

أيّها المقتفونَ شأوي هَلُمُّوا ... وخذوا عَنّيَ البلاغةَ دَرْسا

أنا آليتُ أن أُعيدَ رسوماً ... منه أضحت بعد ابن ((حبّوبَ)) دُرسا[2]

أنا لا أدَّعي النبوةَ إلّا ... أنّني أُرجعُ المَقاويلَ خُرْسا

أنا في الشعر فارسٌ إن أغالب ... يكنِ الطبعُ لي مِجَنّاً وتُرسا

كلُّ محبوكةٍ فلا تُبصرُ المعنى ... مُعَمَّىً، ولا ترى اللفظ لَبْسا

وإذا ما ارتمتْ عليَّ القوافي ... نلتُ مختارَها وعِفْتُ الأخسّا

إن أكن أصغرَ المجيدين سِناً ... فأنا أكبرُ المجيدين نَفْسا

طبّقتْ شهرتي البلادَ وما ... جاوزَ عمري عشراً وسبعاً وخمساً

النجف عام ١٩٢٤

---

[1] الصفا: الصخر. وحسس: قطع.

[2] ابن حبوب: الشاعر محمد سعيد الحبوبي.

على مجلسي

على مجلسي ما دمتُ حيّاً أخطُّها | وفي مرقدي إن مِتُّ خُطُّوا نصائحي
فهل غيرَ أن أقضي وعندي بَثَّةٌ | نعم سوفَ أشكوها لأهل الضرائحِ
بعين الهوى لي بالفراتين وِقفَةٌ | أهاجَتْ كمينَ الشوقِ بين الجوانحِ
وقد خَفَت الليلُ البَهيمُ فما به | سوى هاجساتِ الفكرِ لي من مُطارحِ
أأبهجُ من هذا جمالاً ومنظراً | فما بالُها سُدَّت عليَّ قرائحي
أتعرفُ أمواجُ الفُراتين مُهجتي | إذا استَنشَدُوها عن قلوبٍ طوائحِ
أبَحتُ لكِ الشَكوى فهل تسمعينها | وإلّا فَبعدَ اليوم لستُ ببائحِ

***

أقَمنا بجوٍّ كلُّ ما عند أهله | مجالسُ ألهاها صفيرُ المَدائحِ
ألا هل يعودُ الشعرُ فينا كأنّه | من الطهر يُملي عن غيوث رواشِحِ
فأحسنُ مما ردَّدَت نبراتكم | من الكلم العاري غناءُ المسارِحِ
قطعتُ ولم يبلغ بي العمرُ شَوطه | من الشعر، أشواطاً بِعادَ المطَارحِ
فقل لسَنيح الطير إنْ لم تَرُق له | أهازيجُ شعرٍ أينَ عنه ((سوانحي))

النجف عام ١٩٢٤

الشاعر

لا أريـــدُ ((النـــاي)) إنّي　حامـــلٌ في الصـــدرِ نايـــا
عازِفـــاً آنـــاً فآنـــاً　بالأمـــاني والشَّـــكايا
البلايـــا أنطَقَتْـــهُ　ســـامحَ اللهُ البلايـــا
حافظـــاً كـــلَّ الـــذي　مـــرَّ عليـــه كالمَرايـــا
ســـيِّىءَ الحـــالِ ولكـــنْ　حَسُـــنَتْ منـــه النَّوايـــا
حجـــزَ الهـــمُّ عـــلى　أنفاسِـــه إلّا بقايـــا
أفلتـــت في نـــبراتٍ　شـــائعاتٍ في البرايـــا
تـــرقصُ الفتيـــانُ إنْ　غَنَّيْـــتُ فيـــه والفتايـــا
هـــو وِردي في صـــباحي　وصَـــلاتي في مســـايا
مُعجِـــزٌ تهييجُـــهُ كـــ　ـــلَّ المغَنّـــينَ سِـــوايا
أدركـــتْ ظـــاهرَه النَّـــ　ـــاسُ وأدركـــتُ الخفايـــا

***

رنَّـــةُ المِعـــوَلِ في الحُـــ　ـــفرةِ صـــوتٌ لِلمنايـــا
كومـــةٌ للرمـــلِ أم　جُمجُمـــةٌ طـــارتْ شـــظايا
حمـــلَ النـــاسُ ســـكوناً　وجَـــلالاً في الحنايـــا
شـــاعراً أدركـــهُ المـــو　تُ غريبـــاً في الزوايـــا
ســـبرَ الأفـــقَ بعـــينٍ　أدركـــتْ منـــه الخبايـــا

فــانبرى يــوُحي إلى النَّــ ـــاس مــنَ الأسرارِ آيــا
ثــمَّ أغفاهـــا وفي النَّفْــ ـــسِ ميـــولٌ ونوايـــا

***

قـــالَ لَمّـــا لَقَّنُــوهُ: أنَـــا لا أملِـــكُ رايـــا..
لســتُ أدري مـا أمـامي.. لســتُ أدري مـا ورايـا..
لا أرى مَـــن شـــيَّعوني مـــنكمُ إلّا مطايـــا..!
رجعـــتْ إذ لم يجـــدْ ســـا ئقُهـــا للســيرِ غايـــا..
حَـزِنَ ((الشـيخُ)) ولكـنْ ضــحِكتْ منــه الصَّــبايا

النجف عام ١٩٢٤

كذب الخائفون

رمـــقَ الأُفــقَ طرفُــهُ فترامــى ورأى الحــقَّ فوقَــه فتعــامى

كــلَّ يــومٍ للحــاكمين كــؤوسٌ جرَّعوهــا الشــعوبَ جامــاً فجامــا

كَــذب الخــائفون مــا الضــيمُ منّــا أيُّ شــعب يُرضــيه أنْ يستضــاما!؟

إنْ حفِظْــتُمْ عــلى الصُّــدور وســاماً فمــن الشــعب قــد أضــعتم وســاما

آيتــا العــرب في نــدىً وزِحــام طيِّــوا ذكــركم، وموتــوا كرامــا

أنــا ذاك الحــرُّ العراقــي إمّــا حَــنَّ يســتنهضُ العــراقُ الشــاما

النجف عام ١٩٢٤

سبحان من خلق الرجال

يـا للرفـاقِ لمـوطنٍ لجّـوا بـه حتّـى ازدرى أخلاقَـه فتخلّقـا
فـإذا نـزت همَـجٌ إلى طمـع نـزا أو صَـفَّقَتْ فيـه قـرودٌ صـفّقا
تـرك القريـبَ مـن الصـلاح ففاتـه ورجـا البعيـدَ مـن الظنـون فأخفقـا
دبَّـت عقاربُـه إلى جيرانـه أو مـا تـرى بغـداد أعـدت جِلَّقـا
أهلُ ((الخورنقِ)) و((السديرِ)) ولو سعوا رفعـوا سـديراً ثانيـاً وخورنقـا

***

سـبحان مـن خلـقَ الرجـالَ فلـم يجـدْ رجـلاً يحِـقّ لمَـوطني أن يُخلقـا
مـا إن يـزالُ مرَشّـحاً لأمـوره مُتجـبّراً، أو طامعـاً، أو أحمقـا
وطنـي وداؤك أنفـسٌ مملـوءة جَشَـعاً فمـن لي أن تُبِـلَّ وتُفرِقـا[1]
بلـوى الشـعوب مخـادعون إذا ادَّعـوا للنصـح كـذَّبتِ الفِعـالُ المنطقـا

***

الآن يلتمسـون فـكَّ وثَاقـه مـن بعـد مـا نـزل البلاءُ وأحـدقا
وطنـي ومـن لـك أن تعـود فترتقـي مـن بعـد مـا أعيـا وعـزّ المرتقـى
مـا أن تـرى عـينٌ كصبْحِك مَصْـبحاً للعاشـقين، ولا كليلِـك مَغْبقـا

---

[1] الإفراق: الإبلال من المرض.

زَهَــرتْ رياضُــك واجْتَليــتَ محــلّأً وصــفت مياهــك واحْتَسَــيْتَ مرنّقــا[1]
أفتلــك دجلــةُ بــالنعيم مُرقرَقــاً تجــري وبالعــذب الــزلال مُصــفَّقا[2]
باتــتْ تــدفّقها الريــاحُ وإنّــما ضــاقتْ مســايلُ مائهــا فتــدفقا
وبكــتْ لواردهــا أســىً وكأنّهــا أمســت تُصــعّد منــه صــدراً ضــيّقا
أقصــى مرامِــك أن تغيــضَ فتشــتكي ظمــأً ربوعُــك، أو تفــيض فتغرقــا
لــو يعلــمُ الشــجرُ الــذي أنبتَّــهُ مــا حــلَّ فيــك مــنَ الأذى مــا أورقــا
رَجَعــت خــلاءُ أكفّهــم بــك ثــرةً ورَجَعــت أنــت أبــا الخــزائن مُملِقــا
اشــفقتُ ممــا قــد مُلكــت قســاوةً أن لا تــرِقَّ إذا مُلكــتَ فتُشــفقا
مــالي وطارقــةُ الخطــوب إذا دهــت فلكــم ســألتُ الله أن لا تَطْرُقــا
عــزمُ الرجــالِ إذا تنــاهى حــدُّه مثــلُ الكِــمام إذا اســتوى فتفتقــا[3]

***

مَثَــلٌ جــرى فــيما مضــى لمحنَّــكٍ مــن ((يعــربٍ)) رام الســدادَ فوُفّقــا
أعيــا بــه جَمْــعُ العِصــي فلــم يُطِــق تحطــيمَ وحْــدتهنَّ حتّــى فرّقــا
أهــدى لكــم، لــو تقتفــون ســبيله مَــثلاً بــه كــانَ الســبيلَ إلى البقــا

النجف عام ١٩٢٤

---

[1] محلأ: ممنوع، مطرود. مرنق: كدر.

[2] المصفق: المصفى.

[3] الكمام: جمع كمامة وهي وعاء الطالع وغطاء الزهر.

بم أستهلّ؟

رثى الشاعر بها السيد ((محمد علي الحكيم))، وقد توفي بوباء (الكوليرا) الذي اجتاحَ البصرة سنة ١٩٢٤، وكان الفقيد في ريعان شبابهِ، وهو من أصدقاء الشاعر المقربين.

بِـمَ أسـتهلُّ بموتِـهِ ورثائِـهِ؟ أم قبـلَ ذاكَ بعرسِـهِ وهنائـهِ

عـيَّ اللِّسـانُ فـإنْ سـمعتَ بمقـولٍ فـاعلم بـأنّي لسـتُ مـن أكفائـهِ

هـو موقـفٌ مـا بـينَ قلبـي والأسـى جَـلّى، فكـانَ الصَّـبرُ مـن شـهدائهِ

سكنَ الثرى من كـانَ لا يطـأ الثرى وهـوى إليـهِ وكـانَ في جوزائـهِ[1]

ولقد خشيتُ عليـهِ مـن نَفَسِ الصَّبا أسـفاً لـواهُ المـوت في نكبائـهِ[2]

نجـمٌ هـوى مـن أفقـهِ فتناقصـتْ ولتشـهدنَّ عليـهِ شُـهْبُ سـمائهِ

مـن كـانَ يفـترشُ الجفـون وطـاؤه قـد وسَّـدته الـتربُ غـيرَ وطائـهِ

بشـرى أبيـكَ وبـوركَ العُـرسُ الـذي زفُـوكَ فيـه ثـرى بَوْغائِـهِ[3]

مـا المـوتُ أطبـقَ ناظريـكَ وإنّـما رقَّ الصَّـبا فكَرَعْـتَ مـن صـهبائهِ

أمجانبـاً عـرضَ البسـيطِ أعيـذه مـن أن يَضيـقَ عليـكَ رحـبُ فضـائهِ

لكـن رأى زمَـراً تمـورُ وعالَمـاً خلـطَ الظِّـلالَ هـديرُه بِرُغائـهِ

فطـواكَ في أحشـائه متخوّفـاً مـن أن يضـيعَ الـدرُّ في حصـبائهِ

هـذا الربيـعُ- وأنـتَ مـن أزهـارِهِ- يَبكيـكَ طيـبُ أريجـه وهوائـهِ

أسـفاً فـلا روضُ الحمـى زاهٍ ولا نُـوَّارُهُ متفـتّحٌ بشـذائهِ

مـا اهتـزَّ نعشُـكَ يـومَ صُـفّفَ عـودهُ إلّا لأنـك كنـتَ مـن خطَبائـهِ

يَبكيـكَ مِنـبَرُكَ الرفيـعُ وإنّـما يبكـي لفَقْـدِ وَقـارهِ وعلائـهِ

قـد كـانَ يأمـلُ أن يبلّـغ مُنيـةً حتّـى يـراكَ وأنـتَ مـن بلغائـهِ

لا توقظـوهُ بالـدموع فـربّما أغفـى لطـول سُـهاده وعنائـهِ

---

[1] وهوى اليه وكان: في الأصل- ((وهوى له من كان))- وهي من تعديلات الشاعر المتأخرة.

[2] من نفس: من مر- وهي من التعديلات المتأخرة.

[3] البوغاء: التربة الرخوة.

ولقــد خشــيتُ عليــه قبــلَ حِمامــه ... أن ســـوفَ يُحرِقُـــه لهيـــبُ ذكائـــهِ
غصــنٌ لوتــهُ الحادثــاتُ فلــم يُطِــقْ ... دفعـــاً لهـــا فـــذوى بخضـــرةِ مائـــهِ
جاذَبْنَـــهُ فضـــلَ الحيـــاةِ فقصّـــرَتْ ... منـــه ومـــا قصُـــرَتْ فضـــولُ ردائـــهِ
قـــالوا أأعـــوزه الـــدواءُ جهالـــةً ... ولـــربّما مـــاتَ الفتـــى بدوائـــهِ

***

يـــا أيّهـــا ((السّـــلْكُ)) المبلـــغُ نعيَـــهُ ... هـــلاّ حملـــتَ لنـــا حـــديثَ لقائـــهِ[1]
ركـــبٌ تحمَّـــلَ والحِـــمامُ يســـوقُهُ ... عَجَـــلاً ووقـــعُ الـــبرقِ صـــوتُ حُدائـــهِ
قلـــتُ: البشـــارةُ بالقـــدوم، فهـــذه ... أوتـــارُهُ هزِجَـــتْ بلحـــنِ غنائـــهِ
فـــإذا عـــلى أســـلاكِهِ مهـــزوزةً ... نبـــأٌ يـــرنُّ الحـــزنُ في أثنائـــهِ[2]
عَجَبـــاً لـــه خِلـــو الحشـــا مـــن لوعـــةٍ ... وجليـــلُ رزء المـــوتِ في أحشـــائهِ[3]
قـــاسٍ تحمَّـــلَ وقـــعَ كـــلّ عظيمـــةٍ ... جَلَـــلٍ تُحَـــطُّ البـــدرَ في عليائـــهِ
كـــالعودِ في أهزاجِـــه، والسَّـــهمِ في ... إصـــمائهِ، والطَّـــرْفِ في إيمائـــهِ
متملّـــكٌ ســـمعَ الملُـــوكِ وإنّـــما ... يـــروي فصـــيحَ القـــولِ في فأفائـــهِ
لا يســـتكِنُّ الســـرُّ بـــينَ ضـــلوعِهِ ... وتـــراهُ محمـــوداً عـــلى إفشـــائهِ
تتراجـــعُ الأفكـــارُ رازحـــةَ الخُطـــى ... مـــا بـــينَ عودتـــهِ إلى إبدائـــهِ

***

---

[1] يقصد سلك البرق.

[2] فإذا على أسلاكه مهزوزة: في الأصل، رنت لنا أسلاكه ودوى بها. من التعديلات المتأخرة.

[3] خلو: في الأصل، خالي.

مـا كنـتُ أعلـمُ ((والغـريُّ)) مَحِلَّـةٌ … لكَ أنْ ستقضـي في ربـى ((فيْحائـهِ))[1]

كنـتَ الهـلالَ تـنَقُّلاً وقـدْ ارتـدَى … ثـوبَ المحـاقِ رعايـةً لإخائـهِ

لفُّـوهُ في شَـطَنِ الـرَّدى ومضـى فلـم … يحلـلْ لغـيرِ اللهِ عقـدَ قَبائـهِ[2]

أفديـه مصـدورَ الفـؤادِ تقـاطرت … أفـلاذهُ بالنـارِ مـن صُـعَدائِهِ

أبكيـهِ ريَّـانَ الشَّـبابِ، رداؤهُ … نَضِـرُ الصَّبا، شَرِقٌ بحسـنِ روائـهِ

أبكيـهِ منطويـاً عـلى نـارينِ مـن … داءِ النَّـوى، وهـو الأمـضّ، ودائـهِ

أبكيـهِ مـذعوراً تقسَّـمَ طرفُـهُ … مـا بـينَ أهليـهِ، إلى رفقائـهِ

أوَ بعـدما بَرَقَـتْ أسِرَّتُـهُ لنـا … وبَـدَتْ مخايـلُ حسـنِهِ وبهائـهِ

تنتاشُـهُ كـفُّ المنيـةِ صـارماً … عَضْـباً يفُـلُّ العضـبَ حـدُّ مضائهِ

مـا بعـدَ يومـكَ غـيرُ عـينٍ ثَـرَّةٍ … ومـدامعٍ سُـحٍّ وحِلْـمٍ تائـهِ

لا تسـألنّي عـن ((أبيـكَ)) فـبعض مـا … لاقـاهُ أنّ بكاءَنـا لبكائـهِ

عـينٌ تسـيلُ دمـاً لفَقـدِ سـوادها … وحشـىً يـذوبُ أسـىً عـلى سـودائهِ

والمـرءُ سـلوةٌ والـدٍ متصـبِّرٌ … فـإذا اسـتقلَّ فصـبرُهُ بإزائـهِ

ولقـد عَهِـدتُكَ والشَّـمائلُ غضَّـةٌ … غنـيَ النَّـديمُ بهـنَّ عـن نُدمائـهِ

قـالوا: ((الوبـاءُ)) فقلـتُ مـن أدوائنـا … وهـو القتيـلُ بهـنَّ لا بوبائـهِ

رُحْ سـالِماً، ودَعِ الحيـاةَ لجاهـلٍ … وغـروره، أو عـالمٍ وريائـهِ

والـدينُ، كـلُّ النـاسِ تعـرِفُ حَمْلَـهُ … والفـرقُ كـلُّ الفـرقِ عنـدَ أدائـهِ

هـل كنـتَ لـو نُجّيـت إلّا سـاخراً … مـن حُكـمِ دَهـرِكَ، سـادراً بشـقائهِ

صـبراً أبـاهُ، وإنْ دهـاكَ برزئـه … دهـرٌ يـذوبُ الصَّـبرُ في أرزائـهِ

---

[1] الفيحاء: البصرة حيث كانت تقيم أسرة الفقيد.

[2] الشطن: الحبل.

أخـذَ الإلـهُ وأخـذهُ أجـرٌ كـما　　أعطـى وكـانَ الفضـلُ في إعطائـهِ

ولـربّما جَـزِعَ الفتـى مـن علّـةٍ　　كانـتْ سـبيلَ الشُّـكرِ عنـدَ شـفائهِ

صـبراً وشـافعُ مـن تسـمَّى ((محسـناً))　　أمـلٌ بحسـنِ الصَّـبرِ عنـدَ بلائـهِ[1]

بالخُلـدِ عـن هـذي الحيـاةِ تصـبُّراً　　يُغنـي وعـن أكـدارِها بصـفائهِ

إني نَظَمـتُ الـدَّمع فيـه قصـيدةً　　لـمّـا وجـدتُ القـولَ دونَ رثائـهِ

وعلِمـتُ أنَّ الخُلْـدَ ملـكُ ((محمَّـدٍ))　　فعسـى أكـونُ هنـاكَ مـن شـعرائهِ

صـبراً وإن ذهـبَ ((العـليُ)) وأنـتم　　((بسـعيد)) هـذا الجيـلِ مـن سـعدائهِ[2]

النجف عام ١٩٢٤

ملاحظة:

بعد عام على الوفاة نقل جثمان الفقيد من البصـرة إلى النجف فأقـام والـده مجلس الفاتحة فنظم الجواهري قصيدة أخرى منها هذه الأبيات:

أُعيـدَ لأهلِـهِ نعـشُ الفقيـدِ　　فعُـدنا للصَّـبابةِ مـن جديـدِ

أُعيـدَ لأهلِـهِ صـعداً ولكـن　　أعيـد مـن الصَّـعيدِ إلى الصَّـعيدِ

---

[1] محسن، هو ((محسن الحكيم)) والد الفقيد.

[2] سعيد: هو أخو ((محمد علي)) الجيل: في الأصل، الدهر.

على حدود فارس

أحبابَنـا بـين مَحـاني العـراقْ　　كلفـتُمُ قلبـيَ مـا لا يُطـاقْ

العـيشُ مـرٌّ طعمُـهُ بعـدَكم　　وكيـف لا والبُعْـدُ مـرُّ المـذاقْ

أمنيَّــةٌ تَعتاقُهـا شـقوةٌ　　آهٍ عـلى أمنيَّـةٍ لا تُعـاقْ

كـلُّ ليـاليكُمْ هنيئـاً لكـم　　بـيضٌ ودَهـري كلُّـه في مِحـاقْ

لي نَفَـسٌ كيـف بتَصـعيده　　والشـوقُ منـي آخِـذٌ بالخِنـاقْ

الله يرعَـى ((حَمَـداً)) إنّـه　　غـادرني ذكـراه رهـنُ السـياقْ[1]

هـل جـاءه أنّ أخـاه متـى　　يـذكرْه يَشـرَقْ بـدموع المـآقْ

＊＊＊

يكفـيكُمُ مـن لـوعتي أنّنـي　　في فـارس أشـتاقُ قُطـرَ العـراقْ

لا سـوحُها وهـي جِنـانٌ زَهَـتْ　　بكـلِّ مـا رقَّ جمـالاً وراقْ

ولا الربـى مخضـرّة تزدهـي　　حسناً حواشيها اللطافُ الرِقـاقْ

خُطَّتْ عـلى أوسـاطها خضـرةٌ　　سـبحان مـن قـدّر هـذا النِطـاقْ

تنـال مـن شـوقي وهـل سـلوةٌ　　لمـن قضـى اللهُ لـه أن يُشـاقْ

صبَّ الشتاءُ الـثلجَ فـوق الرُبـى　　يرفعُـهُ فيهـا طِباقـاً طبـاقْ

---

[1] حمد: شقيق الشاعر الصغير، وهو الاسم المحبب له، أمّا الاسم الحقيقي فهو ((جعفر)) وهو ((شهيد يوم الوثبة)) عام ١٩٤٨.

حتّى إذا الصيفُ انبرى واغتدتْ   تُصَبِّحُ الأرض بكأسٍ دِهاقْ
هبَّ عليلاً ريحُها لا صَحَا   وماسَ سُكراً روضُها لا أفاقْ
أحسنُ ما في وجهِ هذا الثرى   عيونُهُ، لا رُميتْ بانطباقْ
تجري وتجري أدمعي ثرّةً   وأدمُعي أولى بشأو السباقْ
لم يُحيي هذا الماءُ مَيْتَ الثَرى   لو لم يكنْ ماءَ المروج استراقْ
ليس يقي النفْسَ امرؤ من هَوى   إلّا إذا كانَ من الموت واقْ

النجف عام ١٩٢٤

الذكرى المؤلمة

أقــولُ وقــد شــاقتنيَ الــريحُ ســحرةً   ومَنْ يـذكرِ الأوطـانَ والأهـلَ يَشْـتَقِ[1]
ألا هــل تعــودُ الــدارُ بعــد تشــتُّتٍ   ويُجْمَــعُ هــذا الشــملُ بعــدَ تفــرُّقِ
وهل ننتشــي ريحَ العــراقِ وهــل لنــا   ســبيلٌ إلى مــاء الفــرات المصــفَّقِ
حبيــبٌ إلى ســمعي مقالــةُ ((أحمــدٍ)):   ((أأحبابنَــا بــين الفــراتِ وجِلَّــقِ))[2]
فــوا الله مــا رَوحُ الجنــان بطيّــبٍ   ســواكم، ولا مــاءُ الغــوادي بريّــقِ
ووالله مــا هــذي الغصــونُ وإن هَفَــتْ   بــأخْفَقَ مــن قلبــي إلــيكم وأشــوقِ
شرِبنــا عــلى حكــمِ الزمــانِ مــن الأذى   كؤوســاً أضرّت بالشــراب المعتــقِ
فمَــن كــان يَهْنيــه صَــبوحٌ ومغبــقٌ   فــإنَّ مــن البلــوى صَــبوحي ومغبقــي

***

خلــيليَّ لا تُلْحــى ســهامُ مصــائبٍ   أُتيحــت فلــولا حكمــةٌ لم تُفــوَّقِ
تعنّــف أحكــامَ القضــاء حماقــةً   كــأنّ القضــاءَ الحــتمَ لــيس بــأحمقِ
كفــى مخــبراً بالحــال أن لــيس مُنيــةٌ   لنفســيَ إلّا أنْ نعــودَ فنلتقــي
ومــا فــارسٌ إلّا جنــانٌ مُضــاعةٌ   ويــا رُبَّ خمــرٍ لم تجــد مــن مُصــفِّقِ
هنيئــاً فــلا مَســرَى الريــاحِ بــواهِنٍ   وَبيٍّ ولا مجــرى الميــاهِ بضــيّقِ

---

[1] يتشوق الى العراق وهو يصطاف في ايران.

[2] أحمد: ابو العلاء المعري.

أتـى الحسـنُ توحيـه إليهـا مـن السـما   يـدُ الغيـثِ في شـكلِ الكـمامِ المفتَّـقِ
مضى الصيفُ مقتاداً مـن الحسـن فيلقـاً   وجـاء الشـتا زحفـاً إليهـا بفيلـقِ
كـأن الثلـوجَ النـازلاتِ عـلى الرّبـى   عمائـمُ بـيضٌ كُـوِّرَتْ فـوق مَفْـرِقِ

النجف عام ١٩٢٤

على كرند[1]

خلــيليَّ أحســـنُ مــا شــاقني بفــارسَ هــذا الجــمالُ الطبيعــي
إلى الآن تجــري مُتــونُ الجبــالِ علينــا بمثــل مُــذاب الــدُموعِ
هلُمّا معي نحــو هــذي الريــاضِ نجــددْ عهــوداً بفصــلِ الربيــعِ
فقــد أضحتِ الأرضُ مخضــرّةً تَضاحكُ عن شملِ حسنٍ جميعِ
ومهــلاً فظلــمٌ لهــذا الجــمال نمــرُّ عليــه بلحــظٍ سريــعِ

***

خلــيليَّ إنّ جيــوش الغَــمام عــرفنَ لفــارسَ حسنَ الصنيعِ
ألم تريــا كيــف ضرعُ الغَــمام يــرقّ لهــذا النبــات الرضيــعِ؟
ولِمْ لا تريـــع بأريافهـــا بــلادٌ تسيل بــماء مَريــعِ؟
خلــيليَّ مــا في بقــاع الوجــو دِ أبهــجُ مــن وشي هــذا البقيــعِ

***

بني الفرس فارسُكُمْ لا العــراق وزاهــي رُبــوعكمُ لا ربــوعي
وما أبهجَ الشمسَ عند الغــروبِ يُحَيّــي رُباهــا وعنــد الطُّلــوعِ

---

[1] كرند: مصيف في ايران.

خليليَّ ما غيّرت فارسٌ محلّ البصير بكم والسميعِ
ولو شئتُ حمّلت برقيةً تُزِفُّ لكم من رجيف الضُّلوعِ

إيران عام ١٩٢٤

الريف الضاحك

كـلُّ أقطـارِكِ يـا ((فـارسُ)) ريـفُ   طـابَ فصـلاك: ربيـعٌ وخريـفُ
لا عـرَتْ أرضُـكِ مـن لطـفٍ فقـد   ضَـمِنَ الحسـنَ لهـا جـوٌ لطيـفُ
يـا رِياضـاً زهـرَتْ في فـارسٍ   شـكرَتْكنَّ عُيـونٌ وأُنـوفُ
مـثلما للقلـبِ مـن حـرّ الجَـوى   رفَّـةٌ للطيرِفـيكنَّ رفيـفُ

***

ألِلشـيءِ غـيرَ أن نَقطِفَـه   ثمـراً غضّـاً دنـتْ منـكِ القُطـوفُ
نزلـتْ ضـيفاً بهـا أرواحنُـا   فَقَرتْهـا خـيرَ مـا تُقـرى الضُيوفُ
مـن جمـالٍ خُـطَّ معنـاهُ عـلى   فارسٍ واختصَّتِ الأرضَ حـروفُ
وخيـالٍ تُطـرِبُ الـنفسَ بـه   هِـزَّةُ الـروضِ ويشـجوها الحفيـفُ
صَـنعةٌ للفـرسِ في الـوشي ولا   مثلَ ما وشَـى بهـا الـروضُ المفوفُ
لـذَّ مَشـتاها فأنسـانا بـما   هـزَّ منّـا أنَّـه لـذَّ المصـيفُ
مـا لأكنـافِ الرُّبـى مبيضَّـةً   أتُراهـا بُـدّلت منهـا الشُّـفوفُ
أمْ هـو الشـيبُ دَهاهـا عَجبـاً   شيَّبت حتّى الرُّبى هذي الصّـُروفُ
إنّـما جلَّلهـا الـثلجُ الـذي   غُمِـرَتْ منـه جبـالٌ وكهـوفُ
فـارِسٌ أيـنَ وألآفُ الصِّـبا   أوَ هـلْ يبقـى عـلى النـأيِ أليـفُ؟

***

أمِـن النـاسِ تُرجّـي صـفوةً   عنـكَ يـا ناشـدُ فـالحيُّ خَلـوفُ
لا تعُـدْ تسـلُكُ فيهـا قفـرةً   فطريـقُ الـودِّ في النـاسِ مَخـوفُ
كـلُّ هـذا وهـو يـومٌ واحـدٌ   كيـف لـو مـرَّتْ مئـاتٌ وألـوفُ

قـد تَناوَمْنـا عـلى رُغـمِ الكـرى لنــراكمْ أفــلا طيــفٌ يطــوفُ

سِــمةٌ للشــوقِ كانــتْ ســبباً لسؤالِ الناسِ: مَـنْ هـذا النحيـفُ؟

لا تقولــوا وَحــدةٌ تُوحِشــهُ كيـف يسـتوحشُ والشـوقُ رديـفُ

أيّهــا الخُضــرُ وفي أبيــاتكم أوجـه تُفـدى بـها ضـمّ النصـيفُ

لم يفتهــا تــرفُ الظــلِّ ولا نالَ من أوراكهـا السـيرُ الوجيـفُ[1]

حبــذا حــبُّكُمُ مــن معهــدٍ كــم نــها فيــه أديــبٌ وظريــفُ

إيران عام ١٩٢٤

---

(١) الوجيف: السريع.

بين قطرين

متشوقاً إلى العراق خلال اصطيافه في إيران

سقى تُربَها من ريِّقِ المزن هَطّالُ ديـاراً بعثْنَ الشوقَ والشوقُ قتّالُ
خليليَّ أشجَى ما ينغِّص لذَّتي مَناخٌ أقامته عيالٌ وأطفالُ
وأيدٍ وأجيادٌ تُمدّ وتلتوي ومنهنَّ حالٍ بالدموع ومعطالُ
خليليَّ لو لم يَنطِق الوجدُ لم أقل فقد كذَّبت قبلي لذي الحبّ أقوالُ
وحيداً فلو رُمتم على الوجد شاهداً لما شَهِدت إلّا بُكورٌ وآصالُ
وما برِحت أيدي الخطوب تنوشُني بفارسَ حتّى بغَّضَ الحلَّ تَرحالُ
وما سرّني في البُعد حالٌ تحسَّنَتْ بلادي أشهى لي وإن ساءت الحالُ
فمن شاقه بَردُ النعيم بفارسٍ فإنّي الى حَرِّ العراقين ميّالُ
أُحبُّ حصاها وهو جمرٌ مؤجَّجٌ وأهوى ثراها وهو شَوكٌ وأدغالُ

***

وإنّي على أنَّ البلادَ جميلةٌ تروق كما ازدادت من الدلِّ مِكسالُ
منعَّمةٌ أمّا هواها فطيّبٌ نسيمٌ وأمّا الماءُ فيها فسَلسالُ
يسيل على أجبالها وهو لُجّةٌ ويجري على حَصبائها وهو أوشالُ
تحيط به خُضرُ الرياض أنيقةً كما رُقِمت فوق الصحائفِ أشكالُ
أحنُّ إلى أرض العراق ويعتلي فؤادي خُفوقٌ مثلَما يَخفُقُ الآلُ
وما الهولُ غِشيانَ الدروبِ وضيقُها عراكُ الهوى والوجدُ والذكرُ أهوالُ

***

خليليَّ أدنى للبيب رُقيُّهُ إلى النجم من أن يَسلَم العزُّ والمالُ
ألا مُبلغٌ عنّي ((المعرِّيَ)) أحمداً ليُسمِعَه والشعرُ كالريح جوّالُ
بأنّي وإياه قُريننا مصائباً وإن فرّقت بين الشعورين أحوالُ
وإنّي وإيَّاه كما قال شعره: ((مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلالُ))

((تمنيّـــتُ أنّ الخمــر حلّـــت لنشـــوةٍ تُجَهِّلُنـــي كيـــف استقرَّت بيَ الحـــالُ))

أحبَّـــايَ بـــين الرافـــدين تيقّنـــوا بـــأنّي وإن أُبعِـــدتُ عـــنكم لســـآلُ

لـــئن راقكـــم مـــاءُ الفـــرات وظُلِّلـــتْ عليكم مـن الصَّفصـاف والنخـلِ أظـلالُ

فـــإنّيَ مـــن دمـــع علـــيكم أُذيلـــه شروبٌ ومـــن سَـــوداءِ قلبـــي أكّـــالُ

لقـد كـان هـذا القلـب في القُـرب مضـغةً وهـــا هـــو مـــن بعـــد الأحبَّـــة أوصـــالُ

ايران عام ١٩٢٤

الأحاديث شجون

يتشوّق فيها إلى العراق في أثناء اصطيافه في إيران

ضَـحِكَت فيهـا مـن الـروض وجـوهٌ   وجَـرَت بالسَّلْسَـلِ العَـذبِ عُيـونُ
واكتَسَـتْ بالحسـنِ هامـاتُ الرُّبـى   كـيفَما شـاءَ لهـا الغيـثُ الهَتـونُ

***

حبّـذا فـارسُ مـن مُسـتوطَنٍ   عافَـه الأهـلُ وخـلاّه القَطـينُ[1]
أفَهـذا قصـرُ ((فرهـادَ)) الـذي   جمعتـه مـع ((شـيرينَ)) المَنـونُ
مـثَّلا للحـبِّ دوراً طـاهراً   لم يَشِـبْ أثوابَـه البـيضَ مُجـونُ
لـيس منـه غـيرُ رسـمِ دارسٍ   مُخـبِرٍ أنَّ رَحـى الـدهرِ طَحـونُ
أوَ لا ((كسـرى)) ولا أجنـادُه   خُلِّيَـتْ مـنهم قِـلاعٌ وحُصـونُ
سـلَفَت فـيهم سـنونٌ تَرفـاً   وأتَـتْهم بالبَلِيّـات سـنونُ
وكـذا الـدهرُ عـلى عاداتـهِ   إنْ صَـفَا حِـينٌ نبـا والتـاث حـينُ
جَـدّدي ريـحَ الصَّـبا عهـد الصِّبا   وأعيـدي فالأحاديـثُ شُـجُونُ
إن أباحـتْ لـكِ أربـابُ الهَـوى   سِرَّه فـالحكمُ عنـدي أن يصـونوا
يـومَ كنّـا والهـوى غـضٌّ ومـا   فُتِحَـتْ إلّا عـلى الطُّهْـر العُيـونُ
مـا عَلِمنـا كيـفَ كُنّـا وكـذا   ديـنُ أهـلِ الحـبّ والحـبُّ جُنـونُ

***

أشرقَ البـدرُ عـلى هـذي الرُّبـى   أفـلا يُخسِـفُه مـنكُمْ جَبـينُ
جَـلَّ هـذا الجِـرْمُ قَـدراً فلقـد   كـادَ يهتـزُّ لـه الصخرُ الـرزينُ
كـلُّ أوقـاتيَ رهـنٌ عنـده   الـدُجى الفجـرُ، الصبحُ المبـينُ

***

سَـألونا كيـف كنـتمْ؟ إنَّ مَـنْ   دأبُـه ذكـرُكمُ كيـفَ يكـونُ!

---

[1] القطين: الساكون.

هــوَّن الحــبَّ عــلى أهــل الهَــوى أنّ تَــركَ الحــبِّ خطــبٌ لا يهــونُ

مــا لهُــمْ فيــه مُعينــونَ ومــا لــذَّةُ الحــبِّ إذا كــان مُعيــنُ

ميَّــزَت مــا بــين أربــاب الهــوى ودَعــاويهم: وجــوهٌ وجُفــونُ

وهــواكُمْ لا نَقَضْــنا عَهــدكُمْ وضَــمينٌ لكُــمُ هــذه اليمــينُ

أيفــي الــنجمُ فيبقــى ســاهراً مُحييــاً ســودَ الليــالي ونخــونُ

شَرَعٌ في النــاس، والــدَّينُ وعــو دُ عــمّ فيهــا الخُلْـفُ والوعــدُ ديــونُ[1]

أيــن مــن يُرضــيكَ منــه حــاضِرٌ وهــو في عِرضِــكَ إن غبــتَ ضَــنينُ

فعــلى الخــير يقــينٌ ظَنُّــهُ وعــلى الشــرِّ فكــالظنِّ اليقــينُ

***

جــدِّدي كيــف اطِّراحــي فارســاً ولمــرأى وَطَنــي كيــفَ الحنــينُ

وسَــلي قلبــيَ لِمْ ضــاقتْ بــه فــارسٌ وهــي ريــاضٌ لا ســجونُ

***

جــدِّدي ذكــرَ بِــلادي إنَّنــي بهواهــا أبــدَ الــدهرِ رَهــينُ

أنــا لي دِينــانِ: ديــنٌ جــامعٌ وعراقــي غَرامــي فيــه دِيــنُ

القــوافي أدمــعٌ منظومــةٌ والأناشــيدُ بُكــاءٌ وَحَنــينُ

كيــف لا تُحــزنكُم أُهزوجــةٌ كــانَ مــن أوتارهــا القلــبُ الحــزينُ

***

اكــسُ يــا ربِّ بــلادي رحمــةً وحنانــاً مــثلما يُكســى الجنــينُ

امــحُ عنهــا ذلَّ إرهــاقِ العِــدى إنّهــا مــا عُــوِّدَتْ عــاراً يَشــينُ

يــا مُــدانينَ أضــاعُوا وطنــا هــو للحشــرِ بمــن فيــه مَــدينُ

---

[1] شرع: سواء.

أيـــن كـــانَ الـــوطنُ المحبـــوبُ إذْ قَلَّـــتِ الزينـــةُ مـــالٌ وبَنـــونُ
لـــيسَ يخفـــى أمـــرُكُم مـــن بعـــدِ مـــا قُلِّبَـــتْ منـــه ظُهـــورٌ وبُطـــونُ
كـــم يُـــرى منفوخـــةً أوداجـــهُ مـــن نِعـــاج هزِلَـــتْ ذئـــبٌ سـمينُ

***

تُـــبخَسُ الأوطـــانُ ظلـــماً حقَّهـــا ثـــمّ لا يُســـترخَصُ العمـــرُ الثمـــينُ
هـــذه بغـــدادُ هـــذا كرخُهـــا هـــذه ((دجلـــةُ)) والمـــاءُ المَعـــينُ
هـــذه الـــدورُ التـــي شـــيَّدها للسَــما ((مستنصـــرٌ)) أو ((مستعينُ))
كلّهـــا تصـــبحُ إرثـــاً ضـــائعاً لِيَـــنُحْ ((هـــارونُ)) وليَبْـــكِ ((الأمـــينُ))
لـــيس تنفـــكُّ بـــلادي كلُّهـــا يَـــبَسٌ أو كلُّهـــا مـــاءٌ وطـــينُ
دجلـــةٌ و((النيـــلُ)) و ((الشـــامُ)) معـــاً و((الصَّفا)) تندُبُ شجواً و((الحجونُ))
قُطِّعَـــتْ أوصـــالها وافترقـــتْ فشِـــمالٌ لـــيس تـــدري مـــا يمـــينُ؟

ايران عام ١٩٢٤

وفي الربيع

يهنىء بها صديقه السيد ((محمد علي العلاق)) بزواجه

غَدَرَ الصِّبا ووَفى الربيعُ لريفِهِ شتّانَ بين أليفنا وأليفِهِ

عادت لتفويفِ الصِّبا أزهاره أتُرى صبايَ يعود في تفويفهِ؟

سَقياً لشرقيِّ الرُّصافة إذ صَفَا عيشٌ بمرتَبَع الهَوى ومَصيفهِ

من سفح دجلةَ حين رقَّ نسيمهُ سَحَراً وراقت دانياتُ قُطوفهِ

أحبابنا في الكَرخ هل من زورةٍ لنَحيلِ جسمٍ بالفراقِ نحيفهِ

أهوى لأجلكمُ العراقَ فمُنيتي في قُربكم لا خِصبهِ أو ريفهِ

لي فيكُمُ قمرٌ يُهيّجُني له إنَّ البعاد يَروعُني بخُسوفهِ

ومُسجَّفٌ لو لم يُحجَّبْ كانَ من زفراتِ أنفاسي بمثل سجوفهِ(1)

مُتنقلُ الأفياءِ شَيَّعَ ركبَه نَفَسي يُناطُ بسَيره ووقُوفهِ

يَلوي الوعودَ فلا تُزَرُّ جيوبُه إلّا على نزْرِ الوفاءِ ضعيفهِ

ما الطيرُ حامَ على الغدير فراعه وحشٌ فظلَّ يحوطُه برفيفهِ

ظمآنَ لا وِردٌ سواهُ فيَنثني عنه، ولا يسطيعُ خوض مَخوفهِ

يوماً بأولعَ من فؤادي إذ نأوا عنه بمجدولِ القَوام رهيفهِ

لا تُنكروا قلبي الخفوقَ فإنّما هي مهجةٌ قد عُلِّقت بشُفوفهِ(2)

ما هاجَ قلبَ الصبِّ إلّا الصدغُ في تشويشهِ، والشَّعرُ في تصفيفهِ

أرَّقْتَ طَرْفاً لم تَرِقَّ لقَرحهِ وأخَفْتَ قلباً لم تُرَعْ لحفيفهِ

الله يشهدُ أنّني ألقى الهوى بلسان فاسِقهِ وقلبِ عفيفهِ

إنّي وإن كانَ التصابي هفوةً منّي، وكم ساعٍ لجلبِ حُتوفهِ

---

(1) مسجف: مستر، السجف: الستر.

(2) شفوف: جمع شف (بفتح الشين المشدد وكسره) وهو من رقّ الثياب ومن النسيج.

لأحِـــنُّ للعهــدِ القـــديمِ صــبابةً كحنـــينِ إلـــفٍ نـــازحٍ لأليفـــهِ
ولــئن ســلوتُ ففــي التهــاني ســلوةٌ ((بمحمّــد)) صَــنوِ النــدى وحليفــهِ

***

يا ابن ((الحسين)) وأنـت تخلُـف ذكـره أكــرمْ بمخلــوف مضـــى وخليفـــهِ
سرَّت ثـراه بـروقُ عرسِـك فاغتـدت عنـــه وذِكـــرُ هَنـــاكَ أُنـــسُ مخوفـــهِ
بك في ((العليّ)) عن ((الحسين))تصبرٌ بممجّـــدٍ ثبـــتِ الجَنـــان رؤوفـــهِ
لا تُجهِـــدنَّ الشـــعرَ يـــا نَظّامـــه فصـــفاتُه تُغنيـــك عـــن تَوصـــيفهِ
جَـــمَّ النَـــدى أنْســـاه عـــن عثراتِـــهِ في الجـــودِ بـــذلُ مئاتِـــهِ وألوفـــهِ
طَـــرِبٌ يُغنّيـــه سَـــميرُ ضـــيوفِهِ لا ((مَعبـــدٌ)) بثقيلِـــهِ وخفيفـــهِ
شـــيمٌ أنـــافَ تليـــدُها لطريفهـــا فســـما بهـــا بتليـــدهِ وطريفـــهِ
يـــا ابـــن النبـــيِّ وتلـــك أشرفُ نســـبةٍ ومُضـــافُ مجـــدٍ ينتمـــي لمُضـــيفهِ
لم يُـــرغم الحُسّـــادَ إلّا مفخـــرٌ أغنـــاهُمُ التنزيـــلُ عـــن تحريفـــهِ
شَرَفٌ محـــلُّ الشـــهب دونَ محَلّـــه ومُنيـــفُ بُـــرج الشـــمسِ دونَ مُنيفـــهِ
بيـــتٌ بـــه طـــاف العُفـــاةُ ففضـــلهُ بـــادٍ كفضـــل البيـــت في تَطويفـــهِ[1]
يفـديكَ مـن ضرَبـتْ بـه المثـلَ الـورى بُخـلاً فقُـرصُ الشـمسِ قُـرْصُ رغيفـهِ
شَـــحت عطايـــاه فـــما مـــن نـــاظرٍ إلّا تمنّـــى الطيـــفَ مـــن مَعروفـــهِ
لـــو رام يمحـــو البخـــلَ عنـــه مُـــدافِعٌ عكفـــت طبيعتُـــهُ عـــلى تعنيفـــهِ
ويقـــولُ إن قـــالوا تصـــرَّف درهـــمٌ ليـــت الجمـــودَ عَـــداه عـــن تصـــريفهِ
ولقـــد أراكَ وللـيراعـــةِ مَســـرحٌ في القـــولِ بـــين غريبـــهِ ولطيفـــهِ
قَلَـــمٌ ســـقاهُ فـــيضُ كفِّـــك فالتقـــت بـــيضُ الأمـــاني بـــين ســـودِ حُروفـــهِ

---

[1] العفاة: جمع عاف وهو طالب المعروف.

لـــدنٌ إذا مـــا الـــدهرُ جـــدّ فهـــزَّةٌ في طِرســـه تكفيـــكَ ردَّ صروفـــهِ

مـا جـال في حَلَبـاتِ طِرسِـكَ سـابقاً إلّا وجـــاءَ مـــن النَـــدى برديفـــهِ

كـــم مُشـــكلٍ مُســـتَنبَط بدقيقـــهِ وسـمينِ خطـبِ مُـذعنٍ لعجيفـهِ

كالســيلِ في تحــديره، والســيفِ في تطبيقـــهِ والـــرُمح في تثقيفـــهِ

وكأنّـــه بـــين السُّـــطور مـــدّبرٌ للجـيش أعجَبَـه انتظـامُ صُـفوفهِ

معـــروفُ شـــعري في مـــديح محمّـــدٍ أزْرَت بدائعـــهُ عـــلى ((معروفـــهِ))[1]

نَفَـسٌ شَـأى نَفَـسَ الكهـول وإنّـما ظَـرْفُ الشـباب يلـوحُ في تفويفـهِ

وقصـــائدٌ رقّـــتْ فكـــان مـــدبُّها كـالخمر مـن ثَمِـلِ القَـوام نزيفـهِ[2]

أسِـفَ الحسـودُ بـها علـون وإن أعِـشْ لأطَـــولنَّ بهـــن حـــزنَ أســـيفهِ

إن زيـــنَ قـــومٌ بالقصـــيد فـــإنّني باســـمي يـــزانُ الشـــعرُ في تعريفـــهِ

دُمـــتُمْ ودام المجـــدُ في تشـــريفهِ جُـــوداً ودامَ الفضـــلُ في تأليفـــهِ

النجف عام ١٩٢٤

---

[1] إشارة الى الشاعر معروف الرصافي.

[2] النزيف: السكران.

وشاح من الورد

قدمها الشاعر برسالة إلى صاحب الصحيفة، ((محسن ناجي صالح)) هي:

أخي المحترم صاحب ((مرآة العراق)) المفضال..

بعد السلام عليك..

بمناسبة إرسالي الموشحة الصغيرة لجريدتك الغراء أقول:

إنّ إخواني الشرقيين عامة يدينون اليوم بدين التقليد وأنا معهم.. ولكنّي، مع هذا كلّه، فأنا غيرهم.. لقد ضاقت خطةُ الأدب العربي الوسيعة بكثير من إخواني أصحاب الأذواق في الأدب الشرقي كما يظنون، وعوضاً من أن يستخرجوا من أوزانه وأعاريضه أوزاناً وأعاريض أخرى لتكون لهم أيادي خالدة عليه فقد نزلوا كلّاً على الأدب الإفرنجي، وآخر ما أتحفونا به من ذلك الشعر المنثور.

أجل.. أخي، خير من هذا الشعر المنثور الغربي الفاقد لرقّة الشعر الموسيقية التي تنزل بها القافية على أعماق القلب بلا إذن، الموشحات الأندلسية المتشعبة الفنون، الكثيرة اللطف والرونق.

وخير لناقلها إلى العرب الأديب ((أمين الريحاني)) أن يكون ثاني ((ابن باجة)) و((ابن زهر)) و((ابن الخطيب)) من أن يكون ثاني فلان الإفرنسي والإمريكاني وهو العربي القح.

أمّا أنا، المخلص، فلا أزال مشغوفاً بالآثار الأندلسية المعتوقة أقرأها عند كلّ صباح ومساء، بنغمتي التي أقرأ بها كل ما يعجبني ويُطربني.. ولا تزال موشحات الأندلسيين وأهازيجهم قبلتي وقدوتي.

وإليك واحدة منها نظمت قبل سنين عثرت عليها بين أوراقي المتناثرة، وبعثت بها إليك على ما بها، دليلاً على إعجابي بهذا النوع من النظم منذ صغري.

والسلام عليكم

المخلص/ محمدى مهدي الجواهري

يغـــزل للفجـــرِ بـــيضَ الخيـــوطِ

والصـبحُ إذ يســري مطـــالع البِشـــرِ عــــلى النـــواحي
وريِّـــقُ القطــــر يحــــوك للزهـــر ثـــوبَ ارتيـــاحِ

والكـــأسُ مــلآن

والشهب ندمان بعضٌ لبعضِ

***

والكلُّ فرسان

والروضُ ميدانُ للقطف والعضّ

والصُّدغُ بستان

واللحظُّ وسنان كالنرجس الغضِّ

والشّعرُ كالشَّعرِ في اللفِّ والنشرِ فيه افتضاحي
والخدّ كالبدرِ كالشمس في الظُهرِ والأفْقُ ضاحي

***

رَوْح الصَّبا تسري بالبعث والنشرِ على البطاحِ
ويانعُ الزّهرِ يلتفّ بالنهرِ مثلَ الوشاحِ

والروضُ مزدان

تكسوه ألوان من الربيع

***

والنبت فَيْنانُ

رَوح وريحانُ زاهي الفروع

والشمسُ في سُكر　　من رشفة الخمر　　من الأقاحِ

تسري ولا تدري　　بالنهي والأمرِ　　بلا جماحِ

ومَبسمُ الفجرِ

يفترُّ عن درٍّ　　من السقيطِ

***

وطائرُ النَّسرِ

يلوذُ بالوَكرِ　　خوف السقوطِ

والبدر في الأسر

واهي الخيوطِ

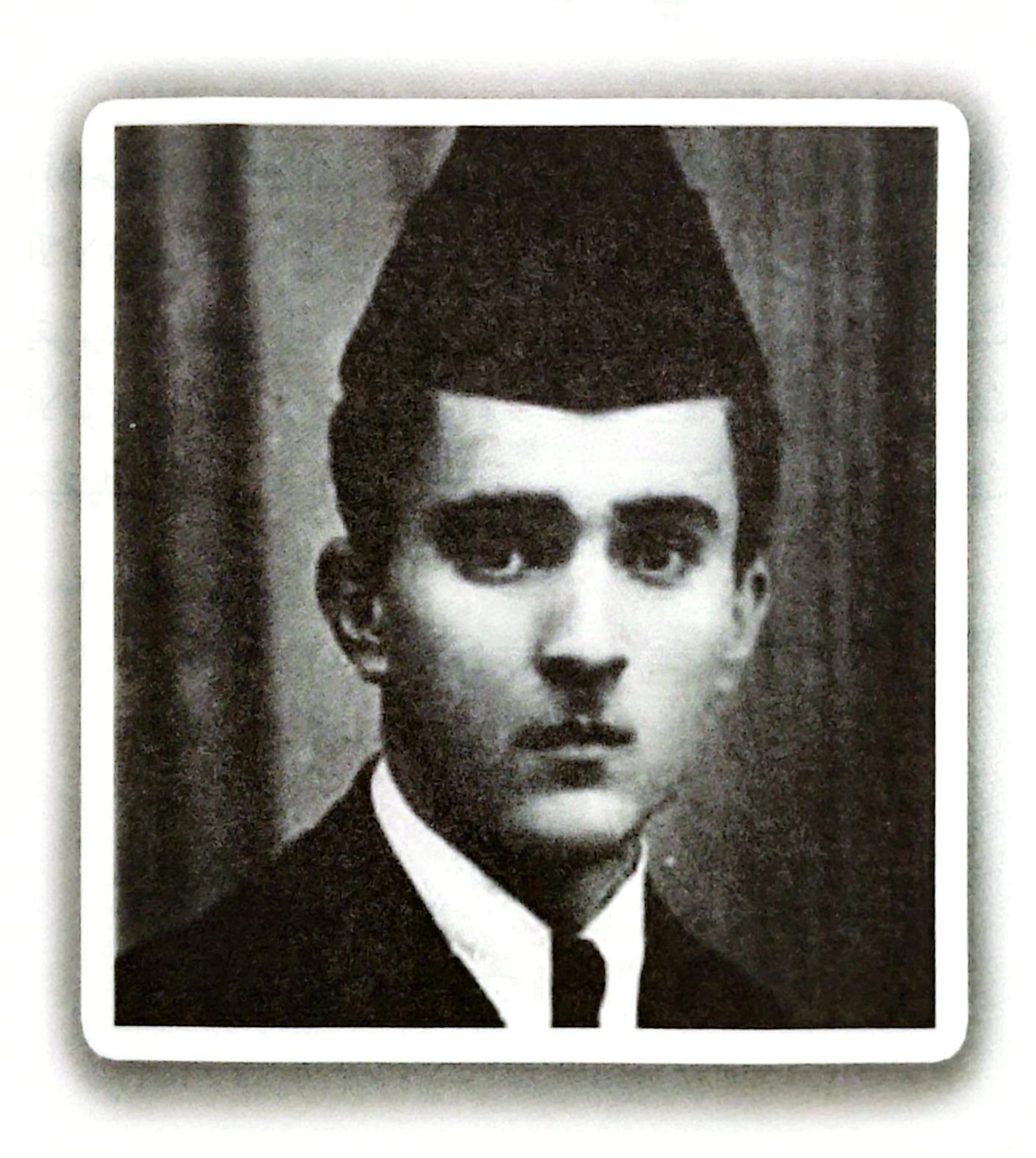
النجف عام ١٩٢٤

سيكفيك رسمي [*]

أ ((أحمَدُ)) ما أبثثْتُكَ الهمَّ والنجوى　　مكاشَفةً إلّا لأنكَ ((عَارفُ))
ألا لا تنل شكوايَ منكَ فإنّها　　تُؤَلِّمُ حتّى الصَّخرَ هذي القذائفُ
يقولونَ: ((مَطبوعُ القريضِ لطيفهُ))　　فَهل قوبلتْ باللطفِ تلكَ اللَّطائفُ
ألا لَوْ يَبوحُ الشعرُ منّي بما انطوى　　لَهَبَّتْ على هذي الطُّروسِ العواطفُ
سَيُغنيكَ رسمي عن أمورٍ كثيرةٍ　　فظاهرهُ عن باطنِ الأمر كاشفُ

النجف عام ١٩٢٥

[*] مقطوعة ضمنها كتاباً أدبياً أرسله مع صورته إلى صديقه الشيخ ((أحمد عارف الزين)) صاحب مجلة ((العرفان)) اللبنانية.



علي الخالصي

مرثاة للمجاهد الوطني وأحد زعماء ثورة العشرين الشيخ ((مهدي الخالصي)).

صَـدقْتَ يـا بـرقُ بهـذا النبـا ومـن ليَ اليـوم بـأن تكـذِبا

مـن هِـزّة الحُـزنِ غـدا خافقـاً سـلكُك أم مـن هِـزّة الكهرُبـا؟

طـارت بيـوم الـنَّحس برقيـةٌ آهٍ عـلى الآمـالِ طـارت هبـا

شـقّتْ عـلى الأسـماع أصـداؤها وهـزَّ فيهـا المشـرقُ المغربـا

مـوجَزةُ اللفـظ وداعـي الأسـى بـالحُزنِ في أثنائهـا أطنبـا

تكـاد أن تمْـرُقَ مـن سِـلكها لـو وجـدت مـن بينـه مهربـا

علـماً بـما تحمـل مـن خطـرةٍ بـالرغم أن تقـرأ أو تكتبـا

لسـانُها الأخـرسُ مـن حلَّـه؟ ولفظُهـا المعجـمُ مـن أعربـا؟

***

قُومي البسـي بغـدادُ ثـوبَ الأسـى إنّ الـذي تَرجينـه غُيّبـا

إنّ الـذي كـان سراجَ الحمـى يشِـعّ في غيهبـه كوكبـا

بـات عـلى نهضـةِ أوطانـهِ ملتهـبَ الجمـرةِ حتّـى خبـا

قصـرَّ مـن أيامـه همُّـهُ أن يُنقـذ المـوطن والمـذهبا

قـومي افتحـي صـدرَك قـبراً لـه وطرِّزيـه بـوُرود الرُّبـى

خُطـي عـلى صـفحته: ((هكـذا يُرفـعُ مـن مـات شـهيدَ الإبـا))

ودرِّسي نشـأك تَاريخَـه فـإنَّ فيـه المـنهجَ الأصـوبا

رُدِّي إلى أوطانـه نعشَـه لا تـدفِني في فـارسٍ ((يعربـا))

لا تــدعي فــارسَ تختصّــه   فالولــدُ الــبَرْزُ لمــن أنجبــا[1]
شــمسٌ أضــاءت ههنــا حقبــةً   وهــي هنــا أجــدرُ أن تغرُبــا

***

كــان يهــزُّ الصُــلبَ مــن غالــبٍ   ويــدفع المغلــوبَ أن يَغلِبــا
يُهيب بالطالــب أن يركــب الأخطــ   ــارَ حتّــى يبلُــغَ المطلبــا
لا يــأتلي ينشُــد حقّــاً ولا   يَنفــكُّ أن يُغضِــب أو يُغضَــبا
كــان صــليبَ العــود في دِينــه   وكــان في آرائــه أصــلبا
يمنعُــهُ المبــدأ أن ينثنــي   والــدينُ والجــرَأةُ أن يكــذِبا
عــفٌّ عــن الــدنيا ســوى خُطّــةٍ   يــذِبُ عنهــا وكفــى مأربــا
ورابــطُ الجــأشِ متــى مــا يشــأ   جهَّــز مــن آرائــه مقنبــا
يُبغضُــه المُعجَــب إذ إنّــه   أخــو اتضــاع يُــبغض المعجَبَــا
محَّــص بالتجريــبِ أيّامَــه   وكــيِّسُ الأقــوامِ مــن جرّبــا
يكــادُ أن يُشــربَ مــن رقّــةٍ   ومــن جمــال الــروح أن يُنهبــا
شــاءَ العــلى والمجــدُ أن يجّــتلي   وشــاءت الأقــدار أن يُحجبــا
تنــازعٌ للكــون في أهلــه   صــيَّر منــا الحــوَّلَ القُلّبــا
مــا الجــودُ في أعمارنــا طولُهــا   وإنّــما الجــود بــأن تُوهَبــا
ســيانِ طــال العمــرُ أو لم يُطــلْ   مــا دامــت الغايــةُ أن يُســلبا

***

ســمعاً زعــيمَ الــدين مــن نــادبٍ   عــزَّ عليــه اليــومَ أن تُنْــدَبا
اليــومَ يَرثيــك وفي أمســه   كــان يُغنّيــك لكــي تَطْرَبــا

---

[1] في طبعة دار العودة: البرّ.

كـــــان ومــــا زال بأنفاســــه ينفُـــثُ كـــالجمر وقـــد ألهبـــا

مـــا دأبُــه العُجــبُ ولكــن كفــى أنّــك قــد كنــتَ بــه معجَبَــا

بكــــلّ غـــــرّاءَ إذا أُنشِــــدت تُلهــي العطــاشَ الِهـيمَ أن تشــربا

تُــزري عــلى الشــمس اذا أشرقــت وتغــرُبُ الشــمس ولــن تغرُبــا

مــن أيــن ســارتْ وجــدتْ قــائلاً أهــلاً، وســهلاً، مرحبــاً مرحبــا

إيــهِ بــلادي هــل يَقيــك الأذى أني انتضــيتُ المقــولَ المِقْضــبا[1]

تعيــا القــوافي أن تصُــدَّ الجــوى يغــلي، ويعيــا الــدمعُ أن ينضُــبا

شــيئانِ مــا مــثلها لــذةً في الســمع ذكــراكَ وذكــرُ الصِّــبا

مــن فلَــذِ القلــب وأنياطــه حـــقٌّ لتمثالـــكَ أن يُنصـــبا

النجف عام ١٩٢٥

---

[1] المقضب: القاطع.

بعد الفراق

خليليَ سلِّ القلبَ عن هذه البلوى ... وناجِ فإنَّ الهمَّ تدفعهُ النَّجوى

ألا لو وجدنا عن أذانا مُحامياً ... أقمنا على الدهر الذي ضامنا الدعوى

سل الفَلَكَ الدوارَ يرفقْ بسيره ... فإنّا بَلَغْنا للأذى الغايةَ القصوى

نأتْ دجلةٌ عنّي وبانت ضفافُها ... وأبعدَ ذاك الروضُ ذو المنبتِ الأحْوى

فوا الله لا أقْوى على ما تَهيجُهُ ... لقلبي من الذكرى ويا ليتني أقوى

النجف ١٩٢٥

سيصدني وأصده

شرٌّ تمـــــادى حَــــدُّهُ   سيصُـــــدُّني وأصُـــــدُّهُ
أمّـــا العـــراقُ فجُرحُـــهُ   منّـــي وعنـــدي ضَـــمْدُهُ
ســـيفٌ يُســـلُّ عـــلى بـــلا   دي ليـــت قلبـــي غِمـــدهُ
مـــاج الفـــراتُ فلـــم يُطِـــق   صـــبراً عليـــه ســـدُّهُ
مهتـــاجُ عـــزمٍ عكســـهُ   يُـــوهي الجليـــدَ وطـــردهُ
هــــذي حماســــةُ ثــــائرٍ   عَــــزْمُ الإلــــه يَمُـــدُّهُ

***

يـــا بانيـــاً مُلكـــاً تعـــالى   فـــوق مجـــدي مجـــدهُ
وطنـــي وعنـــدي شـــوكُهُ   أســـفاً وعنـــدك وردهُ
هـــذا الربيـــعُ لكـــم، ولي   حـــرُّ العـــراق وبـــردهُ
آليـــتُ أنّي حـــربُ مـــن   نـــاوى الـــبلادَ وضـــدهُ
هـــذا الـــيراع ذُبابـــه   للـــذَّب عنـــه أُعـــدهُ[1]
وخـــذوا لســـاني إن   تبـــدّل أو تحـــوّل عهـــدهُ

النجف عام ١٩٢٥

---

[1] ذباب السيف: حده، وقد استعاره للقلم (اليراعة).

سجين قبرص

(الشريف الحسين بن علي)

هــي الحيــاةُ بــإحلاءٍ وإمــراءِ تمضــي شعاعاً كزَنـد القـادحِ الـواري
سـجيّةُ الـدهرِ والبلـوى سـجيتهُ تَقَلُّـبٌ بـين إقبـالٍ وإدبـارِ
لم يـدرِ مـن أحسـنوا صُـنْعاً لغـيرهمُ بـأنَّ عقبـاهُمُ عُقبـى ((سِـنِّمارِ))
ودَّ الأُبـاهُ وقـد سِـيموا مناقصـةً في الـرّوح لـو أبـدلوهم نقـصَ أعـمارِ
مَـن ضـامِنٌ لـك والأيـامُ غـادرةٌ أن ليس ينشُب فيك السَـهمُ يـا بـاري
مـا للتمـدُّن لا ينفـكُّ ذا بِـدَعٍ في الكون يأنَفُ منها وحشـةُ الضـاري
كـم ذا يُسـمَّونَ أحـراراً وقـد شَـهِدَت فِعـالُهم أنّهـا مـن غـيرِ أحـرارِ

***

مـا للجزيـرة لم تـأنسْ مرابعُهـا بعـدَ ((الحُسـينِ)) ولم تحفِـلْ بسُـمّارِ
مُغـبرّةً خلّـفَ الليـلُ السـوادَ بهـا أو جلَّلتْهـا سـماءُ الهـمّ بالقـارِ
لِمْ لا تشَـبُّ بهـا نـارٌ أكلُّهـم ألهـاهُمُ الحـزنُ حتّـى موقـدو النـارِ
يـا مهبِطَ الـوحي للتـاريخِ معجـزةٌ سَـلي تحـدِّثكِ عنهـا فُوهـةُ الغـارِ
لله عنـدَكَ بيـتٌ سـوف يكـلأهُ مـن أن يُبـاحَ لأشرار وكُفّـارِ
تلـك السُـنونَ بآثـارٍ مضـت، وأتـت هـذي السـنونَ تُبغّـي محـوَ آثـارِ
أمّـا بنـوكَ فهـم جـيرانُ رَبّهـمُ ورَبُّهـم خـيرُ مـن يَحمي حِمـى الجـارِ
دارٌ بـديّارها مـن طـارقٍ حُفِظَـت وطالمـا حُفِظَـت دارٌ بـديّارِ

***

شـيخَ الجزيـرةِ أنـتَ اليـوم مُـرتهَنٌ بحسـنِ فِعلـك مـن صِـدقٍ وإيثـارِ
لتَحمـدَنَّ مـن الـدنيا عواقبَهـا فقـد أرَينـكَ عُقبـى هـذه الـدارِ
خُودعتَ عنها وليستْ لو علمتَ سِوى مراسـحِ همُّهـا تمثيـلُ أدوارِ

تغشى العيونَ بتدليسٍ محاسنُها وتستكنُّ المساوي خلفَ أستارِ
يا حاملين على الأمواج عزمتَه قابلتُمُ البحرَ تيّاراً بتيّارِ
هل بلَّغتْ قِبرصٌ عن ضَيف بُقعتِها بأنّه أيُّ نَفّاع وضَرّارِ
كمثل ثائرِ ذاك الموج ثورتُهُ يوم استشاطَ وهاجَتْ سَوْرةُ الثارِ
يا من يُجِلُّ شعارَ الدين مستمعاً لله آيات إجلالٍ وإكبارِ
حتّى على البحرِ للتكبير مأذنةٌ تقامُ كلَّ عَشيّاتٍ وأبكارِ
((الله أكبرُ)) ردّدها فانَّ بها خواطراً ورموزاً ذات أسرارِ
مما يُعيدُ إلى التاريخ روعَتَه تخليده ملكاً في زي أحبارِ
من سيّئات ليالٍ جلَّ ما صنَعَت سوءٌ بليةُ وفّاءٍ بغدّارِ
يا ناهضاً بأُباةِ الضيم منتفضاً عن أن يَمُدَّ يداً للذُّل والعارِ
في ذمّة الله والتاريخِ ما تَركت أيامُك الغُرُّ من محسود آثارِ
إن لم يقيموا لك الذكرى مخلَّدة فحسنُ فعلك فينا خيرُ تَذكارِ
لو تبتغي بغِنىً عن عزّةٍ بدلاً لكنتَ ذا نَشَبٍ جَمّ وإكثارِ
نهضاً بني العَرَب العَرْباء إنكمُ فرائسٌ بين أنياب وأظفار
أرقدةٌ وهواناً إنّ بعضهما مما يَفُتُّ بأصفادٍ وأحجارِ

النجف عام ١٩٢٥

تحت ظل النخيل

مَــرَّ النَّســيمُ بريّــاكم فأحيانــا ‏ فهــل كــذكراكمُ في القلــبِ ذكرانــا
مــن مُبلــغُ الجــاعلين اللهــوَ مــركبَهُمْ ‏ أنــا ركبنــا بحــارَ الهــمِّ طوفانــا
أنّــا سَرَينــا عــلى الأمــواجِ تحملنــا ‏ وباسْــمِكم بعــد اســم الله مســرانا
مــا للــدجى هادئــاً تُــزري كواكبُــه ‏ بنــا وقــد هاجَــتِ الأمــواجُ شــكوانا
لا تســألوا عــن جمــال البــدر يَبْعَثُــهُ ‏ فــذاك إلّا عــن الأحبــاب ألهانــا
هذي النجومُ وما خلقٌ سُدى خلقت ‏ أُنــسُ المحبــين نرعاهــا وترعانــا
يــا حبّــذا تحــت ظــلّ النخــل مُصْبَحُنا ‏ بدجلــةٍ وعــلى الأجــرافِ مُمْســانا
وليــتَ مــن دجلــةٍ كأســاً تُصــفّقه ‏ أمواجهــا بــالرحيق الصــفْوِ ملآنــا

***

يــا مــن ذكرنــاه والألبــابُ طائشــةٌ ‏ ظلــمٌ عــلى خضــرات الأنــس تنسانا
مــا مــسَّ إلّا عــلى طُهــر غــرامكُمُ ‏ قلبــي لأنّي أعــدُّ الحــبّ قرْآنــا
آنســت في غربتــي حبّــاً يُبــدلُني ‏ بالأهــل أهــلاً وبــالجيران جيرانــا
سِــيّانِ فــيا جنــى صحبي ودهــرُهُمُ ‏ كــلٌّ أرانــا مــن التعــذيب ألوانــا
لا تحسـبوا العــدَّ بالأرقــام يُســعِدكم ‏ تُحصــى النجــومُ ومــا تُحصــى بلايانــا
الــروحُ جــارت علينــا في محبّــتكم ‏ وطالمــا أشْــقت الأرواحُ أبــدانا
والحــبُّ أرخــصَ مــن أقــدارنا بكــم ‏ لــو لا هوانــاً بنــا مــا كــان أغلانــا

نَعِمْـــتُمُ وشَـــقِينا في الهُيـــامِ بكـــم شـــتّانَ مـــا بـــينَ عُقبـــاكُمْ وعقبانـــا

النجف عام ١٩٢٥

الساقي

لا تَعـدكم سُـننُ الهـوى وفُروضُـهُ   فـالروضُ يضـحك للغَـمام أريضـهُ
ما أبهجَ الزهـرَ المرقـرقَ في الضُّـحى   يجلـو العيـونَ شـعاعُه ووميضـهُ
والـروضُ شـعّارٌ لـه مـن وَردِه   نَفَسٌ ومـن سجعِ الطيـور قريضـهُ
والجـوُّ محتشِـدُ الغيـومِ رُواقـه   بيـد الريـاح متـى تشـأ تقويضـهُ
وكـأنّما جـاء الربيـعُ إلى الثـرى   بالحسن عـن سَـمج الشـتاء يَعيضـهُ
والكـأسُ يجلوهـا أغـنٌّ يكـادُ مـن   فـرْطِ النُّعـاس يـؤودُهُ تغميضـهُ
راضـت محاسـنُهُ النفـوسَ فأدركـت   ثـأراً فهـا هـي بـالكؤوسِ تروضـهُ
لـو كنـتَ تُبصـره رثيـتَ لـه وقـد   أعيـا عليـه مـن الخُـمار نُهوضـهُ
لا تـأس إن غفـل النديمُ فلـم يُـدِر   كأسـاً فعنـد جفونـه تَعويضـهُ

***

إيـهٍ نـديمي قـد جمعـتَ لنـاظري   أمـرين كـلٌّ لا يَبـين غُموضـهُ
أمـواجَ خـدّك والتوقـدُ ضـدُّها   ومُـذابَ خمـرِك واللهيـبُ نقيضـهُ
طولُ الجمال وعَرضـه لـك والهـوى   وقـفٌ عليـك طويلُـه وعريضـهُ
وقّـعْ كـما تهـوى عـلى وتـر الهـوى   فلأنتَ ((مَعْبدٌ)) لحنه و ((غريضهُ))
أمّـا الغـرامُ بكـم فـإنّ قصـيدَه   وقـفٌ علـيكمْ بحـرُه وعروضـهُ

النجف عام ١٩٢٥

على ذكرى الربيع

مـواطرَ الغيـثِ حَيـي جانـبَ الـوادي وهدِّيـــةَ بـــإبراقٍ وإرعـــادِ
مُـدّي بـه بُسُـطَ الأعشـابِ زاهـرةً وطرِّزيهـــا بأزهـــارٍ وأورادِ
وراوحيـــه رَذاذاً منـــكِ يبعثُـــه حَيـاً كـما تُبعَـثُ المـوتى بميعـادِ
مـالي وللهـمّ تَصـليني لوافحُـهُ ألسـتِ يـا نسـمةَ الـوادي بمرصـادِ
مُـرّي بنفحتِـكِ الرَّيـا عـلى كبـدٍ أقـلُّ مـا تشـتكيهِ غُلَّـةُ الصـادي
فـما لشـيءٍ سِـوى أن تبعثـي نَفَسـاً فـاضَ الغَمامُ وصـابَ الـرائحُ الغـادي
وليسـت الـريحُ يُهـدي الله نفحتَهـا لنـا بـل الـرُّوحُ يُوحيهـا لأجسـادِ

***

ردَّ الربيـعُ صـنوفَ الحسـن يَقسِـمُها شـطرين مـا بـين أنشـازٍ وأوهـادِ[1]
يهـدي بـه اللهُ إشـفاءً لـذي سَـقَمٍ مـن النفـوس وإشـفاقاً بمُرتـادِ
هـو الربيـعُ وأبهـى مـا يُزهّـدني عـن الحضـارة فيـه نجعـةُ البـادي
أنـا الحنيـفُ وهـذي الأرضُ مُعشِبةً سَـجّادتي ورقيـقُ الشـعر أورادي
يمضـي الزمـانُ علينـا نصـفهُ جُمَـعٌ تـترى تُقفّـى بأسـباتٍ وآحـادِ
مـا كـان لله أديـانٌ مضـاعفةٌ لـو لا تعصـبُ أحفـادٍ لأجـدادِ
أيـن الـذين أمـاتَ الحـبُّ أنفسَـهم حتـى قَضـوا فيـه عُشّـاقاً كزُهّـادِ
الضـاربينَ خيـامَ الحـبِّ طـاهرةً والـداعميها مـن التقـوى بأوتـادِ
والمُطـربين لشـكوى الحـبِّ مُعلنَـةً مُسـتبدلين بهـا عـن جـسّ أعـوادِ
مـواظبين عـلى الآداب مـا انتقـدوا لحـبّهمْ غـيرَ أكفـاءٍ وأنـدادِ
لم يُبلَ ((قيسٌ)) و ((فرهادٌ)) كما بُليتْ لـيلى بقـيسٍ وشـيرينٌ بفَرهـادِ

---

[1] الأنشاز: جمع نشز وهو المرتفع من الأرض.

جيـلٌ مـن النـاس عـدواهم لإخـوتهم مـن الخبائـث عـدوى السـمِّ في الـزادِ

يســتظهرون لســاني أن يجــازفهم ويعلــمُ الله أنّ الصــدقَ معتــادي

كلّفتمــوني مــن الأقــوال أصــعبَها نطقــاً كــما كُلّــفَ الأعجــامُ بالضــادِ

أضرَّ بي مــن ســجاياكم تــوقُّعكم أن لا تفــتَّ ســجاياكم بأعضــادي

مــا ضرَّني غَضَــبُ الــدنيا بأجمعهــا إن كان يُرضي ضميري صدقُ إنشادي

حُســنُ اختبــاري لأشــباهي ونيــتهم في الصـنع حَسَّـنَ في عينـيَّ أضـدادي

***

مــا إن تَحطُّــون شــعري قيــدَ أنْمُلــةٍ إن لم تصــوغوه أطواقــاً لأجيــادِ

هــذا الزمــانُ كفيــلٌ أن يكيــلَ لكــم صــاعاً بصــاع وأمــداداً بأمــدادِ

كــم تُعلنــون لجُهــال تمــوتُ لكــم مآتمــاً هــي رغــمَ النــاس أعيــادي

كــلٌّ ومــا ســنَّ فيــه الله مــن خُلُــقٍ هــذا أنــا يــوم تكــويني ومــيلادي

أذلَّ قــدرَ القــوافي أنهــا تُركَــت حظــاً مُشــاعاً لنُظّــام ونُشّــادِ

كــم أنْشَــدَتْكم وفي آذانكــم صَــممٌ حــوضي مُبــاحٌ وقــومي غــيرُ ذُوّادِ

النجف عام ١٩٢٥

بغداد

خذي نفسَ الصبا ((بغداد)) إنّي بعثتُ لكِ الهوى عَرْضاً وطُولا

يذكّرني أريجٌ باتَ يُهدي إليَّ لطيمَهُ الريحَ البليلا

هواءَكِ إذ نهشُّ له شَمالاً وماءَكِ اذ نصفّقه شَمولا

ودجلةَ حين تَصقُلها النُعامى كما مَسَحتْ يدٌ خدّاً صقيلا

وما أحلى الغصونَ إذا تهادت عليها نُكّسَ الأطراف ميلا

يُلاعبُها الصَّبا فتخال كفّاً هناك ترقصُ الظلَّ الظليلا

ربوعُ مسرةٍ طابت مُناخاً وراقت مربعاً وحلتْ مَقيلا

ذكرتُ نميرَها فذكرتُ شعراً ((لأحمدَ)) كاد لطفاً أن يسيلا[1]

((وردنا ماءَ دجلةَ خيرَ ماءٍ وزرنا أشرفَ الشجر النخيلا))[2]

((أبغدادُ)) اذكري كم من دموعٍ أزارتكِ الصبابةَ والغليلا

جرينَ ودجلةً لكن أُجاجاً أعدن بها الفراتَ السلسبيلا

((ولولا كثرةُ الواشينَ حولي)) أثرتُ بشعريَ الداءَ الدخيلا[3]

---

[1] أحمد هو ((أبو العلاء المعري)).

[2] البيت لأبي العلاء المعري.

[3] قالت الخنساء: ولولا كثرة الباكين حولي.. ولهذا وضع الشاعر الشطر بين قوسين.

إذن لرأيـــتِ كيــف النــار تــذكو   وكيــف السيلُ إنْ ركـب المَســيلا
وكيــف القلــبُ تملُكــه القــوافي   كــما يسـتملك الغيــثُ المُحــولا
أدجلــةُ إنَّ في العــبرات نطقــاً   يحــيّر في بلاغتـــه العقـــولا
فــإن منعــوا لســاني عــن مقــالٍ   فــما منعــوا ضــميري أن يقــولا
خــذي ســجعَ الحَــمامِ فــذاك شــعرٌ   نظمنـــاه فرتّلـــه هـــديلا

النجف عام ١٩٢٥

ليت الذي بك في وقع النوائب بي

رثى بها الشيخ ((طاهر فرج الله)) وكان من أوائل المجاهدين في الشعبية على رأس قبيلته (الحلاف)، وقد جرح فيها، وكان معروفاً بكرمه وصراحته وجرأته.. وكان ولده الشيخ ((محمد رضا)) صديقاً للشاعر، وكان معروفاً بمواقفه الوطنية.

ليـتَ الــذي بــكَ في وقــعِ النَّوائــبِ بي ولا أشــاهدُ ثُكـلَ الفَضــلِ والأدبِ

صـابتْ حشــاكَ وأخطتنــي نوافــذُها ليــتَ النوائــبَ لم تُخطــىءْ ولم تُصـبِ[1]

هــلا تعــدّى الــرَّدى منــه ببطشَــتِهِ لغــيره أو تعــدّى النبــعَ للغَــربِ

هيهــاتَ كـفُّ الــرَّدى نقّــادةٌ أبــداً للأكــرمين تفــدّي الــرَّأسَ للــذنبِ

يــا غائبــاً لم يــؤبْ بــل غــائِبَينِ معــاً إنَّ العُــلى معــه غابَــتْ ولم تــؤبِ

ليَهْنِــكَ الخُلــدُ في الأخــرى وجنّتــهُ يــا خــيرَ منقلِــبٍ في خــيرِ منقلــبِ

نعــمَ الشَّــفيعان مــا قــدَّمتَ مــن عمــلٍ لله سرّاً ومــا فرَّجــتَ عــن كَــربِ

ومــا رأيــتُ كمعــروفٍ يُجــادُ بــه بــين الرِّجــالِ وبــينَ الله مــن سـببِ

قــدَّمتَ لله أعــالاً تَخِــذتَ لهــا مــن التُقــى مســرحاً في مرتــعٍ خصِـبِ

قــالوا: الزيــارةُ فاتتــه، فقلــتُ لهــم: مــا فاتــه أن يــزورَ الله في رجــبِ

كــأنَّ نعشَــكَ والأجــواءُ غائمــةٌ تُقِلــه النــاسُ للسُّــقيا مــن السـحبِ

لــو كــانَ في جنــدِ ((طــالوتَ)) لمــا طلبــوا ((سـكينةً وسْـطَ تـابوتٍ)) مـن الخشـبِ[2]

***

كــم ذا يصــعّرُ أقــوامٌ خــدودَهمُ كفــاهم عِــبرةٌ في خــدّكَ الــتَّربِ

كــم يَعْجَــبُ المــرءُ مــن أمــرٍ يفاجئــه ومــا درى أنَّ فيــه أعجــبَ العجَــبِ

بيْنــا يُــرى وهــو بــينَ النــاسِ محتشِــمٌ إذا بــه وهــو منبــوذٌ عــلى الــتُّربِ

لا يُعجِــبَنَّ ملــوكَ الأرض هِمَّــتُهم فــإنَّ أعظــمَ منهــا هِمــةُ النــوب

لا شــملَ يبقــى عــلى الأيّــام مجتمعــاً يبــدّدُ المــوتُ حتّــى دارةَ الشُــهُبِ

---

[1] في اللغة صاب كأصاب.

[2] من بيت في بائية للشيخ ((صالح الكواز)).

أودى الــذي كــان تيــهُ المكرمــاتِ بــه   عــلى ســواهنّ تيــهَ الخُــرَّدِ العُــرُبِ
فقُــمْ وعــزِّ عُيــونَ المجــدِ في حَــوَرٍ   فَقَدنَــهُ وثغــورَ الفضــلِ في شَــنَبِ[1]
صــبراً محبيــهِ إنَّ المــوتَ راحــةُ مَــن   قــد كــانَ في هــذه الإيّــامِ في تَعَــبِ
تسليمةُ المــرءِ في مــا خُــطّ مــن قَــدَرٍ   أجــدى لــه مــن دعــاءِ الويــلِ والحَــرَبِ
والمــوتُ إن لم يــذدهُ حــزنُ مكتئــبٍ   بــه فأحســنُ منــه صــبرُ محتســبِ
وغضــبةُ المــرءِ في حيــثُ الرّضــا حَسَــنٌ   قبيحــةٌ كالرضــا في موقــعِ الغَضَــبِ

***

ذابــت عليــكَ قلــوبُ الشــاعرينَ أســىً   فــما اعتــذارةُ شــعرٍ فيــكَ لم يــذُبِ
شــيئان، يُرفَــعُ قــدرُ المــرءِ مــا ارتفعــا،   نظــمٌ لــدى الشّــعرِ أو مــأثورةُ الخُطَــبِ
مــاذا يقــولُ لســانُ الشّــعرِ في رجــلٍ   خــيرُ البنــينَ بنــوه وهــو خــيرُ أبِ
إن غــاب عنَّــا ففــي أولاده عَقِــبُ   يحييــكَ ذكــراً وذكــرُ المــرء في العقــبِ
أودى بحسّــاده غيظــاً كــأنَّ بــه   ((محمــداً)) وبشــانيهِ ((أبــا لهــبِ))
لا عيــبَ فيــه ســوى إسرافِــهِ كرمــاً   يــومَ النَّــوالِ ولــولا ذاكَ لم يُعَــبِ
وفي الرِّضــا مســرحٌ للقــولِ منفســحٌ   كــلُ القصــائد فيــه دَرَّةُ السُّــحُبِ
أنــسُ الجلــيسِ وإن نابتــهُ نائبــةٌ   كأنّــهُ- وهــو دامــي القلــبِ- في طَــربِ
أخــو النــدى وأبــو العليــا إذا انتســبا   ((كنايــة بهــما عــن أشرفِ النَّسَــبِ))[2]
كــلُّ الخِصــال التــي جمَّعتهــا حسُــنَت   وقعــاً وأحســنُ منهــا طبعُــكَ العــربي
لا تحْسَــبَنَّ تمــادي العمــرِ أدّبــه   كــذاك كــانَ عــلى العــلّاتِ وهــو صــبي

***

---

[1] الشنَب محركة: ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان.

[2] تضمين من المتنبي في قصيدته التي رثى بها أخت سيف الدولة إذ بلغه خبر وفاتها وهو في الكوفة.

إن لم يــؤدّ بيــاني حَقَّكــم فلقــد   سـعيتُ جَهــدي ولكــنْ خــانني أدبي

تلجْلَجَــتْ بــدخيلِ القــولِ ((ألســنةٌ))   للعُــرْبِ كانــت قــديماً زينــةَ الكتــبِ

إن أنكرتنـــي أنـــاسٌ ضـــاع بيــنهم   قدري فمن عَـرَّفَ ((الحجّـار)) بالـذَّهبِ[1]

كـم حاسـدٍ لم يجـرّب مِقــوَلي سَـفَهاً   حتّـى دَسَسْـتُ إليـه السُّـمَّ في الرُّطـبِ

طعنتُــــهُ بـــالقوافي فـــانثنى فَرَقـــاً   يشــكو إلى الله وقــعَ المِقْــوَلِ الــذَّرِبِ

فــإن جَهِلْــتَ فتــى قــد بــذَّ مشــيخةً   في الشَّعرِ فاستقصِ عنه ((حلْبةَ الأدبِ))[2]

النجف عام ١٩٢٥

---

[1] تعريض بالشاعر ((الشيخ مهدي الحجار)).. والأبيات تعريض بشعر جيل الشيخ.

[2] ((حلبة الأدب)) الكتاب الذي ألفه الجواهري يعارض به الشعراء الكبار وهو هنا يعرف بنفسه لأن القصائد كانت تلقى غفلاً من أسماء أصحابها.

شوقي وحافظ

يــا لَلرفــاق ومثــلُ مــا كابدتُــه ... ممـــا أُلاقـــي كابَدَتْـــهُ رفـــاقي

وطنــي نقــيضُ شُــكولهِ فرجالُــهُ ... شــابوا ومــا شبُّوا عــن الأطــواقِ

عِتْــقُ النِجــار يَبِــين بــين خُيولــه ... أمّــا الرجــالُ بــه فغــيرُ عِتــاقِ[1]

ضربَ الأسى سُوراً عليه وأحـدقت ... ســودُ الحــوادث أيّــما إحــداقِ

إيــهِ خلــيليَ لا تَــرُزْني طامِعــاً ... في منطقــي فيرَيبَــكَ اســتنطاقي

فلقــد أكــون ومــا غُلقــن مقــاولي ... واليــومَ وهـــي كثــيرةُ الإغــلاقِ

إن أطــوِ يلتهــبِ الضــميرُ وإن أَبُــحْ ... يومــاً ففــوق يــدي يــدُ الإرهــاقِ

مــمَّ التعجُّـــبُ صــاحِبيَّ وإنّـــما ... قَسَــمَ الحظــوظَ مقسِّــم الأرزاقِ

والحِذق في سبك القريض وصوغه ... متفـــاوتٌ كتفـــاوت الحُـــذّاقِ

وأجــلُّ مــا تــرك الفتــى مــن بعــده ... أثــرٌ عــلى مــرِّ الليــالي بــاقِ

لا يفخـــرنْ أحـــدٌ عـــليَّ بشـــعره ... الفخـــرُ مـــدَّخرٌ ليـــوم ســـباقِ

((شوقي وحافظ)) لا يَجُسُّ سواكما ... نَـبْضَ القــريض ومــا لــه مــن واقِ

لكــما الخيــارُ إذا الرجــال تنافســوا ... أو حــرّروا دعــوى بــلا مِصــداقِ

أن تَقْـــتُلا أو تُحرِقـــا متشـــاعراً ... أو تقطعـــا يـــدَ شـــاعر سرّاقِ

هــل تحكــمانِ اليــومَ حكــماً عــادلاً ... خِلــواً مــن الإرهــابِ والإشــفاقِ

في شــاعر لــزِم البُيــوتَ وأخفقــتْ ... منــه المــآربُ أيّـــما إخفـــاقِ

لكــما شــكا ظلــمَ العــراقِ وذِلــةٌ ... أن يشــتكي ظلــمَ العــراقِ عراقــي

أهــدى ســوايَ نفيسَــه وأنــا الــذي ... أُهــدي إليـــه نفــائسَ الأعــلاقِ

***

((شوقي وحافظ)) أوضِحا في أيّنا ... لُطْـفُ الخيــالِ أو الشــعورُ الراقــي

---

[1] عتق النجار: كرم الأصل.

أأنا الـذي اتخـذَ الـبلادَ شـعارَه   أم هُـمْ وقـد لبِسـوا ثيـابَ نفـاقِ
في كـلِّ يـومٍ في رداءٍ وَفْـقَ مـا   تقضـي بـذلك عملـةُ ((الأوراقِ))
وأنـا وأخلاقـي كـما عَلِـمَ الـورى   أم هُـمْ وفـيهم سَـوْءةُ الأخـلاقِ
وأنـا الـذي أعطـى القـوافيَ حقَّهـا   مـن ناصـعاتٍ في البيـان رِقـاقِ
ومهـذباتٍ جمَّـةٍ عشـاقُها   ((إنّ المليحـة جمّـةُ العُشّـاقِ))
تُجـلى عـلى قُرّائهـا فتمـيلهمْ   سكراً كـما يَجلـو السُّـلاف الساقي
أم هـم وكـم بيـتٍ لهـم مستهجنٍ   نـابٍ عـن الأسـماع والأذواقِ
وأنا الذي صان القريضَ عن الـذي   يُـزري بـه مـن فُرقـةٍ وشِـقاق
ومـدائح كـادت لفـرطِ غُلُوّهـا   تشـكو مـن المخلـوقِ للخـلاقِ
أم هم وقد باعوا الضمائرَ واشتروا   عـيشَ الـذليلِ وبُلغـةَ الأرمـاقِ
غنَّـوا سـواهم يطلبـون عَتـاده   فكـأنهمْ ((جَـوقٌ)) مـن الأجـواقِ
أبيـاتُكمْ تبقـى لهـم وهبـاتُهُمْ   ليسـتْ بباقيـةٍ عـلى الإنفـاقِ
وأجـلُّ مـن هبـةٍ يُـذلُّ بهـا الفتـى   أشـعارهُ صـبرٌ عـلى الإمـلاقِ
عاراً أرى وأنا ((الأديبُ)) بضاعتي   معروضـةً كبضـائعِ الأسـواق
كيـف التجـدّدُ في القـريضِ وأهلـهُ   شـدّتهُمُ أطماعهـمْ بوثـاقِ
أخـذوا عـلى الآدابِ مـن عـاداتهم   وجمـودهم فيهـا بكـلّ خنـاقِ
إنّي لأصـبو للقـريضِ تهـذّبتْ   منـه الحـواشي صـبوةَ المشـتاقِ
وأُريـدُ شـعراً لـيس في أبياتـه   غـيرُ القلـوب تَبـين للأحـداقِ
وأجـلُّ مـا خلـقَ الإلـهُ لخلقـه   وحسـابُ فضـلِ الله غـيرُ مطـاقِ
الشـعرُ في تـأثيره والغيـثُ في   آثـاره والشـمسُ في الإشراقِ

النجف عام ١٩٢٥

بعد المطر

عاطى نباتَ الأرض ماءُ السما ... ما لا تُعاطيه كؤوسُ الرحيقْ
وبات إذ حطَّ بها ثِقْلَه ... يكلّف الأرضَ بما لا تُطيقْ
أوشكتِ القيعانُ إذ فُتّحتْ ... لها السماءُ مما عراها تَضيقْ
واهتدت الشمسُ لتجفيفها ... فابتعثتْ شكرَ النباتِ الغريقْ
الجوُّ زاهٍ والثرى فائحٌ ... ومنظرُ الأرضِ لطيفٌ أنيقْ
والعُود يهتزّ لمرِّ الصّبا ... والروضُ من سَكرته لا يُفيقْ
والغيثُ يَهمي أين من صَفوِه ... وهو جديدٌ خمرُ دنٍّ عتيقْ
تفتَّحي خُضْرَ الرُبى للنَّدى ... في مَبسمِ الفجر- متى شئتِ- ريقْ
وعطّري ريحَ الصَّبا بالشَّذا ... وانفتقي عن فار مسكٍ فتيقْ
كلُّ فصولِ الدهر لا تُشترى ... بالنزْرِ من نَشْرِ شذاكِ العبيقْ
جاء الربيعُ الطلقُ فاستبشري ... غريُمكِ البردُ طريدٌ طليقْ
مثلَ الذي لاقيتِ مِنْ ذا وذا ... يَصدفُ في الدهر انفراجٌ وضيقْ
صوبَ الحيا رفقاً فكم لطمةٍ ... أنزلتها قسراً بخدِّ الشقيقْ
كأنّ نَضْحَ القَطْرِ من فوقه ... ذائبُ دُرٍّ في أواني عقيقْ
إنّي تخالفتُ وزهرَ الرُّبى ... والكلُّ منا ذو مزاج رقيقْ
أنفاسها نشرُ شذىً نافحٍ ... وحرّ أنفاسي شواظُ الحريقْ
كلُّ وجوه الأرض مكسوَّةٌ ... لفائفَ الأزهارِ حتّى الطريقْ

النجف عام ١٩٢٥

درس الشباب أو بلدتي والانقلاب

إنزعـي يـا بلـدتي مـا رثَّ مـن هـذي الثيـابِ
وإذا خِفـتِ عَـراءً فسيكسـوكِ صحـابي
أمَـلٌ لي فيـكِ بعـد اللّـ ـهِ ينمـو في الشـبابِ
يـا بنـي العشـرينَ في أعمالكم فصلُ الخِطابِ
رَهـنُ مـا عنـدكمُ مـن همّـةٍ عُقبـى المـآبِ

***

يـا شـباباً نَهضـوا والناسُ من هـاوٍ وكـابي[1]
أيُّ بـابٍ وَلجوهـا وولجـتم أيَّ بـابِ
كتـب اللهُ لـكِ النُّصـرةَ في هـذا الغِـلابِ
إنّ في أعيـنكم رمـزاً لأسرارٍ عُجـابِ
إلزمـوا خـيرَ صِحابٍ لا تُبقّـي مـن ضبابِ
اترُكـوا كـلَّ قـديمٍ منـه يسـعى في تَبـابِ
شـمِّروا واعتصـبوا نُجحُكُـمْ في الاعتصـابِ
أُنبُـذوا منـه قُشـوراً وتَغَـذّوا باللُّبـابِ
هُـزِلَ الشـعرُ وأنـتمْ مـن مراعيـه الخِصـابِ
لا تقولـوا حسـبُنا منـه وزِيـدوا في الطِّـلابِ
قـد رأيـتم مـا تجشَّمْنا عليـه مـن صِعـابِ
لـيس بـالهيِّنِ أن نـأتي بأبيـاتٍ عِـذابِ

---

[1] الكابي: العاثر.

خاليـــاتٍ مـــن نفـــورٍ وغلـــوٍّ واضـــطرابِ
إنّهـــا ذوبُ قلـــوبٍ صِـــيغَ في لفـــظٍ مُـــذابِ

***

لو سُئلنا كيف نظمُ الشعــ ـــرِ جِرنـــا في الجـــوابِ
لســـتُ أدري غـــيرَ أنّي كـــان حـــبُّ الشـــعرِ دابي
كـــاد يُلهينـــيَ حتّـــى عـــن طعـــامي وشرابي
قد قرأتُ الشـعرَ في القـر آنِ مـــن عهـــد التصـــابي:
((بقـــدورٍ راســـياتٍ وجِفـــانٍ كـــالجوابي))
ولكَـــمْ هـــيَّجَ طَبعـــي نَغْـــمُ عـــودٍ أو رَبـــابِ
كـــانَ لحـــنُ الشـــعرِ فيـــه بارتفـــاع وانصـــبابِ
وإذا مـــا عـــدَّدوا أهـــلَ نُبـــوغٍ واكتســـابِ
لم يكـــنْ عنـــدي ســـوى الشـــاعرِ مـــن خَلـــقٍ عُجـــابِ

***

هكـــذا كنـــتُ ومـــا زادَ عـــلى العشـــر نِصـــابي
حبـــذا الشـــعرُ ربيعيّـــاً طبيعـــيَّ الإهـــابِ
مُظهـــراً قـــدرةَ ربيّ في وِهـــادٍ أو رَوابي
وصـــفَ نهـــرٍ في الثـــرى أو وردةٍ بـــين الشـــعابِ
يـــوم تُضـــحي الدّمنـــةُ الغبراءُ خضـــراءَ الجَنـــابِ
أو حماســـيّاً يُثـــير الـــنفسَ عـــن عـــارٍ وعـــابِ
كاشـــفاً عـــن عينهـــا كـــلَّ غطـــاءٍ وحِجـــابِ
فـــإذا كـــان مـــديحاً فليقـــرَّب للصـــوابِ

أوَلا يــــأنفُ حُـــرٌّ أن يُحـــابَى أو يُحــــابي

وإذا كـــــان رِثــــاءً فلـيكن رجـعَ المصــابِ

وإذا كـــــان هجـــاءً فلـيُنَــزَّهْ عــن سِــبابِ

ليس شأنُ المرءِ نَهشَ المر ءِ بــل شــأنُ الكــلابِ

إمزِجُــوا الطعــنَ بــه مــزجَكُمْ شُــهداً بصــابِ

لـــــيّنَ اللفـــــظ وفي طيّاتــه وخــزُ الحــرابِ

***

قــد سئِمتُ الشـعرَ مـا فيه سِـوى معنىً كِـذابِ

كـــلَّ يـــوم شـــاعرٌ كـالبُوم ينعـى في خـرابِ

وقـــوافٍ لا يلِجــــنَ السـمعَ إلّا باغتصــابِ

لهجــةُ الصــدقِ بهــا مثــلُ بيـاضٍ في غُـرابِ

أنــا يــا شــعرُ وإيّــاكَ ســـواءٌ في العــذابِ

أنــا ممّــا بــكَ أبكيــكَ وتبكينـــــي لِمــــا بي

شكَتِ القـومُ حُضـوري وسيشـــكونَ غِيـــابي

بِـزَّةُ الشـاعرِ قـد تُعـرَف مـــن بعــدِ اســتلابِ

إن يكــن للمــرءِ أجــرٌ فهــو لي يــومَ الحســابِ

إنّ في إيقـــاظِ قـــومٍ رَقَــدوا خــيرَ الثــوابِ

وبعتـــقِ النــاسِ مــن أوهـامِهِمْ عِتْـقُ الرقـابِ

النجف عام ١٩٢٦

في الثورة السورية

في ثورة الدروز على الاستعمار الفرنسي

مِثلُ الذي بكِ يا ((دمشـ ـقُ)) من الأسى والحُزنِ ما بي

دمعي يَبينُ لكِ الجوى والدمعُ عنوانُ الكتابِ

زاهي الحمى نهبُ الخطوبِ ومهجتي نهبُ المصابِ

أرأيتَ مرتبعَ الشَّعاب بها ومُصطافَ الهضابِ

والنبتَ مُخضلَّ الثَّرى والرَّوضَ مخضرَّ الجنَابِ

والحسنَ تبسطُه الطبيعةُ في السهولِ وفي الروابي

والشمسَ تبدو من خلال الغيم خَوْداً في نقابِ

فإذا انجلى هزَّتْكَ روعـ ـةُ نورها فوق القِبابِ

والروضُ نشواناً سقاه الماءُ كأساً من شرابِ

((بَرَدى)) كأنَّ بَرودَه رشفاتُ معسولِ الرُّضابِ

تلك النَّضارةُ كُلُّها كُسِيَتْ جلابيبَ الخرابِ

***

ثُوري ((دمشقُ)) فإنَّما نيلُ الأماني في الطِّلابِ

وخذي الوِفاق فإنَّما عُقبى الخِلافِ إلى تَبابِ

إنْ تغضَبي لتليدِ مجـ ـدٍ آذنوه باستلابِ

ومنيع غابٍ طوّقو هُ بالبنادق والحِرابِ

ومعاطسٍ شُمٍّ أرا دوا عَرْكها بالاغتصابِ

فلأنتِ رغمَ خلوِّ كفّـ ـك من مُعَدّات الضرابِ

بالعاطفاتِ الحانياتِ علـ ـيكِ وافرةُ النصابِ

ولأنتِ أمنعُ بالنُّفوس المسـ ـتميتةِ من عُقابِ

فتماسكي أو تُكرَهي بالرغمِ منكِ على انسحابِ

فلَشــرٌّ مــا عمِــلَ امــرؤ   عمـــلٌ يُهَـــدَّدُ باقتضـــابِ
سُـــدّي علـــيهم ألـــفَ بـــا   بِ إنْ أطـــاقوا فـــتحَ بـــابِ
إنْ لم يكـــن حجـــرٌ يضـــرّ   بهـــم فكُـــومٌ مـــن تُـــرابِ
لا نُكـــرَ في الـــدنيا ولا   معـــروفَ إلّا في الغـــلابِ
شُـــبّانَ ســـوريّا الـــذين   تناوشـــوا قِمَـــمَ السَّـحابِ
والمُبـــدَلين بـــرأيهم   في الليـــل عـــن قَـــبَسِ الشـــهابِ
المـــالكي الأدبَ الصـــميمَ   ووارثـــي الشـــرفِ اللُّبـــابِ
لكُـــم العتـــابُ وإنَّـــما   عَتْـــبُ الشـــبابِ عـــلى الشَّـــبابِ
ســـوريّةٌ أمُّ الضـــراغمِ   أصـــبحت مرعـــى الـــذّئابِ
مثـــلَ الوديـــعِ مـــن الطيـــور   تعاورتـــهُ يـــدُ الكـــلابِ
باتـــت بليلـــةِ ذي جـــرو   حٍ مستفيضـــاتٍ رغـــابِ
وســـهِرتُمُ متضـــاربي النـــز   عـــاتِ مختلفـــي الثيـــابِ

***

مَـــن كـــانَ حـــابى أن يقـــولَ الحـــقَّ إنّي لا أُحـــابي
لابُـــدَّ أن يـــأتي الزمـــا   نُ عـــلى بـــلادي بـــانقلابِ
ويـــرى الـــذين توطّنـــوا   أنَّ الغنيمـــةَ في الإيـــابِ
مـــاذا يقـــول المـــالئو الأكـــراش مـــن هـــذي النَهـــابِ
إنْ دال تصـــريفُ الزمـــا   نِ وآنَ تصـــفيةُ الحســـابِ
جـــاؤوا لنـــا صُـــفرَ العِيـــا   ب وقـــد مضَـــوا بُجْـــرَ العيـــابِ

النجف عام ١٩٢٦

عند الوداع

الله يصحبُ بالسلامِ مودِّعي عجِلاً وإن أخنى عليَّ بِعادهُ
شُدَّتْ على شَعْبِ القلوبِ رحالُهُ وَجْداً وفاضتْ بالدُّموع مَزادهُ
وميمّمٍ ((بغدادَ)) كادت حسرةٌ منها عليه تؤمُّه بغدادهُ
حسبُ ((الفراتِ)) شجىً فراقكُمُ له وكفى بدجلةَ أنكم وُرّادهُ

***

قولوا لِمَنْ هذا القريض؟ يسرّني ما قلتمُ إنْ راقكم إنشادهُ
وإذا قست تلك القلوبُ فردّدوا أبياتَه ليُلينَها تَردادهُ
وإذا جرى ذكري فقولوا شاعرٌ يجري على طرفِ اللسانِ فؤادهُ
ماذا عليكم أن يُسَيَّرَ باسمكم شعري وتهفو نحوكم نُشّادهُ
شعرٌ يَجيءُ به الجمالُ مكرّراً منه الجميلَ متى يكون نَفادهُ؟
لا أشتهي هزجَ المغنّي في الهوى ما لم تُجَسَّ بذكركم أعوادهُ

النجف عام ١٩٢٦

ويلي لأمة يعرب

جِـــدُّوا فـــإنَّ الـــدهرَ جَـــدّا وتراكضُـــوا شِـــيباً ومُـــرْدا

وتحاشَـــدوا خَـــيرُ التســـابق للعـــلى مـــا كـــانَ حَشْـــدا

صـــولوا بعـــزمٍ لـــيس يصـــدأُ حـــدُّه والســـيفُ يصـــدَا

لا تَقعُـــدوا عـــن شـــحنِها هِمَـــماً تَئِـــدُّ الـــدهرَ أدّا[1]

أوَ لســـتُمُ خـــيرَ المـــواطنِ موطنـــاً وأعـــزَّ جُنـــدا

***

فـــاز امـــرؤٌ عـــرَفَ التقلّـــبَ في الليـــالي فاســـتَعَدَّا

في لَـــوح ربّـــك ((آيـــةٌ)) خُطَّـــت عـــلى مـــن كـــان جَلْـــدا

لا ييأسَـــنْ مـــن خـــابَ ممســـىً أن ينـــالَ الأمـــرَ مَغـــدَى

ذَلَّ امـــرؤٌ قعـــدت بـــه آمالُـــه قَيْـــداً وشَـــدّا

***

أيـــنَ الـــذين إذا انتحـــتْهم شِـــدَّةٌ كـــانوا الأشَـــدّا

وإذا الخطـــوبُ عَـــرَتْهُمُ لم يضـــرْعوا للخطـــبِ خـــدّا

تخِـــذوا الثبـــاتَ ســـلاحَهُمْ وتـــدرَّعوا حَزْمـــاً وجِـــدّا

***

أبنـــي ((مَعـــدٍّ)) بلادُكـــم لا تُغضِـــبوا فيهـــا مَعَـــدّا

وطـــنٌ مُفَـــدّىً خـــيرُ مـــا حَضَـــنَ الفَتـــى وطـــنٌ مُفـــدّى

((الرافـــدانِ)) بجانبيـــه تجاريـــا خمـــراً وشُـــهدا

---

[1] أد: أثقل وأتعب.

والزاهــراتُ مـن الريـا ضِ تضـوَّعت أرَجـاً ونـدّا
وكَسـتْ رُبـاهُ يـدُ الطبيعـةِ مـن بـديع الحُسْـنِ بُـردا
فَـرْدُ الجـمال وفي الغُلُـو بحبِّـه أصـبحتُ فَـرْدا
صـباً نشـأتُ وكلَّـما زادتْ سـنيني زدتُ وَجْـدا
وَطـنٌ إذا ذكـروه لي وبيَ الغَليـلُ وَجَـدتُ بَـرْدا
ولـو اسـتَفَفْتُ ترابَـه لوجـدْتُ عيشـي فيـه رَغْـدا
أعـزِزْ بـأنّي لا أُطيـقُ لمـا دَهَـى وطنـي مَـرَدّا
((الله)) يشـهَدُ أنّنـي لم آلُـهُ في النُصـح جُهـدا
لا تأسـفَنْ وطنـي وكُـنْ ثَبتـاً عـلى الأيـامِ صَـلْدا
ظُلـمٌ تَعَـدّى حـدَّه والظلـم يُـردي إن تعـدّى
((الله)) يجـزي خـيرَ مـا جـازى بـه مـولىً وعبْـدا
صِـيداً ((ليعـربَ)) شَـيدوا عـزّاً وللأوطـان مجـدا
في ذمّـةِ الـوطن الـذي بَـذلوا لـه نفسـاً وَوُلْـدا
روحٌ بظُلـمٍ أُزهقـت ودمٌ جَـرَى ظُلـماً وعَمْـدا
أفكـان عُقبـى مـا لَقُـوا أن زادت النفقـاتُ عـدّا

***

ويـلي لغِلمـةِ ((يَعـربٍ)) هـدَّتْهُمُ الأيّـامُ هـدّا
الجـورُ ألحـمَ بُـردَةَ البَلْـوى لهـم والضَـيم سَـدّى
ويـلي لكـفّ لم تجِـدْ عَضُـداً تصـولُ بـه وَزنـدّا
ويـلي لمـن كانـتْ لهـم أيّـامُهم خَصـماً ألـدّا

مـــن أيـــن دارُوا واجهـــوا نكباتِهـــا سُـــودا وزُبْـــدا

هَـــوَتِ العـــروشُ كـــأنّما بعـــضٌ بشَـــرِّ الـــبعضِ يُعـــدى

فَقَـــدتْ ((دمشـــقٌ)) زَهْوَهـــا وجمـــالُ ((بغـــدادٍ)) تَـــردّى

وجزيـــرةُ ((العُـــرب)) ازدرَتْ نُـــورَ ((النبـــوّة)) فاســـتُرِدّا

باتـــت بهـــا أحقادُهـــا يوسِـــعْنَ خَرقـــاً لـــن يُســـدّا

النجف عام ١٩٢٦

من النجف إلى العمارة

أنـا مـذْ همـتُ فـيكمُ كـانَ دأبي   أن أُربّي عـلى الصـبابة قلبـي[1]
إن تزيـدوا الجـوى فـأهلاً وإلّا   حسبُكُم ما لقيتُ منكم وحسبي
وبحسـبي مـن الأحبـةِ ظُلـماً   أن يُعَـدَّ الغُلُـوُّ في الحـبِّ ذنبـي
يعلـمُ النـاسُ مـا أكابـدُ مـنكمْ   في سـبيل الهـوى ويعلـمُ ربّي

***

يـا أبـا صـادقٍ أُحبُّـك حُبّـاً   لا يُبَقّـي عـلى اصـطبار المُحـبِّ
إن عتبْنـا فلـم يكـن عـن مَـلال   أحسَـنُ الـوُدّ مـا يُشـاب بعَتْـبِ
لستُ أدري عَقَقْتُ صَحبيَ لمّا   هِمتُ أم عَقَّني لأجلـكَ صَحْبي
غـير أنّي أراكَ وافقـتَ طَبْعـي   دونَ هذا الوَرى وجانَسْـتَ لُبّـي
وأراني صَـبّاً بأخلاقـكِ الغُـرِّ ومـا كنـتُ قبـل ذاك بصَـبِّ
ولعَمـري لقـد تربَّيـتَ حتّـى   عَرَفَ الناسُ فيـكَ فضـلَ المُربّي
أيُّ عـيشٍ لي في العـمارة رَغْـدٍ   وزَمـانٍ مَضـى هنالِـكَ عَـذْبِ

---

[1] ورد البيت في طبعتي دار العودة ببيروت ووزارة الثقافة والإعلام العراقية بالشكل الآتي:

أنـا مـذ همـتُ فـيكمُ كـانَ دأبي   أن مـا ترتضـون يحملـه قلبـي

وأحاديـثَ لا تُمَـل مـن الوجـدِ بلفـظٍ كـاللؤلؤ الرَّطـبِ رَطْـبِ

***

حبــذا دجلــةٌ وعــن جانبيهــا تَتَمشّــى الظِـلالُ جَنبـاً لجنــبِ
إن تَسَـلْني عـن الزَّمـان وأهليــ ــهِ فـإنّي طَـبٌّ بهـم أيَّ طَـبِّ
عِشْ كـما تشـتهي إذا كنـتَ خِبّـاً والزمِ البيتَ إنْ تكنْ غـيرَ خِـبِّ
ليتَ مولى ((حَمدان)) يُنشَـرُ حيّـاً لـيرى كيـفَ حالـةُ ((المتنبـي))

النجف عام ١٩٢٦

في ذكرى الخالصي

سَلْمُ الزمانِ، وإن حرصتَ قليلُ لابدَّ أنْ سيغولُ شملَك غولُ
بالرغم مّما رجّفتْ أوهامُنا يأتي المَخوفُ ويُمنع المأمولُ
كم ذا يسرُّك أنْ تفوتَك ساعةٌ طالت، أأنت إلى المماتِ عَجولُ؟
حقّاً أقولُ وما الحِمامُ بتاركي، إنّي على كُرْه الرَّدى مجبولُ
يكفي العقولَ جَهالةً تعريفُها للموتِ أنَّ سبيلَه مجهولُ

***

الليلُ مُغبرُّ النجومِ حزينُها والصبحُ في حبلِ الدُّجى موصولُ
والشمسُ كاسفةُ الجبين مُشيحةٌ والبدرُ حيرانُ السُّرى مذهولُ
حزناً ليومِ أبي محمدٍ إنّهُ يومٌ على يومِ الحِسابِ يطولُ

***

الله يَجْزيكَ الجميلَ فكلُّ ما خلَّفتَه في المسلمينَ جميلُ
المُعْوِلاتُ عليك غُرُّ مكارمٍ قامت عليها رنَّةٌ وعويلُ
وطّنْتَ نفسَك للصِعاب فذُلّلتْ إنَّ الصعابَ يروضُها التذليلُ
وبذرتَ للأوطانِ أشرفَ بذرةٍ ستطولُ أفراعٌ لها وأصولُ
أعمالُكَ الغُرُّ الحسانُ خوالدٌ والمرءُ عن أعمالِه مسؤولُ
كن آمناً أنْ لا تضيع مَتاعِبٌ سيُقيمُها التِمثالُ والتَّمثيلُ
مهّدْتَ للنَشءِ الجديدِ سبيلَه فليشكرنَّك بعد جيلِكَ جيلُ
وملكتَ لم تَقُدِ الرعيلَ وإنّما يُغنيك رأيُك أنْ يُقادَ رعيلُ
حَمَلَتْ لنا الأسلاكُ نعيَك موجزاً حتّى كأنْ لم يوحَشِ التنزيلُ
أو أنَّ دينَ محمدٍ لم ينصدعْ حتّى بكى قرآنَه الإنجيلُ

أعيتْ بما حملتْ فجاءت عَيَّةً لا تستبينُ النطقَ حين تقولُ

منهوكةً لم يُبقِ فيها من ذَماً نبأٌ على سَمْعِ الزمانِ ثقيلُ[1]

***

اللهَ ما هذا الجلال، حياتُهُ ترنيمةٌ ومماتُهُ تبجيلُ

هل مدّ روحُ اللهِ عيسى روحَه أم كان يَنْفُثُها به جبريلُ

قمْ وانعَ للبيتِ الحرامِ شِعارَهُ وقلِ انطوى التكبيرُ والتهليلُ

وتعطلتْ سُبُلُ المحامدِ والتُقى والمكرماتِ فما هناك سبيلُ

***

قد قلتُ فيك وقلتُ ثانيَ مَرَّةٍ ولسوف أرجعُ كَرّتي فأقولُ

أمّا العراقُ وقد قضيتَ فكفُّهُ مشلولةٌ وحسامهُ مفلولُ

إنْ ينتفضْ فبقوةٍ مستغلبٌ أو ينتهضْ فَبِذِلَّةٍ مغلولُ

اللهُ والأوطانُ تعرِفُ نيّتي فأنا الذي ببلاده مشغولُ

وطنٌ جميلٌ، وجههُ بغدادُهُ ورُضابهُ من دِجلةٍ معسولُ

كيف السُّلُوُّ وليس تبرحُ بُكْرةٌ فيه تهيجُ صبابتي وأصيلُ

إنّي لأشتاقُ الفراتَ وأهلَهُ ويَروقُني ظِلٌّ عليه ظليلُ

وأحبُّ شاطئَهُ وروعَةَ سَفْحِهِ تحنو على الأمواجِ فيه نخيلُ

أشفى على جُرفِ المهالكِ موطنٌ بيديهِ لا بيدِ غيره مقتولُ

آلامُه صدعُ الشِّقاق بأهلِه وبلاؤهُ الأوهامُ والتضليلُ

---

[1] الذماء: بقية الروح في الجسد.

في كـــلِّ يـــومٍ ضـــجةٌ ملعونـــةٌ أنْ يحـــدثَ التغيـــيرُ والتبـــديلُ

***

يـــا شرقُ يـــا مهـــدَ السَّـــلامِ ألمْ يـــئِنْ أنْ يســـتطيرَ إلى الســـلام رســـولُ

إن يُســـرِجِ المســـتعمرون خيـــولَهم فلهـــم تِـــراتٌ جَمَّـــةٌ وذُحـــولُ

أو تُنسَ ((عَمّـورٌ)) ومـا دفعـوا بهـا لم تُنس ((قرطبـةٌ)) ولا ((إشـبيلُ))

مَخَـرَتْ بأشـباهِ البُحـور سـفائنٌ وعَـدَتْ بأمثـالِ الصُّـقورِ خُيـولُ

النجف عام ١٩٢٦

ذكرى دمشق الجميلة

(في الثورة السورية ضد الاستعمار)

كـؤوسُ الـدّمعِ مُترَعـةٌ دِهـاقُ ... وللحـزنِ اصـطباحٌ واغتبـاقُ
مضـى ((فرعونُ)) لم تَفقِدهُ مصـرٌ ... ولا ((هـارونُ)) حـنَّ لـه العـراقُ
أُديـفَ ((الرافـدان)) فلـن يُـرادا ... ولا ((بـردى)) مـن البلـوى يُـذاقُ
وكيـف يَلَـذُّ للـوُرّادِ مـاءٌ ... عليـهِ مـن بنيـهِ دمٌ يُـراقُ

***

ثباتـاً يـا دِمَشـقُ عـلى الرزايـا ... وتوطينـاً وإن ضـاقَ الخنـاقُ
وفـوزاً بالسّـباق ولـيس أمـراً ... غريبـاً أن يكـونَ لـكِ السـباقُ
دمشـقُ وأنـتِ غانيـةٌ عـروسٌ ... أمُشـتَبكُ الحـرابِ لـكِ الصَّـداقُ؟

***

أذنبـاً تحسـبون عـلى البرايـا ... إذا مـا ضُـويقوا يومـاً فضـاقوا
بعـين الله مـا لقيـتْ شـعوبٌ ... لحـدِّ السـيفِ مكرهـةً تُسـاقُ
عجافـاً أُطلقـتْ ترعـى، ولكـنْ ... معاهـدةُ القـويّ لهـا وَثـاقُ
وعِيقـتْ مُـذ بَغَـتْ حقّـاً مضـاعاً ... وسـاموها الـدّمار فلـمْ يُعـاقوا
ذروا هـذي الشـعوبَ ومـا اشـتهته ... مـذاقُهُمُ لهـم ولكـم مـذاقُ

***

تحـررتِ الـبلادُ سـوى بـلادٍ ... ذُيـولِ شـانهنَّ الالتحـاقُ
أبـابُ الله يُفـتح للبرايـا ... وعـن هـذي الـبلادِ بـه انغـلاقُ
وكيـف تسـيرُ مطلقـةً بـلادٌ ... عليهـا مـن أحابيـلٍ نطـاقُ
فيـا وطنـي ومـن ذكـراكَ روحـي ... إذا مـا الـروحُ أحرجهـا السـياقُ
أُشـاقُ الى رُبـاكَ وأيُّ حـرٍّ ... أقلّتـهُ رُبـاك ولا يُشـاقُ
ويـا جـوَّ العـراقِ وكنـتَ قـبلاً ... مـداواةُ المـراضِ بـك انتشـاقُ

لقد خَبُثَتْ بك الأنفاسُ حتّى	لِروحي منك بالروح اختناقُ

***

على ((مدنّيةٍ)) زَهَرتْ وفاقاً	سلامٌ كلّما ذُكِرَ الوفاقُ
تولّى أُسَّها الباني اعتناءٌ	وشيَّد ذِكْرها الحَسَنَ اتفاقُ
أُشاقُ لها إذا عنَّت خيامٌ	وأذكرُها إذا حنَّت نِياقُ
تغشّتها النزاهةُ لم تَشُبْها	أساليبٌ كِذابُ واختلاقُ
كما شيدتُمُ شِدنا وزدنا	ولكنْ ما لقينا لم تلاقوا
وما سِيان بالرفق امتلاكٌ	لمملكةٍ وبالسيفِ امتشاقُ
سلوا التاريخ عن شمس أُديلتْ	وعن قمرٍ تَعاورهُ المحاقُ
هل الأيّامُ غيرّتِ السجايا	وهل خَشُنَتْ طباعُهم الرقاقُ
وهل إفريقيا شَهِدتْ سَراةً	بها كالعُرْبِ مذ عُبِرَ الزقاقُ
غداةَ البحر تملكُه سفينٌ	لنا والبرُّ تحرسهُ عتاقُ
و((طارقُ)) ملؤهُ نارٌ تَلَظّى	وحشوُ دروعهِ سمٌّ زُعاقُ
بأندَلسٍ لنا عرشٌ وتاجٌ	هوى بهما التخاذلُ والنفاقُ
هما شيئانِ ما اجتمعا لشعبٍ	فإمّا الملكُ فيهِ أو الشقاقُ
أولئك مَعشرٌ سَكروا زماناً	وناحُوا ملكَهم لما أفاقوا
فإنْ كُتب الفراقُ لنا فصبراً	على كلِّ الورى كُتبَ الفراقُ
لنا شوقٌ إذا ذكروا رباها	وإنْ نُذْكر لها فلها اشتياقُ
يُطاق تقلّبُ الأيّام فينا	وأمّا أن نُذلَّ فلا يُطاقُ

النجف عام ١٩٢٦

الى روح العلامة الجواهري

المغفور له الشيخ حسن نجل صاحب الجواهر

حـذِرتُ ومـاذا يُفيـد الحَـذَرْ   وفـوقَ يميني يمـينُ القَـدَرْ
ومما يهـوّن وقـعَ الحِـمام   أن لـيس للمـرء منـه مَفـرْ
يُوَقِّـعُ مـا شـاء عُـودُ الزمـان   ويبكـي ويضحك منـه الـوترْ
((فيـومٌ علينـا ويـومٌ لنـا   ويـومٌ نُسـاء ويـوم نُسـرْ))
تعشـقتُ مـن ((عمـرٍ)) قولَـهُ   وكـم حكمـةٍ في معـاني عمـرْ[1]
أرى دهرنـا مسـرحاً كلُّنـا   نـروح ونغـدو بـه كالصُّـوَرْ

***

أقـولُ وقـد قيـل جـاء البريـدُ   ينـثُّ إليـك بهـذا الخـبرْ
عجيـبٌ لـه كيـف لم يوهِـهِ   فقـالوا صـدقتَ لهـذا عثـرْ
عَرَفـتُ الكتـابَ بمضـمونه   يُحـدِّثُ: أنّ اليـراعَ انكسـرْ
خليـليَّ مـا أنتـما صـانعانِ   بـدمعٍ ترقـرقَ ثـم انحـدرْ
تحـيرّ بـين النُهـى والهـوى   فهـذا نَهـاهُ وهـذا أمـرْ
هلُـمّا ننـوحُ عـلى دوحـةٍ   ذوى الأصـلُ منهـا وجـفَّ الثمـرْ
ولا ترغبـا في اعتـذار الزمـانِ   متـى زلَّ دهـرُكُما فاعتـذرْ
وهـوَّنَ مـن حُرقتـي أن أرى   دَمَ النـاس عنـد الليـالي هـدرْ

***

حَلَفْـتُ لقـد كنـتَ عَـفَّ اللسـانِ   وعَـفَّ اليـدينِ وعَـفَّ النظـرْ
جَنابُـك لا تعتليـه الشـكوكُ   ونفسُـك لا يزدهيهـا البَطَـرْ
شـبابٌ مضـى كنـتَ بَـرّاً بـه   وشـيخوخةٌ كنـتَ فيهـا أبـرْ

---

[1] هو عمر الخيام، والبيت من رباعية له مشهورة.

فلـــم تـــدرِ في صِــغَرٍ مـــا الصَّــغار ولم تـــدرِ مـــا الكِــبْرُ عنـــد الكَــبَرْ
ونفُسُـــــك للنفـــــع مخلوقـــــةٌ فلـــو رُمــتَ لم تــدرِ كيــف الضــررْ
لقــد جــلَّ خطبُــك عــن أن يُقــاس بــــما خلَّفتْـــهُ خُطـــوبٌ أُخـــرْ
فتلـــك يُـــلامُ بهـــا جـــازعٌ وهـــذا يُـــلامُ بـــه مـــن صــبرْ

***

بكيتُـــك للعلـــم مُحّصْـــتَهُ وأبرزتـــه نافعـــاً مختصـــرْ
كتـــابُ أبيـــك ومـــن ذا يُعيـــد عليــه- وقــد رحــت عنــه- النظــرْ
وللـــنفسِ تزهَـــد في عاجـــلٍ وترغـــبُ في الآجـــلِ المـــدَّخرْ
لفقــد صــيامكِ يبكــي النهــارُ ويبكــي لفقــد القيــامِ الســحرْ
بكيتُـــك للبيـــت عـــالي العِـــمادِ فخـــاراً نُعيـــتَ إليـــه فَخَـــرْ
تعطّـــل مـــن حَلْيـــهِ جِيـــدهُ وعِقـــدُ الجـــواهر منـــه انتثـــرْ
رأيـــتَ مـــن النـــاس مـــا دونـــه يُفـــلُّ الحديـــدُ، يُفَـــتُّ الحجـــرْ
نُســـيتَ لأنّـــكَ رُمـــت الإلـــه وغـــيرُك رام الـــورى فاشـــتَهَرْ
وعافتــــك دنيــــاكَ إذ عِفتَهـــا ومـــا بـــك لـــو رُمتَهـــا مـــن قِصـــرَ
وأعظــمُ مــا جــرَّ خطــبُ الزمــانِ ملائكـــــةٌ تُبــــتلى بالبشــــرْ
ثمانـــــينَ في الله قضّـــــيتَها ســتُظهر مــن فــاز ممــن خســرْ
عــلى قــدر مــا اختلــف الــواردونَ يكـــونُ اخـــتلافهمُ في الصَّـــدرْ
ولـــو نَفَعـــت عِـــبرةٌ في الـــورى لكانـــت حياتُـــك أمَّ العـــبرْ

***

لقد كَلَمتْك خطوبٌ دهتْ لوِ الصخرُ كابدهنَّ انفطرْ[1]
شبابان كنّا بلطفيهما نباهي الخميلةَ أُمَّ الزهرْ
فقدتَهما لم يكن بين ذا وذلك إلّا كلمحِ البصرْ
أتعلمُ إذ شيّعتْ نعشَه لمن ذا تُشيّع هذي الزمرْ
وهل عَرَف الموتُ إذ غاله بما أيِّ عِلقٍ نفيسٍ ظفرْ
ولو كنتَ تُرثى كما ينبغي لكنتَ الجديرَ بأمّ السُّورْ
ولكن على قدْرِ ما أستطيعُ أتيتُ أقابل طوداً بِذَرْ
وما أنا الا مُسيءٌ أقرَّ وما أنت إلّا كريمٌ عذرْ

***

هو الحزنُ نَمَّ عليه البيانُ أو الجمرُ نمَّ عليه الشررْ
رأيتُ الهمومَ نَتاجَ الشعورِ فلا يفْرحَنَّ امرؤٌ إن شعرْ
ودونَ القصيدِ الذي تقرأون إذا جاشت النفسُ وخزُ الإبرْ
وما المرءُ إلّا بآثاره وذكرُك بالخير نعم الأثرْ
أبا حسنٍ يا جوادَ النَّدى إذا المحلُ عمَّ وصِنو المطرْ[2]
ويا نابغاً حين جفَّ النُّبوغُ وضلَّت عن الفكر أهلُ الفكرْ
يَهشُّ لك السمعُ قبلَ العِيانِ وتشتاقك البدوُ قبل الحضرْ
فلا تجزَعَنْ نِعم عُقبى الفتى تحمَّلَ ما لم يُطِقْ فاصْطَبَرْ

النجف عام ١٩٢٦

---

[1] إشارة الى فقد العلامة المذكور ولديه تباعاً قبيل وفاته وكانا من خيرة العلماء الفضلاء.

[2] هو العلامة الشيخ محمد جواد الجواهري وقد التفت إليه الشاعر يعزيه بالفقيد.

البادية في إيران

بهجـةُ القلـب، جـلاءُ البصـرِ   هـذه الأريـافُ غِـبَّ المَطَـرِ
يـا أصـيلاً هاجَـتْ الـذكرى بـه   نسـمةٌ أنسَـتْ نسـيمَ السـحرِ
أنـتَ هيَّجـتَ شُـعوري طَرَبـاً   أنـا لـو لم تحـلُ لي لم أشـعُرِ
لطفُـك اللهُـمَّ مـا أعظَمـه   أفهـذا كلُّـه للبشـرِ؟
أبسـاطُ الـوردِ ممـدودٌ عـلى   هـذه الأقطـار مَـدَّ البصـرِ؟
وبأنفـاسِ حِـرارٍ خَبُثَـتْ   تتلاشـى نفحـاتُ الزَّهَـرِ؟
يـا خليـليَّ أجـيلا نظـراً   تَريـا الآفـاقَ كُحـلَ النظـرِ
تريـا ((البقعـةَ)) مـن بعـد العـرا   تكتسـي نـورَ بسـاطٍ أخضـرِ
عَميـت عينـيَ أنْ أشـغلَها   منظـرٌ عـن حُسـن هـذا المنظـرِ
ألشـيءٍ غـيرَ أن تؤنسَـني   تظهـرُ الأرضُ بهـذا المظهـرِ؟
لسـتُ بالشـاعر إن لم يُصْـبني   أيـنما كـان جمـالُ الصـورِ
في الثرى في الـروض في أفـق السما   في شـآبيب الحيـا، في الحجـرِ
واشـكري يـا أرضُ ألطـافَ السما   تُسـلبُ النعمـةُ إن لم تَشـكري
واذكـري الشـدَّة في فُرجتِهـا   واعـرِفي حُسـنَ صـنيعِ المطـرِ

***

حَسُـنت باديـةٌ فارهـةٌ   هـي أَنسـتْني حُسـنَ الحضَـرِ
كـم عـلى أمواهِهـا تعريسـةٌ   ومقيـلٌ تحـت ظـلِّ الشـجرِ
ونهـارٌ مشـمسٌ نَقْطَعُـهُ   بالأحاديـث كليـلِ مقمـرِ
راقـت الوحـدةُ لي في غربتـي   أنـا لا أهـوى ضـجيجَ الزُمـرِ
شُـغلَ النـاسُ بسُـمَّارهُمُ   وأنـا وحـدي هـواكم سَـمَري

أنـــا والـــروضُ وأشـــباحُكمُ نتنـــاجى تحـــتَ نُـــورِ القمـــرِ

***

هيَّجــوا أوتـــارَهم وانبعثـــت هِـــزّةُ الحـــبِّ فهاجـــتْ وَتَـــري

نَفَـــسٌ للشـــعرِ في تقطيعـــه أثـــرٌ مـــن نَفَـــسِ المحتضـــرِ

يـــا أحبـــاي ومـــا أصـــبرَكم أحســـنُ الأحبـــاب مـــن لم يَصـــبِرِ

طـــال إســـهابي ومـــا أشـــوقَني لكتـــابٍ مـــنكمُ مختصـــرِ

كـــم أُرى منتظـــراً وعـــدَكمُ ثَقُـــلَ الوعـــدُ عـــلى المنتظِـــرِ

أنـــا إنْ عَـــدُّوا علـــيكم عثـــرةً قلـــت: أيُّ النـــاس مـــن لم يعثُـــرِ

وإذا مـــا قيـــل: ظلـــمٌ هجـــرهم قلـــتُ: لـــولا زلـــةٌ لم أُهجَـــرِ

يطمـــعُ القلـــبُ بسُـــلوانكمُ فـــإذا حاولـــه لم يقـــدِرِ

تعتريـــهِ هِـــزَّةُ الشـــوق لكـــم ومـــن القســـوة أن لا تَعـــتري

أتُـــرى ريـــحُ الصـــبا يُثقلهـــا خـــبرٌ تحملـــه عـــن جَعفَـــرِ

عـــن أديـــبٍ جَمَعـــتْ أنفاســـهُ صنعةَ ((الفنّ)) وطبعَ ((العبقري))

أنـــا خـــاطرتُ بنفســـي في الهـــوى والهـــوى لذَّتُـــه في الخَطَـــرِ

قَـــد ســـهرنا فوجـــدنا أنّـــه فـــوق طعـــم النـــوم طعـــمُ السَـــهرِ

حســـب قلبـــي ذكـــركم تعويـــذةً وأمانـــاً مـــن صروفِ القـــدرِ

ايران عام ١٩٢٦

خلال سفرته الثانية إليها

على دربند

أحبَّتنا لو أُنزل الشوقُ والهوى على قلبِ صخرٍ جامدٍ لتَصَدَّعا
خليليَّ ما أدنى المماتَ إلى الفتى وأقْربَ حبلَ العمرِ أنْ يتقطعا
ولمْ تطلُعِ الأقمارُ إلّا لتختفي ولا عقربُ الساعات إلّا لتُلسعا
فإنْ لم يكن إلّا نهارٌ وليلةٌ فما أجدرَ الإنسان أن يتمتَّعا
ولمَّا أبتْ أيّامُنا غيرَ فُرقةٍ ولم تُبقِ في قوس التصبّرِ منزعا
وكنّا وفي كأس الرزايا صُبابةٌ فما برِحتْ حتّى شربناه أجمعا
نوينا فأزمعنا رحيلاً وما التوتْ بنا نُوَبُ الأيّامِ إلّا لنُزمعا
نزلنا ففرَّقنا هموماً تجمَّعتْ أبى صفوُ ((شمراناتِ)) أن تتجمَّعا
أحتّى لدى الجنّاتِ أهفو إليكُمُ ويُسمعني داعي الصَّبابةِ إنْ دعا؟
رعى الله أُمَّ الحُسن ((دَرْبندَ)) إنّنا وجدنا بها روضاً من الصفو مُمرِعا
لقد سرَّنا منها صفاها وطيبُها ولكنْ بكيناه جمالاً مُضَيَّعا
مَريعاً من الحُسن الطبيعي لو سَعتْ بنوه إلى إنعاشه كان أمرعا
قُرى نُظّمتْ نظَم الجُمانِ قلائداً أو الدُّرِّ مُزداناً أو الماسِ رُصِّعا
صفوفٌ من الأشجارِ قابلْنَ مثلَها كما مَصْرعٌ في الشعر قابل مصرعا
نَظَمنا فأهدينا القوافي بديعةً وكانَ جمالُ الله فيهنَّ أبدَعا
وقفتُ على النهر الذي من خريرهِ فرغْتُ من الشعر الإلهيّ مطلعا
لقد وقَّعتْ كفُّ الطبيعةِ لحنَه وشابهه في الشعر طبعي فوقَّعا

ايران عام ١٩٢٦

بريد الغربة

أعاد الشاعر نشرها في جريدته ((الفرات)) تحت عنوان ((اسمعي يا وزارة المعارف)) بهذه المقدمة:

((إليك يا وزارة المعارف، يا من ترين القذى في أعين البعض وتتعامين عن الشوكة في عيون آخرين.

إليك أيتها الوزارة ((المسترخية)) أمام المستعمرين يتخذون من موظفيك آلة للتفريق وللعبث في مصالح الأمة العربية.

((إليك أيتها الوزارة ذات التاريخ الناصع بين الوزارات في كلّ الأدوار التي مرت عليك، والتي سجلت لك في كل واحدة منها موقفاً ((مشرفاً)) لك أبد الآبدين.

((إليك أيتها الوزارة التي تعرفين ((فايلات)) وسجلات موظفيك وتحيطين خبراً بارتكاباتهم وفضائحهم وتتجاهلين ذلك لأن يداً فوقك تجبرك عليها.

((أيتها الوزارة التي تحاسبين البعض من الناس على أمثال هذه القصيدة الفائضة شعوراً وطنياً وإحساساً قومياً لمجرد وجود صاحبها في ((الغربة)) وتثيرين مشكلة من المشاكل عليها.. نرفع الأبيات التالية عبرة وموعظة لعلك تتعظين)).

هبَّ النسيمُ فهبتِ الأشواقُ وهفا إليكمْ قلبُه الخفّاقُ

وتوافَقَا فتحالفا هو والأُسى وَحَمامُ هذا الأيكِ والأطواقُ

عارٌ على أهلِ الهوى أن تُزدرى هذي النفوسُ وتُشترى الأعلاقُ

ذَم الفراقَ معاشرٌ جهلوكُمُ من أجلكم حتّى الفراقُ يُطاقُ

ما شوقُ أهلِ الشوقِ في عُرفِ الهوى نُكرٌ فقد خُلقوا لكي يشتاقوا

أمّا الرفاقُ فلم يَسُؤني هجرهمْ إذ ليس في شرعِ الغرامِ رفاقُ

لو أُبرم الميثاقُ ما كَمَلَ الهوى شرطُ الهوى أن يُنقَضَ الميثاقُ

كُتُبُ الإله تشرَّفت في ذكره وبذكركمْ تتشرفُ الأوراقُ

هذا القريضُ تكسّرت نَبَراتُهُ إذ ضاق من ألم الفراقِ خناقُ

عَمَرتْ بذكركمُ اللذيذِ مجالسٌ وازَّيّنتْ بهواكُمُ أسواقُ

ماذا أذُمُّ من الهوى وبفضله قد رقّ لي طبعٌ وصحَّ مَذاقُ

***

هي ((فارسٌ)) وهواؤها ريح الصَّبا وسماؤها الأغصانُ والأوراقُ

وَلِعَتْ بها عُشّاقُها وبليّةٌ في الشرق إنْ وَلِعَتْ بها العشّاقُ

سالت بدفّاق النُّضار بقاعُها وعلى بنيها شحتِ الأرزاقُ

يا بنتَ ((كومَرْثٍ)) أقلّي فكرةً فلقد أضرَّ برأسك الإخفاقُ

وتطلّعي تتبيَّني الفجرَ الذي تتوقعينَ وتنجلي الآفاقُ

***

لي في العراق عصابةٌ لولاهمُ ما كان محبوباً إليَّ عراقُ

لا دجلةٌ لولاهمُ وهي التي عذُبت تروق ولا الفراتُ يذاقُ

((شمرانُ)) تُعجِبُني وزهرةُ روضِها ... وهواؤها ونميرُها الرَّقراقُ

متكسراً بين الصخورِ تمدُّه ... فوق الجبالِ من الثُّلوجِ طباقُ

وعليه من وَرَقِ الغُصونِ سُرادقٌ ... ممدودةٌ ومن الظلالِ رُواقُ

في كلِّ غُصْنٍ للبلابل ندوةٌ ... وبكلِّ عودٍ للغنا ((إسحاقُ))

كانت مُنايَ فلم تُعَقْ وعجيبةٌ ... أنّي أحِبُّ منى فلا تُعتاقُ

سرُّ الحياة نجاحُ آمالِ الفتى ... أمّا المماتُ فسرُّه الإخفاقُ

إيران عام ١٩٢٦

في طهران

ما انتفاعي بفيضِ هذي الدُّموعِ　والجوى مِلْءُ مهجتي وضُلوعي
لا أُحبُّ العِناقَ من أجل ذكرى　خَلّفتْها عناقةُ التوديعِ
لم أكُنْ قبل أن يَحينَ نواكُمْ　عارفاً قَدْرَ شمليَ المجموعِ
قد رأيتمْ تجلُّدي لسواكمْ　فاسألوا كيف كان فيكم ولُوعي
هَيِّنٌ كلُّ ما أُلاقيهِ منكمْ　في الهوى غيْرَ ذِلّتي وخُضوعي
عتبَ الناسُ قبلنا فأساؤوا　رُبَّ عتبٍ يجرُّ للتقريعِ
نَفَسُ الشعر شاهدٌ لذويهِ　ليس يخفى المصنوعُ بالتصنيعِ
إنْ أُضَيَّعْ فسوف يُنْشَدُ شعرٌ　بدويٌّ برقّةِ المطبوعِ
قد سمِعْنا بفارسٍ وكفانا　حُسْنُ مرئيّها عن المسموعِ
جاء فصلُ الربيع يَفْتَرُّ حسناً　وهنا ها هنا رُواءُ الربيعِ

***

رَجَع الحسنُ بعد ما فات منها　قلَّ ما بينَ فَوْتِهِ والرُّجوعِ
وإذا ما الشتاءُ جاء وردَّت　قطعاتِ الثلوجِ كَفُّ الصقيعِ
وأتى الصيفُ فاستفاضتْ شِعابٌ　غمرتْها الرُّبى بماءٍ مَريعِ
وتولّى الأشجارَ زِيٌّ غريبٌ　فهي خضرُ الأصولِ بيضُ الفُروعِ
فهناك الجمالُ وهو بسيطٌ　تجتليه والحسن وهو طبيعي

إيران عام ١٩٢٦

الخريف في فارس

يـــا هـــائجين لخريـــفِ فـــارسٍ ... مـــا تصـــنعونَ لـــو أتـــى ربيعـــهُ
ورافعـــــين طُنُبـــــاً تدعَمـــــه ... قـــدودُهم دامَ لكـــم رفيعـــهُ[1]
أبيـــاتُ حُســـنٍ نُظِّمَـــتْ، بيـــوتُكم ... جميعهـــا وحـــيُّكم جميعـــهُ
كـــأنّما الجـــمالُ شِـــعرٌ بحـــرُه ... بـــرٌّ وأطنـــابُكمُ تقطيعـــهُ
تشـــكركُمُ عُيـــونُ أربـــابِ الهـــوى ... وصـــاحبُ الإحســـانِ مـــن يُشـــيعهُ
هـــذا جمـــالٌ زانـــهُ نـــورُ الفضـــا ... لا كجـــمالٍ حِفظُـــه يُضـــيعهُ
لله دَرٌّ دَرَّه مـــــــن مُرضِـــــــع ... كـــلُّ الثـــرى ومـــن بـــه رضـــيعهُ
أُفٍّ لخَلْـــقٍ رشَّـــةٌ مـــن السَّـــما ... تُشـــبعه، وَمَنْعُهـــا يجُيعـــهُ
الحـــيُّ بـــادٍ عُجْبُـــه وعنـــده ... عجيـــبُ أمـــرٍ مضـــحكٍ بديعـــهُ
مـــا الحـــيُّ يقتـــادُ القطيـــعَ للكـــلا ... وإنّـــما يقـــودُهُ قطيعـــهُ

إيران عام ١٩٢٦

---

[1] الطنب: حبل الخباء.

الربيع

خليليَّ من ظُلمِ الليالي بأنّها تَجيءُ على رَغمي وتُحسَب من عُمري

هَلُـمّا نَبِعْ عُمراً ونَشترِ مَسَرَّةً فليس بعدلٍ أن نَبيعَ ولا نَشري

ألم تَرَيا حُسنَ الربيع وما ضَفَا على هذه الأشجارِ من حُللٍ خُضرِ

فلو أنَّ مَيْتاً يُكتَفى عن نُشُوره إذن لاكتفى مَيْتُ النباتِ عن النَشْرِ

تَرَى الوَرْقَةَ الصفراءَ تنمو على الحَيَا رُوَيداً كما ينمو الرضيعُ على الدَّرِّ

خليليَّ ما شُكْرُ ابنِ آدمَ ربَّه بأفصحَ من شُكر الخمائلِ للقَطْرِ

سقاها الحَيَا الغادي فنمَّ على الثَنا شذاها كما نمَّ الحَبابُ على الخَمرِ

إيران عام ١٩٢٦

من كنوز فارس

(ترجمات من شعر حافظ)

نُشرت مقاطعها بالتتابع في جريدتي ((النجف)) و((الفضيلة)) ويوضح الشاعر الدافع لترجمتها ونشرها في كلمة له في جريدة ((النجف))، بعد البدء بنشر المقاطع الأولى منها بعنوان ((حول كنوز الفرس)) فيقول: ((بعد السلام:

((وبعد فجواباً عن سؤال صديق علي عزيز فيما يتعلق بنشراتي المتوالية على صفحات ((النجف)) الأغر والمعنونة بـ((كنوز الفرس)) وطلبه مزيد الإيضاح عنها بعد الشكر على عنايته بها وإعجابه فيها مما أعده مشجعا لي على مواصلتها أقول:

((لقد كان لوجودي في (طهران)) عاصمة الفرس مدة صيف سنة (٤٣) و(٤٥)[1] الفضل الأدبي الذي لا ينسى، فقد لطف أوضاع هذه المملكة الروحية وأذواقها النفسانية من روحي وذوقي التلطيف المحسوس، واستطاعت بما أوتيت من صفاء جو واعتدال مناخ وعذوبة هواء وجمال طبيعي التأثير في هذه الروح العراقية تأثيراً قربها من روح ((حافظ)) و((سعدي)) و((الخيام)) و((الفردوسي)) و((النظامي)) وبالأخير من روح ((عارف)) و((ايرج)) وعرفانهم لحد المشاركة في الذوق والفن والمشاطرة للعواطف والميول.

((وبدافع الإعجاب بهذا الفضل والاعتراف بهذا التأثير أقول: إنّ: ((على العراق العجمي)) و((على كرند)) و((البادية في إيران)) و((الطبيعة في فارس)) في الأولى. و((فارس الجميلة)) و((شمران العروس)) و((يوم في دربند)) في الثانية هي أعزّ ما ضمنته مذكرتي الشعرية، وأنفس ما عرفته صفحاتها ففي هذه المقاطيع وقليل من غيرها استطعت أن أعرف ما هو الشعر الطبيعي وكيف تثور النفس الشاعرة وتختلج الفكرة ويدب المعنى ويختلق النفس.

((ولما كنت مدة بقائي هذين الصيفين هناك مضطراً إلى التحدث عن الأدب العراقي مع شذوذ من أدباء الفرس بصفتي أحد المتطفلين عليه وطبعاً كان يجر ذلك إلى التحدّث عن الأدب الفارسي والمقابلة بينه وبين تريبه ونسيبه الأدب العربي. فقد عدت وأنا معتقد بالدليل والبرهان، أنّ أبواب الشعر الخالد من وحي وإلهام وقريحة ثرّة هي مفتوحة في وجه الشعر الفارسي أكثر منها في وجه الشعر

---

[1] يريد التاريخ الهجري.

العربي ومعتقد أيضاً بوجوب انصراف الغيورين على الآداب العربيـة والمتطلبين التوسـع والتجـدد فيهـا، والساعين لإنهاضها من كبوتها، وإنعاشها من انقباضها إلى تقريب هذه الـروح الشـرقية روح ((طهـران)) من الروح العربية عوضاً عـن جلـب مـا لا يتناسـب وإيّاه مـن روح ((لنـدن)) و((باريـس)) و((موسـكو)) و((روما)) وجذبه بالحبال خصوصا أنّ القـرب بين قـواميس اللغتين وانـدماج بعضـهما فـي بعـض ووجـود العارفين بهما من كلا الطرفين أكثر من أي لسان آخر وتجانس الأمتين في كثير من الأخلاق والعـادات كل ذلك وغيره مما يشجع هذه الفكرة ويرغب فيها.

((وإجابة لهذا الداعي وامتثالاً لهذا الواجب جرّبت قلمي في هذا العنوان- كنـوز الفـرس- ((ومـع أن كـل ما نشر إلى الآن وكل ما عنـدي منـه ممـا لـم ينشـر بعـد هـو ((لحـافظ)) فقـط فقـد وضـعت العنـوان ولـم أخصصه بشاعر واحد من الفرس إباحة لدخول غيره مـنهم فـي هـذا المضـمون ممـن يستحسـنهم ذوقـي ويلائم شعرهم طبعي.

((هذا وقد كنت حين عنونت هذه المقتطفات (وهذا اسمها بعد اليـوم) بهـذا العنـوان معتمـداً علـى فهـم القراء والسامعين ولكن طلب هذا الأخ الأديب واحتمال وجود كثيرين مثله ممن يرومون زيادة في البيـان جئت بكلمتي هذه مبيناً فيها أن كلّ ما أنشره تحت هذا العنوان فإنّما هو ترجمة من ((دواويـن)) الفـرس ومجاميعهم الأدبية.

((هذا ولابد أن اتدارك بعد اليوم ما فاتني قبله من تصدير هذه ((المقتطفـات)) بمقدمـة أتفـاهم فيهـا مـع القراء الكرام عن مسلك حافظ الشيرازي وغيره مـن الأدبـاء ومـذاهبهم الشـعرية والفلسـفية والاجتماعيـة. وأغتنم فرصة هذه المناسبة لأعلن إعلاناً عاماً لكل من يتصادم في هذه ((المقتطفـات)) بمـا لا يرتئـي أو يستحسن من أفكار وآراء أنّني ليس لـي مـن غـرض خـاص يحملنـي علـى نشـرها سـوى الخدمـة الأدبيـة اللغوية وفيما أنشره في الضمن من الآراء المقررة والقوانين العامة المتفـق عليهـا مـا يبـرر ذلـك، وكـل مـا يأتي من ذلك القبيل فهو واسطة لا غاية.

والأعمال بالنيات والسلام)).

محمد مهدي الجواهري

مجموعة الورد

لغـةُ الأمـلاكِ لا يَعْرفهـا كـلُّ مـن طـالعَ أوراقَ الصَّـحاحِ
لأزاهـير الرُّبـى مجموعـةٌ شرحُهـا يعرِفـه طـيرُ الصباحِ

بين العالمين

ملكـاً كنـتُ وفي الفـردوسِ لي كـان صـحابْ
آدمٌ أخرجنـي منـه إلى هـذا الخـرابْ
ظِلُّ ((طوبى)) وصفاء ((الحورِ)) غيداً والشـرابْ
كلّـه مـذ هِمْـتُ في حبّـك عـن ذِهنـي غـابْ

جلوة المعشوق

بلبـلٌ يحمِـلُ في منقـاره وَرْقَـةً مـن وردةٍ ذاتِ جمـالِ
وهـو لا ينفـكُّ في استعراضـها ذا زفـيرٍ ونُـواح متعـالي
قلتُ: مـا أوجـبَ ذا الحـزنَ ومـا نسبةُ الوصلِ مـن الـدمعِ المُذالِ
قـال: هـذا سـنّةٌ توجبُهـا جلوةُ المعشوق في يـوم الوصـالِ

فتوى في الخمر

مـن شـيخِ دَيْـريَ فَتْـوىً عنـدي وعهـدٌ قـديمُ
أن لا تَحِـلَّ مُـدامٌ حتّـى يَحِـلَّ النـديمُ!

الأمل

إن يكـــنْ أُغْلِـــقَ يـــومٌ لـــك فـــارجُ الانْفِتـــاحْ
مـــثلما تنقـــبِضُ الـــور دةُ بعـــدَ الإنْشـــراحْ
فيُحييهـــا الصَّـــبَا الطَّلـــ ـــقُ وأنفـــاسُ الصـــباحْ

رشحة القلم

أيَّ لُطـــفٍ قـــد أرتنـــا رشـــحةٌ مـــن قلمِـــكْ
كرمـــاً كـــان عظـــيماً منـــك ذكـــرى خَـــدَمِكْ

أينا أحسن

ذهـــب النـــاسُ مـــن الـــد نيـــا بِمُلـــك ونعـــيمِ
وذهبنـــا نحـــن بالأشـــ ـــعارِ والـــذوقِ الســـليمِ!

ختم الشفتين

مثـــلُ دنِّ الخمـــرِ نفســـي أبـــــداً في غليـــــانْ
وأنـــا آكـــلُ مـــن قلبـــي ولا يـــدري اللســـانْ
كيف بعـد ((الختمِ)) تقـوى أن تبـــوحَ الشـــفتانْ؟

في العيد

وعـــظَ الشـــيخُ ولكـــنْ أُذُني فيهـــا انصـــامْ
كـــلُّ شُـــغلي يـــومَ عيـــ ـــدِ الفِطْـــرِ كـــأسٌ ومُـــدامْ

لِتنـــال الخمـــرُ منّـــي ثـــأرَ أيـــام الصّـــيامْ
مـــدةً غِبـــتُ بهـــا عـــن وجـــهِ خمّـــارٍ وجـــامْ
وبحســـبي بعـــضُ مـــا فـــرّطتُ في ذيـــن أثـــامْ!!

أدب الساقي

خـــذِ الكـــأس بتـــوقيرٍ وقبّلْهـــا بإذعـــانِ
فقـــد رُكّـــبَ مـــن قِحْـــفَةِ جبّـــارٍ وســـلطانِ
بقايـــا رأسِ ((جَمْشيـــدَ)) و((بهـــرامٍ)) وبهـــانِ

النسيم العاشق

مـن أجـل أن يحظـى بـوردٍ مثـلِ وجهـكِ في الجـمالِ
صـبحاً يجـوسُ خـلالَ كـلِّ خميلـةٍ ريـحُ الشّـمالِ

بلا عُمْر

أنـا قـد عِشـتُ بـلا عُمْـرٍ لتـوديعي رفـاقي
أيـن مـن يَحسَـبُ مـن دنيـاه أيّـامَ الفـراقِ؟

نسيم الحياة

جهـــراً أقـــولُ ولـــوثُ الـــخُمارِ يـــدوي بـــرأسي
إنّي وجـــدتُ نســـيمَ الحيـــاةِ يمـــلأُ كـــاسي



أمر الأستاذ

لا بـــأمري خُلـــقَ الصـــا   حـــــي ولا النبّـــــاذُ
كلّنـــا يـــأتي كـــما قـــد   أمـــــر ((الأُســـــتاذُ))!

البلبل الشاعر

في الصـــبح أوحـــى بلبـــلُ الـــ   ـــرّوضِ إلى ريـــح الصَّـــبا
رايـــتِ مـــا جـــرّ لنـــا   عشـــقُ أزاهـــيرِ الرُّبـــى؟

هذا وذاك

ينـــوحُ البلبـــلُ المســـكينُ مـــا بـــين البســـاتينِ
وأنفـــاسُ الصَّـــبا تَحظـــى بتقبيـــل الرّيـــاحينِ

من هنا إلى هناك

ســـماعُ الـــوعظِ لا نَقبَلُـــهُ مـــن غـــير أخيـــارِ
فمـــن مجلِســـنا هـــذا إلى حانـــةِ خمّـــار!!

أمران عجيبان

طبعُـــك القـــاسي وحظّـــي منـــك أمـــرانِ عُجـــابْ
لِعـــدوّي مجلـــسُ الأُنـــس ولي مـــرُّ العتـــابْ

إلّا أنا

كـــل ســـكّيرٍ قضـــى عـــن نفسِـــه دَيْـــنَ الشـــرّابِ

وأنــا ثــوبيَ رهــنُ الخمــرِ مــن دون الثيــابِ!

ألف شكوى

أمــن الــدهرِ تعجبــتَ ومــن صَرفِ الهــوانِ
ألــفَ شــكوى مثــلَ هــذه سَــمِعَتْ أُذْنُ الزمــانِ

أم لماذا؟

هــل صــحا ((حــافظُ)) مــن ســكرِ ريــاءٍ وارتيــابِ
أم لمــاذا تــرك الــدَّيْرَ إلى حــانِ الشــراب؟

أنت أعرف

أنــت يــا ســاقي الطِّــلا أعْــرَفُ منّــي بالصــنيعْ
أنــت مــن أهــل الشــعور الحــيّ والــذوقِ البــديعْ
ضَــفّةُ النهْــرِ وظِــلُّ الغَــيْم والفصــلُ ربيــعْ

في الكأس

زَفَّ لي الخــمارُ كأســاً هــي مــرآةُ الزمــانِ
دلَّنــي فيهــا عــلى مــا فيــكَ مــن لُطــفِ المعــاني

الوردة والشوكة والبلبل

سَــحراً إذ جئــتُ للبُســتانِ أبغــي منــه وَردا
راعنــي صــوتُ هَــزارٍ يتشــكّى الحــبَّ فــردا
شــاعرٌ قــد هــدّه عِشْــقُ ورودِ الــروض هــدّا

فـــتراه يمـــــلأ البســـــتانَ بالآهـــــاتِ وَجـــــدا

كثر الورد ولكن

كثـــر الـــوردُ ولكـــنْ مَنَـــعَ الشـــوكُ اقتطافـــا
عَشِـــقَ البُلبـــلُ ورداً هـــو والشـــوكُ تصـــافى
لا ســـلا هـــذا ولا ذاك عـــن الإلـــفِ تجـــافى

أدب المجالس

قـــلْ للمغنـــي يتئِـــد إنَّ الحبيـــبَ تكلّـــما
وأرى الغنـــا مـــن بعـــد مـــا نطـــق المليـــحُ مُحَرَّمـــا
إلّا إذا مـــا كـــان مـــن أشـــعار ((سَـــعْدِي)) رُبَّـــما

مثل الكمامة

وأحـــقُّ شيءٍ بالبُكـــا عُمْـــرٌ قصـــيرُ الإبْتســـامةْ
هـــي برهـــةٌ يفـــترّ فيهـــا ثـــم يـــذْوي كالكِمامَـــةْ

ذاك الذي

ذاك الـــــذي أمَّلَنـــــا بوعظِـــــه وأنَّبـــــا
رأيتُـــهُ مُعربـــداً تقـــواه قـــد طـــارت هَبـــا

حافظ دونهم

رفــــاقي كلُّهــــم مــــثلي أجــــادوا العِشْـــقَ والنَظَـــرا
و((حــــافظُ)) دونَهــــم ظُلْـــماً بسُـــوءِ السُّـــمْعَةِ اشـــتُهرا

عقدة لا تحل

عقـــدةٌ عنـــديَ سَـــلْ عـــن حلِّهـــا هـــذا الأديبـــا
لِمَ لا تابـــتْ شـــيوخٌ وعظتنــــا أن نتوبــــا
جلـــوةٌ للشـــيخ إن قـــام عـــلى النـــاس خطيبـــا
وهـــو في جلوتـــه يرتكـــب الأمـــرَ المريبـــا

سفاهاً

سَـــفاهاً عـــاذلي تســـعى لتنفـــيري وتكـــديري
فمـــن يشـــتار شُـــهداً لا يبـــالي بالزنـــابيرِ

عند الشراب

لســـت أدري أيَّ لطـــفٍ نجتليـــه بالصـــبوحْ
إذ عـــلى الكاســـات يبـــدو وجـــهُ ســـاقينا المليـــحْ

إيران عام ١٩٢٦

اعترافات

يقــول: لِمَ اعتزلــتَ؟ فقلــتُ لِمْ لا   وخــيرٌ مــن تظــاهُري اعتــزالي؟
نظمــتُ فلــم يُفــد شــيئاً نظــامي   وقلــتُ فلــم يَجِــدْ أثــراً مقــالي
وهــل تُجـدي الشَّــجاعةُ في كــلامٍ   جبانــاً عــن مقارعــة الرجــالِ

***

أقــــولُ وذاك بهتــــانٌ وزورٌ   ظهــــوري لا لجـــاهٍ أو لمـــالِ
ألا فليشـــــهَدِ الــــثقلانِ أنّي   مـع الأيّـام..! تـرخصُ أو تغـالي
أذُمُّ النــاس إن غــابوا ولكــنْ   إذا حضـــروا فعُنــوانُ الجــلال
أُبــالي بامتــداح النــاسِ فعــلي   وان أظهــــرتُ أنّي لا أُبـــالي
وأزجُــرهُم إذا نطقــوا بعيبــي   كـــأنّي بـــالغٌ حــدَّ الكــمالِ
وأُظهــر عِفَّــةً عــن نيــل شيءٍ   إذا ألفيتُـــه صــعبَ المنـــالِ
وأُســألُ عــن أمــورٍ لا أعيهــا   فــأُظْهِرُ أنّ نقصــاً في الســؤالِ
وكــم ســلّيتُ بالأوهــام نفســي   وغطَّيـــتُ الحقيقـــة بالخيـــالِ
خططــتُ عــلى الرمــالِ منــىً فلـمّا   تطـامى السـيلُ سِـلْنَ مـع الرمـالِ
وكــم مــن منطــقٍ حُــرٍّ نزيــهٍ   أُزيّفُـــهُ عِنـــاداً بالجـــدالِ
مخافــةَ أن أرى فيــه أخيــذاً   ومغلوبـــاً كـــأنّي في قتـــالِ

***

علـى عهـدي فـلا الأيّـام حالـت ظواهرُهـا ولم تشِـبِ الليـالي

ولكـنْ ضـيقُ نفسـي بـاعترافي يُرينـي أنَّ ضـيقاً في المجـالِ

وكـم وعـدٍ حلفـتُ بـأنْ يـوفّى كـأنّي قـد حلفـتُ عـلى المِطـالِ

أقـولُ ولا أخـافُ النـاسَ أنّي مزجـتُ حـرامَ دهـري بـالحلالِ

وقـد حَسُـنَتْ خِصـالٌ لي ولكـنْ رأيـتُ القُـبحَ أكثـرَ في خِصـالي

نظمت عام ١٩٢٦

شدة لندن

يـــا خلـــيليَّ والـــبلاءُ كثـــيرٌ   في بـــلادي ولا كهـــذي البليـــهْ

أزمـــنَ الـــداءُ في العـــراقِ ولـــن يَشـــفيه إلّا الجـــرّاح والعمليّـــهْ

أفَتِـــيٌّ عراقنـــا؟ فلـــماذا   خـــدعوه؟ وذاك شـــأن الفتيَّـــهْ

سَـــحَرَتْنا ظـــواهرُ الأمـــر حتّـــى   أوهمتنـــا أنّ الـــبلادَ قويّـــهْ

نتغنّـــى وعصـــرنا مـــن نُحـــاسٍ   بأغـــاني عصـــورنا الذهبيـــهْ

نَخـــر الجهـــلُ أُمّتـــي نخـــرةَ الســـوسِ فـــأين المجـــامعُ العلميّـــهْ

كلّنـــا في الجمـــود والجهـــل وحشـــيّون لكـــنْ حقوقُنـــا مدنيّـــهْ

كلُّنـــا في النفـــاقِ والختـــلِ نُبـــدي   كـــلَّ يـــومٍ مهـــارةً فنيّـــهْ

وطنـــي كـــلُّ مـــن عليـــه وزيـــرٌ   واضـــعٌ نُصـــبَ عينـــه كرســـيَّهْ

قـــد لففنـــا كـــلَّ المســـاوىء فينـــا   بـــرداء مـــن نهضـــةٍ وطنيّـــهْ

مـــا شَـــقينا إلّا لأنّـــا حسِـــبْنا   أنّ في الكـــذب جـــرأةً أدبيّـــهْ

كثـــر المـــدَّعون لّمـــا اختلفنـــا   في البـــديهي فكـــرةً فلســـفيهْ

لو يقـــول الأديـــب في الشـــرقِ ((إنّ   الأرض تحتـــي)) لسُـــمّيتْ نظريـــهْ!

كلُّنـــا بالـــذي تمنّـــى ســـعيدٌ   لا نبـــالي أنّ الـــبلاد شـــقيهْ

أسـمعتم مـا قيـل عـن ((برلمـاني))   وعـــــرفتم مهـــــارةَ الحزبيّـــــهْ؟
لســت أدري لكــن يقــولُ خبــيرٌ:   في البضــاعات شــدّة (لندنيّــهْ))

بغداد عام ١٩٢٦

بغداد على الغرق

بدت خَوداً لها الأغصانُ شَعرٌ ... ودجلةُ ريقُها والسَّفْحُ ثَغْرُ
على ((بغدادَ)) ما بَقِيَتْ سَلامٌ ... يَضوعُ كما ذَكَا للوَردِ نشْرُ
سمتْ تَزهو على السَّفحينِ منها ... قصورٌ ملؤها زَهْوٌ وكِبْرُ
يُظلِّلُ دجلةً منها جَناحٌ ... كما بَاهى بقادِمَتَيه نَسْرُ
نزلتُ فما رأيتُ أبرَّ منها ... وضيفُ كريمةٍ بَرٌّ يُبَرُّ
قرتْني الريحَ لم يَفْسُد مَهَبٌّ ... له والماءَ لم يسْدُدْ مَمَرُّ
سكِرتُ وما سُقيتُ بغيرِ ماءٍ ... ودجلةُ ماؤها عَسَلٌ وخَمرُ
كريمةُ سادةٍ عَرَّقْنَ فيها ... عروقٌ من بني ((عدنان)) نُضْرُ
كفى ((العباسَ)) ما أبقَتْ بنوه ... فما تَربو على ((بغدادَ)) مِصْرُ
مَضَوا غُرَّ الوجوهِ وخلَّدتْهم ... نِقاباتٌ من الآثار غُرُّ
فمن يكُ ذكُره حَسَنا جميلاً ... فحسْب القَوم في بغداد ذِكْرُ
فيا بغدادُ لا ينفكُّ سِرٌّ ... لحُسْنِكِ ينجلي فيدِقُّ سِرُّ
أكنتِ و((بابلاً)) بلداً سواءً ... فللملكَينِ باقٍ فيك سحرُ

***

سقى الجسْرَ المَطيرَ من الغوادي ... فَملْقى اللهو واللذاتِ جسرُ
هو البرجُ الذي كادَتْ عليه ... نجومُ الأُفقِ ساجدةً تَخِرُّ
رأيتُ بأفقه شمْساً وبَدْراً ... كأحسنِ ما تُرى شَمسٌ وبَدرُ
نهاراً كلُّه أُصُلٌ لِذاذٌ ... وليلاً كلُّه سحرٌ وفجرُ
وقفتُ عليه وقفةَ مستطيرٍ ... من الأحزانِ ملءُ حَشاه ذُعرُ
وللأمواج من حَنَقٍ نَشيشٌ ... كما يَغلي على النيرانِ قِدرُ

ودجلةُ كالسجينِ بغى فِراراً وأزْبدَ حيثُ أعوزَه المفَرُّ
وذاك الثابتُ الأركانِ أمسى عليها ريشةً لا تستَقِرُّ
فما أدري غَداةَ نَزا عليه من الأمواجِ مُغتَلِمٌ يَؤرُ
أتحتَ الماءِ غاصوا حين جازوا عليه أم فُويقَ الماءِ مرّوا
أحقاً أنّ ((أمَّ الخير)) منها بعاصمةِ ((الرشيدِ)) أحاطَ شرُّ
وبات الماءُ منها قِيدَ شِبرٍ لقد أسدى لها الإحسانَ شِبرُ
ودجلةُ حُرَّةٌ ضِيمَت فجاشت ويأبى الضيمَ والإذلالَ حرُّ
أضاعوا ماءَها هدراً وأخنَى على مُستودَع البَركاتِ فَقْرُ
فإن تَكُ دجلةٌ هَدأتْ وقرَّتْ فللغضبانِ ((شِقْشِقةٌ)) تَقرُ
وإن تُبتُمْ فذاكُمُ وإلّا تُصِرُّ على البليةِ إن تُصِرُّوا
رأوا حسنَ العراقِ فأعجبتهمْ أباطحُ من ربيعٍ فيه خُضرُ
وقد حَنُّوا إليه كما تلظّى فطيمٌ حول مرضعةٍ تدُرُّ
فيا وطناً جَفَوْهُ وهو راضٍ وعقّته بنوه وهو بَرُّ
برغمي أن تروقَ لهم فتحلو مواردُهم وعيشي فيك مرُّ
نصيبي منك دمعٌ ليس يرقى على البلوى وجنبٌ لا يَقِرُّ
رضىً بالحالتين ضنىً وبؤسٌ فضَرٌّ من بلادي لا يضرُّ
ولستُ ببائع أرضي بأرضٍ وإن لم ألقَ فيها ما يسرُّ
ومن لم يرضَ موطنه مقرّاً من الدنيا فليس له مقرُّ
تتابعتِ الخطوبُ على بلادي فواحدةٌ لواحدةٍ تُجِرُّ
وقد مرَّتْ نحوسٌ واستمرّتْ وذلُّ القوم نحسٌ مستمرُّ

فلـــو قـــالوا تمـــنَّ لقلـــتُ يومـــاً يكـــرُّ ومـــا بـــه خطـــبٌ يكـــرُّ

***

إليـــك الشـــعرَ يـــا بغـــدادُ عِقـــداً تناســـقَ لؤلـــؤٌ فيـــه ودُرُّ

بيـــانٌ جـــاش فيـــكِ فجـــاء عفـــواً وحســـنٌ رقّ منـــك فـــرقّ شـــعرُ

جـــرى بـــالوَفق مـــن قلبـــي لســـاني وأظهـــرت القـــوافي مـــا أُسِرُّ

بغداد عام ١٩٢٧

تحية الوزير

إثر موقف ملتزم من وزير المعارف للتصدي لبث النعرة الطائفية

حيِّ الـوزيرَ وحـيِّ العلـمَ والأدبـا   وحيّ من أنصـف التـأريخَ والكتبـا
وحيِّهـا ضربـةً للجهــل قاضـيةً   مجالسُ العلـمِ قـد عجّتْ لهـا طربـا
وحيّـه سـاخطاً هاجــتْ حميّتُـهُ   وحيّـهِ ناهضـاً غَـيرانَ ملتهبـا
أُريـدَ منـه الـذي لم يهـوَهُ فنبـا   وسِـيمَ مـا لم يُطِـقْ وجدانـهُ فـأبى
لـولاك أعـدى بُـراءَ داءُ دعـوتهم   وربَّ عضَّـةِ كلـبٍ أورثـتْ كَلَبـا
لم يحفظـوا لأمـاني الشـعب حرمَتَهـا   من أجل أن يبلُغوا مـن مطمـعٍ أرَبـا

***

يـا صـاحب الهمّـةِ الشـماء حسبُكَهُ   يومـاً رَعَيْـتَ بـه الأجـدادَ والنسـبا
اللهُ يجزيـــك والآبـــاءُ مـــأثرةً   في الله صُـنتَ بهـا آبـاءَك النُجبـا
ما زلتُ ((حباً بما شيّدت في رجبٍ))   من فوق كـل شـهوري رافعـاً رجبـا
بصـرّتَ بعـدك مـن يـأتي بواجبـه   نحوَ البلادِ كما أخجلـتَ مَـنْ ذهبـا
لـو كـان للشـعب رأيٌ في مصـائره   حقّـاً أقـام لـه التمثـالَ والنُصُـبا

***

هـم حاولوهـا لأغـراضٍ مُذَمَّمَـةٍ   حتّـى إذا سُـعِّرَتْ كـانوا لهـا حطبـا
جـزاء مـا قـد أظلّتـه الـبلادُ ومـا   أضـفتْ علـيهم بـه أثوابهـا القُشُـبا
عـارٌ عـلى صـفحةِ التـاريخ قيلتـهُ   ولطخـةٌ في جبـينِ المجـدِ مـا كتبـا
حسبُ ((الحسين)) الذي لاقاه مغترباً   مـن الشـآم ومـا لاقـاه محتربـا
هـذا نتـاجُ شـعورٍ جـاش جائشُـهُ   راعوا عواطفَ هذا الشعب يا غُرَبـا
أمّا العـراقُ فقـد غصّـتْ ((مطاعِمُـهُ))   فاسـتطعموا بعـده بـيروتَ أو حلبـا

ضاقتْ بها لَقيَتْ منهم مواطِنُهُمْ لكنّما موطني من ذلةٍ رَحُبا

***

وقيعةٌ بين شعبٍ هادىء وجدوا كفواً لها ساقطَ الأخلاقِ فانتدبا

ما كان يعلمُ لمّا أن أهاب به شيطانهُ أنْ يجُرَّ الويلَ والحربا

حتّى إذا صَوَّحَتْ آمالُه ورأى أنّ الأماني التي غرّته عُدْنَ هبا

عضَّ النواجذَ من غيظٍ فما نفعتْ شيئاً وأهْوِنْ به من واجدٍ غضبا

كسرتَ من شوكةِ الطاغوتِ ما عسرتْ ورُضْتَ من خُلُقِ الجبّارِ ما صَعُبا

لا رحمةٌ لغَويٍّ في الضلال هوى ولا لعاً لُمجِدٍّ في الشقاقِ كبا

مشى يظنُّك كالماضين ذا خَوَرٍ حتّى إذا ما راى ما لم يَرَ انسحبا

هيهاتَ في أيّ مرعى شائك سفهاً رعى ومن أي كأسٍ عَلْقَمٍ شَربا

***

وطغمةٍ جهمةِ الأحسابِ ما عرفتْ من الكتابةِ إلّا السبَّ والصَّخبا

لكلِّ ما شانَ أمجاداً وشوّهها أعدّتِ الحبرَ والأوراقَ والقَصَبا

من كلّ منتبذِ الأخلاقِ مُطَّرَحٍ لو كان عضواً لكان الذيلَ والذنبا

بغداد عام ١٩٢٧

الوطن والشباب



أتــت زُمَــراً فهـــدَّدت الـــبلادا خطــوبٌ هــزَّت الحجَــرَ الجــمادا
فيــا وطنـــاً تناهبـــتِ الرزايـــا حُشاشَـــتَه وأقلقـــتِ المهـــادا
برغمـــــي أنَّ داءك لا أقيـــــه وجرحَــكَ لا أطيــقُ لــه ضــمادا
وأنْ يــرِدوا مياهَــكَ صــافياتٍ مرقرقــــةً وأنْ أرِدَ الـــثِّمادا
وأن تصــفو مــواردُهم فتحلــو لهــمْ وبنــوكَ لا يَجِــدونَ زادا

***

تــدفّقْ مــاءَ دجلــةَ فاخترقْهــا ســهولاً طِــبْنَ مرعــىً أو وهــادا
وجلّلْهــا عمــيمَ النبــتِ واخلــعْ عليهــا الحُسْــنَ وافرُشْــه وســادا
وقُــلْ للــزارع المســكين يــزرعْ ويتركــه إذا بلَــغ الحصـــادا
أراد الســوطُ أنْ نشــقى ليهنــوا ومــاضٍ حكــمُ ((ســوطٍ)) إنْ أرادا
وســيّدُ نفســه شــعبٌ ولكــنْ قضــى الفــردُ المسلَّطُ أن يُســادا
ألا ســاعٍ ولــو بخيــالِ طيــفٍ يبشّــرُ أنَّ عصــرَ الظُّلــمِ بــادا
أُخــلّانَ العبــادِ عــلى استــواءٍ لِمــن وعــلامَ أســلَمْتِ العِبــادا
رأوا في الرافــدين ثــرىً خَصــيباً يــروقُ العــينَ فانتشــروا جــرادا
ســلِ الــنشءَ الجديــدَ حــماه ربّي أيقــدِرُ أنْ يُبلّغَنـــا المـــرادا
أيقــدِرُ أن يُــري التــاريخَ ســعياً متّــى نمــرُرْ عليــه نقــلْ أجــادا
وأن يســعى لِيُصــلحها شــعوباً بنوهــا أوســعت فيهــا فســادا
فــإنَّ عــلى الوجــوه ســماتِ خــيرٍ حســاناً تكشــفُ الكُــرَبَ الشــدادا

***

مدارسَــنا احفظــى الأولادَ إنّــا وضــعنا بــين أضــلعكِ الفــؤادا
أريهــم واجــبَ الــوطنِ المفــدّى لكــيما يُحسِــنوا عنــه الجهــادا

أريهــمْ أنّنــا بــالعلم ننمــو كــما ينمــو الثـرى سُـقِي العِهــادا
أريهــم أنّنــا نبغــي رجــالاً نســود بهــا المهالــك لا ســوادا
أشــبّانَ العــراق لكــم نــدائي ومــثلُكُمُ جــديرٌ أن يُنــادى
ألســتم إن نبــا بالشــعب خطــبٌ نضــيناكمْ لــه قُضُــباً حــدادا
وحســبُ الشـعب بـالفكرِ اعتقـادا وبعــد الله بــالنشءِ اعتضــادا
لســاني نافــثٌ ســمّاً وطبعــي يلّطفُــهُ فتحســـبهُ شِــهادا
لــئنْ غطّــى عــلى كَبــدي أديــمٌ فكــم مــن جمــرةٍ كُسِــيَتْ رَمــادا

بغداد عام ١٩٢٧

نزوات

كم من سؤالٍ عميقٍ | له الدموعُ جوابُ
أمّا الفؤادُ ففيهِ | من الهُمومِ كتابُ
على اللسان تبدّى | لمّا استفاض الوِطابُ
طَفْحاً كما يتنزّى | على الشراب حبابُ

***

ما للثِقابِ ومالي | ملءُ الضلوع ثِقابُ
شعابُ قلبي أطاقت | ما لا تُطيقُ الشَعابُ
ولّى شبابٌ وماذا | رأى فيبقى الشبابُ
ضيفٌ عزيزٌ قراه | الهمُّ والاكتئابُ

***

حقيقةُ الأمر عندي | الشكُّ والأرْتيابُ
جنى عليَّ شعوري | إنَّ الشعورَ عذابُ
أمّا القوافي فجمرٌ | طوراً وشَهدٌ مُذابُ
ترضى وتغضبُ لكنْ | أرَقُّهُنَّ الغِضابُ
لا يَحْسُنُ الشعرُ حتّى | تُراضَ منه الصِّعابُ

***

أوَحْدهُنَّ فيُلغى | عن النساءِ الحجابُ
كلّ المسائل غطّى | وجوهَهُنَّ نِقابُ
إصلاحُكُم ليس يُجدي | كلُّ الأمورِ خرابُ
قلبي وبيتي وشعبي | في كُلِّهِنَّ اضطرابُ

مـــا انســدَّ للبـؤسِ بــابٌ إلاّ تَفَــــتَّحَ بـــــابُ

***

البرلمــــــانُ صــــحيحٌ يعـــــوزه الانتخـــــابُ

وفيــــــه قـــــام دويٌّ تجهلـــــه الأحـــزابُ

الجـــوعُ يُنْــذِرُ قـــومي أن يأكـــلَ الظُفْــرَ نـــابُ

ســـل دجلـــةً كيــف باتــت قصـــــورها والقِبـــــابُ

مـــا ضرَّ لـــو كـــان يومـــاً غطّـــى عليهـــا العُبـــابُ

غنّـــى عليهـــا هـــزارٌ ونـــاح عنـــدي غـــرابُ

مـــن دم قلـــبٍ كســـيرٍ ســـمنَّ هـــذي الرقـــابُ

ومـــن دمـــوعٍ حِـــرارٍ مُلِـــئنَ تلـــك العِيـــابُ

***

قـــد بـــان مـــن نقـــصِ قـــومي مـــا لا تغطّـــي الثيـــابُ

رقّـــتْ لمـــا هـــي فيـــه حتّـــى الصـــخورُ الصـــلابُ

هـــل في ســـوى الـــزيِّ منّـــا تجـــدُّدٌ وانقـــــلابُ

قـــالوا: حـــروبٌ فقلنـــا لهُـــمْ وأيـــن الحِـــرابُ؟

بغداد عام ١٩٢٧

هلموا وانظروا

ألا لا تســـألاني مـــا دَهـــاني فعـــن أيّ الحـــوادثِ تســـألانِ
بكَيت ومـا عـلى نفســي ولكـنْ عـــلى وَطَـــنٍ مُضـامٍ مُســـتَهانِ
عـلى وَطـن عجيـفٍ لـيس يقـوَى عـــلى نُـــوَبٍ مُسلْسَـــلةٍ سِـــمانِ
تظـــنُّ زعـــانفٌ- والظـــنُّ إثـــم- بـــأنّي لا أُرامـــي مـــن رَمـــاني
أأتـــركُهُم وقـــد أغـــرَوا بأخـــذي وأنســـاهُم وقـــد غَصَـــبوا مَكـــاني
أمـــا والله لـــو لا خـــوفُ واشٍ يحـــرِّفُ عـــن مقاصِـــدهِ بَيـــاني
إذنْ لمـــلأتُ محفِلكـــم شُـــجوناً دمـــاً يبكـــي عليهـــا الرافـــدانِ
ولكنّـــي أطمِّـــنُ مـــن هِيـــاجي وأمنـــعُ أن يغـــالبَني جَنـــاني
لِحاظـــاً للعواقـــب وانتظـــارا ليـــومٍ ضـــامنٍ نيـــلَ الأمـــاني
أمـــثلي تمنعـــون عـــن القـــوافي ومـــثلي تحبِســـون عـــن البيـــانِ؟
ســـيُمنعُ مـــن طَلاقتـــه لســـاني متـــى مُنِـــعَ الظهـــورَ الفرقـــدانِ
دعـــوه إنّـــه بـــالرغم مـــنكم جـــوادٌ ســـابقٌ مـــلءَ العِنـــانِ
عريـــقٌ لـــيسَ بـــالمجهول أصـــلاً ولا يَنمـــى لآبـــاءٍ هِجـــانِ
أنـــا الصَـــبُّ الـــذي ملَـــكَ القـــوافي ولم يبلُـــغْ ســـوى عشـــرِ زمـــاني
حيـــاتي للعـــراق فِـــدىً ووقـــفٌ عـــلى وطنـــي ومُصـــلِحه كيـــاني
ولـــو سُـــئِلَ الجـــادُ لمـــن قـــريضٌ تهـــشُّ لـــه إذا يُـــروى عَنـــاني

((ولـــو أنّي بُليـــتُ بهاشـــميٍّ خُؤولتـــه بنـــو عبـــدِ المَـــدانِ
لهـــان عـــليّ مـــا ألقـــى ولكـــنْ هلُمّـــوا وانظـروا بمـن ابـتلاني))[1]

بغداد عام ١٩٢٧

---

(1) البيتان تضمين من شعر دعبل.

الخطوب

عَــدتني أن أزوركـــمُ عـــوادي فــلا تَشــجوا بكتــبكمُ فــؤادي

عجيــبٌ مـــا أرتنيـــه الليـــالي وأعجــبُ منــه أن سَــلِمَ اعتقــادي

بأيســـرَ مـــن أذاي ومـــن شَــكاتي رمـى النـاسُ ((المعـرّي)) بارتـدادِ

ومـــا في هِمَّتـــي قِصـــرٌ ولكـــنْ قــدحتُ مطــالبي فكبــا زنــادي

ســـلِ الأيّـــامَ مـــا أنكـــرنَ منّـــي كــريمَ الخِــيم أم شرفَ الــوِلادِ[1]

أرقُّ مـــن النســيم الغــضِّ طبعــي وأحمِـــلُ مـــا يشـــقُّ عـــلى الجـــادِ

فيــا نفســي عــلى الحســرات قــرِّي فــأين مُــراد دهــركِ مــن مــرادي

ولا تـــرِدي مـــواردَ صـــافياتٍ إذا مـــا كـــان حـــتماً أن تــذادي

***

أينكـــرُ إلفتـــي حتّـــى صـــحابي وتنبـــو الأرضُ بي حتّـــى بـــلادي

ومـــن عجـــب تضـــيّعني وذكـــري تـــردّده المحافـــل والنـــوادي

أيـــدري مـــن يردّدهـــا حســـاناً خـــلاءً مـــن زِحـــاف أو ســـنادِ

---

[1] الخيم: السجية.

تناقَلُهـــا الـــرُّواةُ بكـــلِّ فـــجٍّ وتُهـــديها الحـــواضرُ للبـــوادي

بـــأن الشـــعرَ تشـــرب مـــن عيـــوني قوافيـــه وتأكـــلُ مـــن فـــؤادي

بغداد عام ١٩٢٧

شهيد العرب

(الشريف حسين بن علي)

وطنـي الغضـيضُ إهابُـهُ أصــبو لـــه وأهَابُـــهُ

خُضْـرُ الحقـولِ طَعامُـهُ والرافـــدانِ شَرابُـــهُ

حـبُّ القلــوب رمالُــهُ كُحْـلُ العيــون تُرابُـهُ

إن ســاءَ مبـدأُ مــوطني فعَسَـــى يَســرُّ مآبُـــهُ

لم يُبــقِ فيـــه بقيَّـــةً ظُفْـــرُ الزمـــانِ ونابُـــهُ

بيـــد الظــروفِ دَنيَّـــةٌ أُلعوبـــــةٌ أحزابُــــــهُ

وعـــلى رَحــى تفريقــه مطحونـــــةٌ ((أقطابُـــهُ))

شـــعراؤُهُ متكـــالبو نَ ومــــثلهم كُتّابُــــــهُ

هيهــاتَ يـنهضُ مــوطنٌ حُــبُّ التقسّــمِ دابُــهُ

سَـحَقَ الزمـــانُ رؤوســه فترأَّسَـــــتْ أذنابُـــــهُ

فـــإذا نبَـــا دهــرٌ بـــه فحُماتـــــهُ نُهّابُـــــهُ

***

تبغـــي الســفورَ نســاؤهُ وعـــلى الرجـــال حِجابُـــهُ

ضـجَّت جُيـوبُ الأجنبـيّ بـــه وضـــجَّ ((وطابُـــهُ))

مـن طـول مـا امـتلأتْ بـه أكراشُـــــه وعِيابُـــــهُ

وابـنُ الـبلادِ عـلى الكفـافِ يطـــولُ فيـــه حِســابُهُ

تبكـــي لـــنقص الساكنيـــ نَ قصـــوره وقِبابُـــــهُ

ومـــن المذلَّـــةِ حُمِّلَـــتْ مـــا لا تُطيـــقُ رقابُـــهُ

***

مـــضَّ العتـــابُ بـــه وذو الشــكوى يُمِـضُّ عِتابُـــهُ

والشـاعرُ الغَضـبانُ أعـذرُ ... مـا تكـونُ غِضـابُهُ
الموجعـاتُ حسـانهُ ... والمُبكيـاتُ عِذابُـهُ
لـو لم يُنفّـه بالقريـض أودَتْ بـهِ أوصـابُهُ
قلبـي وشِـعري سـالَ مـن ... هـذا وذاكَ مُذابُـهُ

***

حـيَّ الشـبابَ تناهضُـوا ... فخـرُ العـراق شَـبابُهُ
بهِـمُ ازدهـتْ نهضـاتُهُ ... وبهـمْ سَـمَتْ آدابُـهُ
صُـونوا القضـيةَ إنّهـا ... سِرٌّ وأنـتمْ بابُـهُ
أمـا السـؤالُ ((فقـبرصٌ)) ... ((وأبـو علـيّ)) جَوابُـهُ
البـرُّ ضـاقَ فسـيحهُ ... والبحـرُ جـاشَ عُبابُـهُ
يـومَ اسـتقلّتْ بالمليـكِ أبي الملـوك رِكابُـهُ
يـا نازِحـاً عَـودُ الكرامـة عـودهُ وإيابُـهُ
هـذا كتابُـكَ والفتـى تاريخُـهُ وكتابُـهُ
اللهُ يعـرفُ مـا أتيـتَ وبيتُـهُ وشِـعابُهُ
وأخـو المتاعـبِ لا يضـيعُ سـدىً ولا أتعابُـهُ
سـيّانِ شَـهْدُ الـدهرِ عنـد العـاملين وصَـابُهُ
ولعـزّة الأوطـان هـان علـى ((الشـهيد)) مُصـابهُ
وبقـدر مَسـعى الطـالبينَ لـه يكـونُ طِلابُـهُ
أمـرٌ جليـلٌ بالتقـاعس لا تُـراض صـعابُهُ

***

مـا للفـؤادِ وُعـودهُ ... طالـتْ فطـالَ عَذابُـهُ

واذا تغالـــب والرجـــاءُ فيأسُـــهُ غلّابُـــهُ
والـــدهرُ يُنبـــىء أنَّ أحـــزانَ الـــوَرَى أطرابُـــهُ
ظمآنـــةٌ لا تمـــتلي مـــن عَـــبرةٍ أكوابُـــهُ

***

وطنـــي وفـــوق الـــذّنبِ كـــان جـــزاؤه وعِقابُـــهُ
بشـــرَّتُهم بعـــمارهِ إذ قيـــلَ تـــمَّ خَرابُـــهُ
مُلـــكٌ أريـــدَ ((دمـــارُه)) فتعجَّلـــتْ أســـبابُهُ
قَلـــبُ السياســـة لا تـــرقُّ عـــلى الضـــعيفِ صِـــلابُهُ

بغداد عام ١٩٢٧

النفثة

السَّلمُ لا يُجدي بيوم الكفاحْ ... فاستقبلِ الأيامَ شاكي السلاحْ
واغتنمِ العمرَ وساعاتِهِ ... فإنّها تمرّ مرَّ الرياحْ
حسبُك فيها قد بقي عِبرةٌ ... لا يَرُح اليومُ إذا الأمسُ راحْ
آهٍ على الفُرصةِ ضيعتَها ... والآن إذ تطلبُها لا تُتاحْ
بالعزم نِلْ يا شرقُ ما لم يُنَلْ ... فالغربُ قد طار بهذا الجَناحْ
لا تكُ مهما اسطَعْتَ رِخو الجماح ... واستنزلِ الدّهرَ على الاقتراحْ
يكفيك ما كابدتَ من ذِلَّةٍ ... الملكُ قد فُرِّق والعرش طاحْ
هلاّ إلى مَكْرُمةٍ خُطوةٌ ... يا شرقُ يا ذا الخُطُوات الفِساحْ

***

يا أُمةً أعمالُها طفرةٌ ... بُشراكِ قد أنتجت قبل اللِّقاحْ
سائمةُ الحيّ اطمأنّتْ به ... مرعىً خصيبٌ ونميرٌ قراحْ!
الجدُّ ما تُضمر من طيّةٍ ... وكلُّ ما نُعلن عنه مزاحْ
نُحتُ وغنّيتُ ولا ميزةٌ ... قَبْليَ كم غنّى هزارٌ وناحْ
لا غروَ أنْ سال قصيدي دماً ... فإنَّ قلبيْ مثخنٌ بالجراح
يا ظُلمةً قد طبّقتْ موطني ... دومي: فشعبي لا يُريد الصّباحْ
الشؤم قد أوهم أوطاننا ... أن ليس يُجدي المرءَ إلّا النّياحْ

مــــا لـــبلادي فظّـــةٌ روحُهــا بعيـــدةٌ عـــن هـــزَّةِ الارتيـــاحْ
مـــن لي بشـــعبٍ واثـــقٍ آمـــنٍ غُـــدُوُّهُ لغايـــةٍ والـــرَّواحْ
قـــد فَـــوَّضَ الأمـــرَ لشُـــبانِهِ فكُلّلَـــتْ أعمالُـــهُ بالنجـــاحْ
تَوجَّـــه الـــوعيُ بألطافـــه بِشـــراً كـــما تُـــوّجَ زهـــرُ البِطـــاحْ

بغداد عام ١٩٢٧

غازي

ولي العهد الأمير ((غازي بن فيصل الأول))

سهولُ العراق وكثبانُهُ ورَوحُ العراقِ وريحانُهُ
ودجلةُ خمراً وشَهْداً تسيلُ وزهوُ الفُراتِ وطُغيانُهُ
وصَفصافهُ وظِلالُ النخيلِ على ضفَّتيه ورُمانُهُ
تحييكَ جذلانةً طلقةً وخيرُ الهوى الصِدقِ جذلانُهُ
تكاد لـ((لندنَ)) شوقاً تطيرُ لترجعَ بالضيف ((بَغدانُهُ))
ولو تستطيعُ نُهوضاً سَعَت قُراه اللطافُ وبُلدانُهُ
يحييك ((فخرَ شبابِ العراقِ)) شِيبُ العراق وشُبَّانُهُ
قدومُك ((غازي)) يزَين الأوانَ وكم قادمٍ زانَه آنُهُ
على حينَ عَجَّت لنأي المليكِ حُداةُ البيانِ ورُكبانُه[1]

***

سلمتَ فهذا أوانُ القَريضِ ويومُ الشُّعور ومَيدانُهُ
وما أنا من سِيمَ في شعرهِ ولا أنا من ضِيمَ وجدانُهُ
ولكنّه نَفَسٌ طاهرٌ قديمُ القصائد بُرهانُه
((حسينٌ)) و((قبرصُه))يعرفانِ و((عبدُ الإله)) و((عمّانُهُ))
من الشاعرُ المستثيرُ الشجونَ إذا هزَّت الصدرَ أشجانُهُ
إذا ما ((دواويننا)) نُشِّرت فكلٌّ وما ضمَّ ((ديوانُهُ))
فديتُك خلِّ الأسى راقداً فقد يقتُلُ المرءَ يقظانُهُ
ولا تَستَثِرْ شاعراً إنّه مخوفٌ إذا جاشَ بُركانُهُ
فلو كلُّ ما الحرُّ يدري يقول، لضاقَتْ على الحرِّ أوطانُهُ

---

[1] إشارة الى خبر سفر الملك فيصل إلى لندن للإشراف على مفاوضات سنة ١٩٢٧.

لقـــد فَقَـــدَ العُــرْبُ حريـــةً   كــما الـــروحُ خــلاّه جُثمانُـــهُ
زمانُ الوفـودِ مَضـــى وانقضـــى   ومـــا قـــال كِســـرى ونُعمانُـــهُ
وإذ ســـيِّدُ العَـــرَبِ الأولـــينَ   يُـــتمِّمُ بالســـيفِ نُقصـــانَهُ
وهـــذا زمـــانٌ يُلـــينُ اللســـانَ   عـــلى وغَـــر القلـــبِ إنســـانَهُ

***

أريـــدُ سرورَكَ والقلـــبُ فيـــه   مـــا لا يَســـرُّك إعلانُـــهُ
مليـــكٌ وتكفيـــهِ أتعابُـــه   وشـــعبٌ وتكفيـــه أحزانُـــهُ
فحـــدِّثْ فقـــد أذِنـــتْ بالسَّـــماع   لحلـــو حـــديثِك آذانُـــهُ
عـــن العلـــم في الغـــربِ مـــا بالـــهُ   وعـــن رجـــلِ الغـــرب مـــا شـــانُهُ
وهـــل في الشـــدائد أحقـــادهُ   تُعـــينُ عليـــه وأضـــغانُهُ
وهـــل للدسيســـةِ بـــين الصـــفوف   تلاقَـــت.. تُســـخِّرُ أديانُـــهُ
تبـــاهى بمثلـــك أكفـــاؤهُ   ولاةُ العهـــودِ و((أقرانُـــهُ))
وحســـبُك مُنطلقـــاً منشـــأٌ   نشـــأتَ وضـــمَّتْكَ أحضـــانُهُ
رعايـــةُ جـــدِّك نـــورُ النَّبـــي   وبيـــتُ الإلـــهِ وأركانُـــهُ
ولا خـــيرَ في الملْـــكِ مـــا لم يُشَـــدْ   عـــلى أُســـسِ العِلـــمِ بُنيانُـــهُ

بغداد عام ١٩٢٧

في الطيارة أو على أبواب المفاوضات

حيّـاك ربُّـك غاديـاً أو رائحـا مستسـهلاً نَهْـجَ الهدايـةِ واضـحا

أمـواجُ دجلـةَ والفـراتِ تـدفَّقا عَـذْباً فراتاًعـاد بعـدك مالحـا

أيّامُنـا بـك كلّهـن سـوانحٌ ومتَى تشأْ- حوشيتَ- كُنَّ بوارحـا

لـولاك مـا كـان العـراقُ وأهْلُـهُ إلّا قطيعـاً في فـلاةٍ سـارحا

سُسْـتَ الحـوادثَ بالرويّـة جاهـداً وحملـتَ أعبـاءَ الخطـوبِ فوادحـا

وأذَبـتَ نَفْسَـكَ في رياضـةِ مـوطنٍ لـولا جهـودك كـان صـعباً جامحـا

لُقِّيـتَ أصلـحَ غايـةٍ يـا مـن سـعى لله والأوطـانِ سـعياً صـالحا

في ذمّـةِ الـوطنِ المفـدّى أن تُـرى مُتغرّبـاً وعـن المـواطن نازحـا

***

عَرَفَتْـك أقطـاب السياسـةِ سـاهراً بهمومـه ولخـيرِ شـعبكَ كادحـا

((باريسُ)) تعرِفُ ثم ((لنـدنُ)) موقفـاً خُضْـت السياسـةَ فيـه لجُـاً طافحـا

و((التـاجُ)) إذ نَقَمـتْ عليـه عِصـابةٌ قـامرْتَهُمْ فيـهِ فكنـتَ الرابحـا

***

مـولايَ ثـقْ إنَّ الجـوانحَ ثـرَّةٌ بـولاء عرشِـكَ مـا بقـينَ جوانحـا

سر واثقـاً بجهـاد شـعبٍ طـامحٍ ولقـد يسـرُّكَ أن تـراه طامحـا

قـل إن أتيـتَ مـن ((الحليفـة)) دارَهـا ولقِيـتَ شـعباً للشـعوب مكافحـا

((شـعبي)) وفي كفّـي نجـاحُ مصـيرهِ يرجـو ويأمـلُ أن يـرانيَ ناجحـا

شـعبي يُريـد الرافـدين لنفسـه لا أن يكـونَ ((الرافـدان)) منائحـا

يشـنا عـلى العـذبِ الفـراتِ مُنافقـاً ويحبُّ في السمِّ الزُّعـافِ ((مُصـارِحا))

((كـوني)) لـه الخِـلَّ النصـيحَ سريـرةً وجَهـارةً تجديـهِ خِـلَّا ناصـحا

كـيما تصـان مصـالحٌ لـكِ عنـده ((صـوني لأبنـاء العـراق مصـالحا))

((مـولايَ)) عاطفـةُ الأديـب وشـعرُهُ كالزَّنـد يـوري إنْ يصـادفْ قادحـا

عاشـتْ بـرغم ((الظـالمين)) قريحتـي ولكـم أمـات ((الظـالمون)) قرائحـا

مـدحَ الملـوكَ ((الشـاعرون)) وإنّـما أفرغـتُ ((قلبـي)) للمليـك مـدائحا

في ظـلّ مغنـاك الكـريمِ ولطفِـهِ أبداً أُجيدُ ((خواطراً)).. و((سـوانحا))

بغداد عام ١٩٢٧

على سعد

(وفاة سعد زغلول)

قم والتمسْ أثـرَ الضـريحِ الزاكـي ... وسلِ ((الكِنانةَ)) كيف مـاتَ فتـاكِ

وسلِ ((الكِنانةَ)) من أصابك غِـرّةً ... واسـتلَّ سـهمَك غيلـةً فرمـاكِ

أهـرامَ مصـرَ وقـد بنـاكِ لغايـةٍ ... ((فرعونُ)) ذو الأوتـادِ حين بنـاكِ

علموا بأنْ سَتُداسُ مصـرُ ومـا بها ... حتّـى قبـورُ المـالكين سـواكِ

فاستوطنوكِ وحَسْبُ أرضِكِ ميزةً ... أن لم يَـرَوْا ثقـةً بغـير ثَـراكِ

تـاريخُ مصـرَ عـلى يـديك يعيـده ... من جانبيكِ صدى السنينَ الحاكي

***

((زغلـولُ)) ضُـمّيه إلى آبائـه ... ((وفؤادُ مصرَ ضعيه في أحشاكِ))

لا تهمليـه واذكـري أتعابـه ... وثقـي بسـعدٍ فهـو لا ينسـاكِ

روحٌ عـلى الفـردوسِ رفَّـتْ حـرّةً ... وتقمّصـتْ مَلَكـاً مـن الأمـلاكِ

حَمَلَـتْ ومـا حَمَلَـتْ إلى أوطاننـا ... غـيرَ المناحـةِ هـزّةُ الأسـلاكِ

***

يـا روحَ سـعْدٍ قـد خـبرتِ بـلادهُ ... بـالله قُصّـيها لمـن سـوّاكِ

واذا رأيـتِ النيـلَ يَزْخَـرُ موجُـهُ ... قـولي بعينـكَ شـجوُ هـذا البـاكي

قـولي بعينـك وردةٌ مـا تنقضـي ... آلامُهـا مـن وخـزةِ الأشـواك

مصرٌ يداكِ على ((العـراقِ)) عزيـزةٌ ... أبمنظـرٍ منـه تُشـلُّ يـداكِ؟

يُسـراك من طـولِ الملاكمـة انبرتْ ... وبمـوتِ سـعدٍ تنـبري يُمنـاكِ

عاشـت بلُحْمَتِـكِ السـنينُ ولم تُطِـقْ ... -لله درُّكِ- عيشـةً بسَـداكِ

هـزوا لتجربـةٍ قُـواك وسـاءهم ... بعـد العنـا ألاّ تخـورَ قُـواكِ

روحُ المفاداةِ الكريمةِ علّمتْ أبناءَكِ الأغيارَ صَوْنَ حماكِ

شِيَعٌ تموجُ تزاحماً حتّى إذا نزل البلاءُ تضامنتْ لبقاكِ

وهَبِي: بَنُوكِ قَضوا لأجْلكِ كلُّهم عاشت بناتُك حاملاتِ لواكِ

يا موجةَ النيلِ احملي تيّارهُ علّ ((العراقَ)) تهزُّهُ عدواكِ

ماشي العراق بيومه فلطَالما تاريخُه بسِنينه ماشاكِ

وطنٌ مريضٌ زاد في آلامه ألّا يكونَ على يديه شفاكِ

وتَسمّعي أنّ القلوبَ تفطّرتْ من أنّةِ الزرّاع والمُلّاكِ

عربُ الجزيرةِ هامدون كأنّهم لم يُبْتَلوْا أبداً بيومِ عراكِ

لا يطلبون سوى ارتخاءِ قُيودِهم أتُراهُمُ لم يطمعوا بفكاكِ؟

هذه الطيورُ البيضُ أين مَفَرّها ستُّ الجهاتِ رُصِدْنَ بالأشراكِ

***

يا سعدُ أمّا موطني فمهدَّدٌ إن لم يُعَدْ بنيانه - بهلاكِ

يا سعدُ أبلغُ من قصيدةِ شاعر يبني القوافي فيكَ دمعةُ شاكي

يا سعدُ ما قدري وقدرُ نياحتي كلُّ البلادِ نوائحٌ وبواكي

بغداد عام ١٩٢٧

جائزة الشعور

نادمـــتُ خُـــلّانَ الأســـى وسُـقِيتُ مـن كـأسٍ دِهـاقِ

مثلَ اصطباحي مـن كـؤوسِ الهـمّ والألم اغتبـــاقي

هــذي النُفـوسُ الشـاعراتُ تلــذَّذتْ بـــالاحتراقِ

غنَّيــتُ نفســي إذ رأيــتُ نفوسَــها غنَّــت رفــاقي

كـــلٌّ يقـــول أنـــا أحـــوزُ السـبقَ في يـــوم السـباقِ

مـــالي أنـــوحُ عـــلى ســـواي وميِّتـــي رهـــنُ الســـياقِ

ســـاقي المــدام إذا قَضَـــت هـــذي الــبلاد فأنـــتَ بـــاقي

روحـــي وروحُ الشـــعرِ والأوطـــانِ كـــلٌّ في التراقـــي

كـــلُّ الـــبلاد سَـــعت لتُصـــلِحَ شـــأنَها إلّا عراقـــي

صَـــدْعَ الزجـــاج تصـــدَّعَ اســـتقلالُنا بيـــد النِفـــاقِ

***

شـــتّانَ في مـــا أرتثيـــه مَـــذاقُ صـحبي مـن مَـذاقي

حَلَبـــات آدابِ العـــراقِ بَكَـــت عـــلى الخيـــلِ العِتـــاقِ

لم يبـــقَ لي غـــيرُ المُخاتِـــل والمُنـــافقِ والمُتـــاقي

أفٍّ لهـــا مـــن أوجـــهٍ -قـــابلْنني- ســـودٍ صِـــفاقِ

أمّـــا غِنـــايَ فظـــاهرٌ محـــضٌ كأُغنيـــة السّـــواقي

تتكسّـــرُ النَـــبراتُ في الأشـــعارِ مـــن ضـــيقِ الخِنـــاقِ

نَزفـــت دمـــوعُ العـــين ثـــمّ تحجّـــرت هـــذي المـــآقي

ولكثـــرة البـــاكين ضـــاعَت حرمـــةُ الـــدمع المُـــراقِ

***

هــذا بيــاني تعرِفــون الــروحَ فيــه مــن السِــياقِ

يــا رقّــةً في الطبــع بــا نَــتْ بــين أبيــاتٍ رقــاقِ

أنــتِ التــي هوَّنــتِ مــن هــذي الشــدائدِ مــا أُلاقــي

وأنــا المــدينُ لمهجــةٍ حمَّلتُهــا غــيرَ المُطــاقِ

آلامَ أيـــامٍ مَضَـــينَ وخــوفَ أيــامٍ بــواقي

أمّــا التمــردُ في شــعوري فهــو مــن أثَــرِ الوثــاقِ

أحييـــتُمُ نَفْســاً أردتُــمْ مَوتَهـــا بالاختنـــاقِ

لا تقتضـــي تلــك الخشــو نــةَ بعــضُ أبيــاتٍ رِقــاقِ

مــاذا تُرَجّــي ((فــاركٌ)) مــن بعــد حادثــةِ الطَــلاقِ

مــا سرّهــا لقيــاكمُ فيســوؤها وقــعُ الفِــراقِ

***

قــم يــا ((جميــلُ)) فحــامِني يــا حــاميَ الأدبِ العراقــي[1]

يـــا مـــن بشـــعرِكَ ظَنَّتِ الأقوامُ أنَّ الشَعبَ راقــي

قــبلي بأحجــارٍ رُشِــقتَ لقــاءَ هاتيــك الرشــاقِ

تلــك العــرائسُ كــم لَقَــت ضــيماً وهُــنَّ بــلا صَــداقِ

أوَ بعــــدَ ذا يتشــــدَّقونَ بقـــرب دَورِ الإنعتـــاقِ

بغداد عام ١٩٢٧

---

[1] هو الشاعر جميل صدقي الزهاوي.

من لندن الى بغداد

قيلت بمناسبة رجوع الملك فيصل الأول من مفاوضات في لندن لعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا

حياكَ ربُّكَ من ساعٍ بسرّاءِ ... يلقى الوفودَ بوجهٍ منهُ وضّاءِ
فاضت أساريرهُ بشراً فما وَقَعتْ ... منهُ العيونُ على كدٍّ وإعياءِ
لله يومُك مشهوداً بِرَوْعَتِه ... تهزّ داني بلادِ الله والنائي
في محفلٍ حَجَبَ الأبصارَ موكبُهُ ... فليس يُحسَدُ إلّا الناظرُ الرائي
هذي الوفودُ وفود الشعبِ حاملةً ... إليكِ إخلاص آباءٍ وأبناء
هابُوا جلالتك العُليا فما نَطَقُوا ... حَرْفاً ولا سَلَّموا إلّا بإيماءِ
للنَصرِ فوقَك أقواسٌ نوافذُها ... ترمي سويداءَ حُسادٍ وأعداءِ
بغدادُ مثلُ قلوبِ المخلصين لكم ... تُزْهَى بشُعلة أنوارٍ وأضواءِ

***

أنتَ الطبيبُ لشعبي والدواءُ له ... وأنتَ شخَّصتَ منه موضعَ الداءِ
يدٌ من اللطف غرّاءٌ ولا عجبٌ ... كم من يدٍ لكَ قد أسلفتَ غراءِ
كم موقفٍ مثلِ حدِّ السيف ذي زَلَقٍ ... فَرَّجْتَهُ بين إصباح وإمساءِ
أذيّةٌ في جهادٍ نِلتَها طرَبا ... وهل جهادٌ بلا مسٍّ وإيذاءِ
في ذمّةِ الله ما لا قيتَ من نَفَرٍ ... من الأجانب عُبّادٍ لأهواءِ
الله يُجزي مهازيلاً ضمائرهُم ... مأجورةٌ بين إطراءٍ وإزراءِ
يسوؤهم أن ترى في زيّ مُضطلعٍ ... بثِقل شعبٍ لما يُصميه أبّاءِ
لو يقدرون أدالوا كلَّ ظاهرةٍ ... وبدَّلوا كلَّ نعماءٍ بغماءِ
هزّوا العراق بما اسطاعوا فما أخذتْ ... منه تَضاربُ أنباءٍ بأنباءِ
كانوا وما أمّلوا من زُخرُفٍ سفهاً ... كمن يَخُطّ الذي يهوى على الماءِ
مررتَ باللغوِ مرَّ الهازئين به ... بأُذْنِ حُرّ عن الفحشاءِ صمّاءِ

حراجـةٌ بـالكريمِ الحـرِّ موقفُـهُ   حَـيرانَ مـا بـين قـومٍ غـيرِ أكفـاءِ
إنْ يهمـزوك بإرجـافٍ فقـد بُليـتْ   كُـلُّ الشـعوبِ بهـمّازٍ ومشّـاءِ
هـوّن فـما قـام هـدّامٌ بمعولـهِ   إلّا وقـام عليـه ألـفُ بنّـاءِ
يأبى شـعوري أن يلقـاك عـن كثـبٍ   إلّا بقافيـةٍ تأتيـكَ غـراءِ
مُرحِّبـاً بـك في طياتهـا نَفَـسٌ   كنسـمةِ الفجـرِ قـد طُلَّـت بأنـداءِ

بغداد عام ١٩٢٧

ثورة الوجدان

سَكَتُّ حتَّى شَكَتني غُرُّ أشعاري واليومَ أنْطِقُ حُرّاً غيرَ مهذارِ

سلَّطتُ عقلي على مَيلي وعاطفتي صَبْراً كما سَلَّطُوا ماءً على نارِ

ثُرْ يا شُعورُ على ضَيْمٍ تُكابدُهُ أوْ لا فلستَ على شيءٍ بِثَوّارِ

وقَّعْتُ أُنشودتي والحزنُ يملؤها مَهابَةً ونياطُ القلبِ أوتاري

في ذِمَّةِ الشِّعْرِ ما ألقى وأعظَمُهُ أنّي أُغنّي لأَصنامٍ وأحجارِ

الشعبُ شعبي وإن لم يرضَ مُنتبَذٌ والدارُ رغمَ ((دخيلٍ)) عابَني داري

لَوْ في يدي لَحَبستُ الغيثَ عن وطنٍ مُسْتسلمٍ وقَطَعتُ السلسلَ الجاري

ما عابني غيرُ أنّي لا أمُدُّ يداً إلى دنيءٍ وأنّي غيرُ خوّارِ

***

العُذْرُ يا وطناً أغليتُ قِيمَتَهُ عَنْ أنْ يُرى سِلعةً للبائعِ الشّاري

الكُلُّ لاهونَ عن شكوى ومَوجِدةٍ بما لَهُمْ من لُباناتٍ وأوطارِ

وكيفَ يُسمَعُ صوتُ الحقّ في بلدٍ للإفكِ والزُّورِ فيه ألفُ مِزمارِ

يا أيُّها السائحُ المُجتازُ أوديةً مشى الربيعُ عليها مشيَ جبّارِ

مَرَّ النسيمُ على أكنافِها فَذَكَتْ كأنّما جُرَّ فيها ذَيْلُ مِعطارِ

مَحّصْ بِعَينَي نزيهٍ غيرِ ذي غَرضٍ حالَ العراقِ وخلّدهُ بأسفارِ

إنَّ القصورَ التي شاهدتَ، قائمةٌ على أساسٍ من الإجحافِ مُنهارِ

خَلِّ الخُوانَ وإن راقَتْ مَطاعمُهُ وبِتْ بليلةِ ذاكَ الجائعِ العاري

وانظر إلى الكوخِ قد بيعتْ دعائمُهُ وحَوَّلُوها لأقراطٍ وأسوارِ

واخشَ الدخيلَ فلا تَمدُدْ إليه يَداً فإنَّه أيُّ نَفّاعٍ وضرّارِ

صرفَ الدراهمِ باعوا واشتروا وطني فكلُّ عشرةِ أميالٍ بدينارِ

وطغمـةٍ مـن دُعـاةِ السُّـوءِ سـاقطةٍ ليسـتْ بشَـوكٍ إذا عُـدَّتْ ولا غـارِ[1]
تـروي وتَظْمـأُ لا تلـوي عـلى نَصـفٍ ولم تُوَكَّـلْ بـإيرادٍ وإصـدارِ
في كُـلِّ يـومٍ بأشـكالٍ وأنمطـةٍ وكُـلِّ آتٍ بهيئـاتٍ وأطـوارِ
مـأجورةٍ لم تَقُـمْ يومـاً ولا قَعَـدتْ إلّا عـلى هَتْـكِ أعـراضٍ وأسـتارِ
عَـوَتْ فجاوبَهـا أمثالُهـا هَمَـجٌ مِـنْ كـلِّ مستصـرَخٍ للِغـيّ نَعّـارِ
يُحصـونَ تـاريخَ أقـوامٍ وعنـدهمُ صـحائفٌ مُلِئـتْ بـالخزي والعـارِ
لجّـوا عـلى أنْ يزيـدوا كـلَّ ثـائرةٍ تسـعيرةً وأصرُّوا كـلَّ إصرارِ
أيـن المسـاميحُ بـالأرواح إن عَصَـفَتْ هوجـاءُ تُنـذِرُ أوطانـاً بإعصـارِ
يـا للرجـالِ لأوطـانٍ مُوَزَّعـةٍ في كـفِّ كـلِّ مُهـانِ الـنفسِ دعَّـارِ
شَـلَّتْ يـدٌ عبِثَـتْ في أُختهـا وكبَـتْ رجـلٌ إلى نفسـها تسـعى بـأضرارِ
مـاذا السُـكونُ ألا تَهتـاجُ نخـوتكُمُ أنَّ العُروبـةَ قـد حُفَّـتْ بأخطـارِ؟

بغداد عام ١٩٢٨

---

[1] الغار: نوع من الشجر واحدته: غارة.

لولا

الـــروحُ أشْـــقَتْني وجُـــلَّ صَـــحابتي   مـــا أشـــقتِ الشـــعراءَ الا الـــروحُ
تُوسـى الجـروحُ ولـيس يُوسـى شـاعرٌ   بصـــــميم إحساســـــاته مجـــــروحُ
في القلـبِ مـن أثـرِ الهُمُـومِ وَ وَسْـمِها   سِـــمةٌ عـــلى الـــنَّفَسِ الحـــزينِ تلـــوحُ
فَنِيَـــتْ قـــوافٍ مـــا قـــرحن وإنّـــما   خَلَدتْ بذكرى ((ذي القروح)) قروحُ[1]
ولكَـمْ طَرِبـتُ فـما أجـدتُ وحَسْـبُكم   أنّي أُجيـــدُ الشـــعرَ حـــين أنـــوحُ
أمّـــا التبـــاريحُ الحـــرارُ فإنّهـــا   للـــنَّفْس ممـــا تشـــتكي تـــرويحُ
يـا موطنـاً عَـزّت بـه ((خرطوشـةٌ))   ذُلّا وهـــــانَ دمٌ لـــــه مســـــفوحُ
لـــولا اتقـــاءُ رواصـــدٍ مبثوثـــةٍ   هتكـــتْ مُتـــونَ الُمجمـــلاتِ شروحُ
ولقـــد يَحـــسُّ الشـــاعرون بـــأنّهم   عـــبءٌ عـــلى أوطـــانهم مطـــروحُ

بغداد عام ١٩٢٨

[1] ذو القروح: امرؤ القيس.

ضحايا الانتداب

(الشهيدان)

سلِ الأخوين معتنقين غابا | لأيةِ غايةٍ طَوَيا الشبابا
وعن أيّ المبادئِ ضيَّعوهُ | دماً لم يألُهِ الناسُ اطّلابا
أللأوطانِ وهي تَعِجُّ شكوى | كعهدهما وتصطخبُ اصطخابا
ولو كَدَميهما سالت دماءٌ | محرَّمةٌ لما رأت انقلابا
على الأخوين معتنقين صفّاً | كما صفَّفتَ أعواداً رِطابا
عَتَبتُ وغايةٌ في الظُلمِ أنّي | أحمّلُ فوق ما لقيا عتابا
أدالَ اللهُ من بيتٍ مُشادٍ | على بيتٍ يخلّفهُ خرابا
ولا هَنأتَ بما لَقيت أناسٌ | على قبريكما رَفَعوا القِبابا
مشى نعشٌ يجرُّ وراه نعشاً | سحابٌ مُقلعٌ قفّى سحابا
وناحتْ خلفه أشباحُ حُزنٍ | يُخفّي نطقُها الألمَ اكتئابا
بعين الله منتظرينَ أوباً | بما يُبكي الصخورَ الصمَّ آبا
دمُ الأخوين في الكفَنَين يغلي | خطابٌ لو وَعى قومٌ خطابا
سيعلمُ من يخال الجوَّ صفواً | بأنَّ الجوَّ مملوءٌ ضبابا
ومن ظنَّ المجالسَ عامراتٍ | بمدحٍ أنّها شُحِنَتْ سِبابا
ويعرفُ من أراد صميمَ شعبي | رَميّاً أيَّ شاكلةٍ أصابا
ويُدركُ أينَ صفوُ الماءِ عنه | وريّقُهُ إذا وَرَدَ اللصابا
ولو عَرفتْ بلادي ما أرادتْ | بها النُوّابُ لم تُردِ انتخابا

***

فلا وأبيكَ ما وَنَتِ الليالي | تُديف لموطني سُمّاً وصابا
حَذَذْنَ لقلبه ظُفراً فلمّا | وَجَدْنَ بقيةً أنشَبْنَ نابا

فيالـك موطنـاً واليـأسُ يمشـي فلـو رام الرَّجـا حُلُـماً لخابـا
أرادَ الـرأسَ لم يحصـلْ عليـه مكـابَرةً ولا لـزِمَ الـذُنابى
لمـن وإلى مَ مِـن ألم يُنـادي كَفَـاه مذلَّـةً أن لا يجابـا
وهـل طَرقـتْ يمـينُ الحـقّ بابـاً ولم تسـدد شِـمالُ الظُلـمِ بابـا

***

فـوا أسـفاً لمطّلـبٍ طلابـا يخـال المـوتَ أقـربَ منـه قابـا
وقـد تخـذوا لحـومَ بنيـهِ زاداً وقـد لبِسـوا جلـودَهُمُ ثيابـا
رَضـوا مـن صُبحِهم فجراً كِـذابا ومـن أنـوار شمسـهمُ اللُّعابـا
وقـرَّت لـلأذى منهم صُـدورٌ فسَـمَّوهُنَّ أفئـدةٌ رحابـا
وَوُقِّـرَ مـن أتـاحَ العـابَ فـيهم وقـالوا إنهـم يـأبون عابـا
لقـد طـاف الخيـالُ علـيَّ طيفـاً رأيـتُ بـه الحمامـةَ والغُرابـا
فكـان العـدلُ ممتلئـاً سـقاما وكـان الظُلـمُ ممتلئـا شـبابا
فيـا وطنـي مـن النكبـات فَـأْمَنْ فقـد وَفَّتـك حظَّـك والنصـابا
وإن خَشُـنَتْ عليـك مكاشـفاتٌ فحسـبُك أن تُجامَـلَ أو تحـابى
وإن طُويـتْ علـى دَغَـلٍ قلـوبٌ فقـد أُعطِيـتَ ألسـنةً رطابـا

بغداد عام ١٩٢٨

أيّها المتمردون

أساتذتي أهلَ الشعورِ الذينَ هُمْ ... منارِيَ في تدريبتي وعِمادي
أروني انبلاجاً في حياتي فإنَّني ... سئمتُ حياةً جُلِّلتْ بسوادِ
وما الشاعرُ الحسَّاسُ صِنوٌ لِعيشةٍ ... مكرَّرةٍ مخلوقةٍ لجمادِ
خذوا بِيدَيْ هذا ((الغريبِ)) فإنَّه ... لكلِّ يدٍ مُدَّتْ إليه مُعادي
لئن جئتُ عن أزمانِكمْ متأخراً ... فإنّي قريبٌ منكُم بفؤادي
لغيرِ زمانٍ كَوَّنَ الدهرُ نزعتي ... وكوَّنَ أعصابي لغيرِ بلادِ
وعندي منكمْ كلَّ يومٍ مُجالسٌ ... ترفُّ بها أرواحُكم ونوادي
معي روحُ ((بشَّارٍ)) وحَسبي بروحه ... تقرّبني من حكمةٍ وسَدادِ
تُعلِّمني سُخفَ القوانينَ في الورى ... وسوءَ نظامٍ لم يجيء برشادِ
وطوراً مع الشَّهم الظريف ((ابنِ هانيءٍ)) ... يراوح خماراً له ويغادي
يسجّل ما أحصت يداهُ بدقَّةٍ ... ويمزجُ منه صالحاً بفسادِ
ومن قبلُ ((للحاناتِ)) كانت ولم تزلْ ... لدى الشعراء النابهين أيادي
تعوّضهمْ عن وحشةٍ بانطلاقةٍ ... وعن يقظةٍ مذمومةٍ برُقادِ
أساتذتي لا تُوحدوني فإنَّني ... بوادٍ وكلُّ الشاعرين بوادي
ولا تعجبوا أنَّ القوافي حزينةٌ ... فكلُّ بلادي في ثيابِ حِدادِ
وما الشعرُ إلّا صفحةٌ من شَقائها ... وما أنا إلّا صورةٌ لبلادي
فلا تذكروا عيشي فإنَّ يراعتي ... ترفَّعُ عن تدوينه ومِدادي
أمرُّ من المِلح الأُجاج مواردي ... وأوجعُ من شوكِ القتادةِ زادي
تقدَّمني من لستُ أرضى اصطحابه ... وطاولني من لم يكنْ بعِدادي
وضُويقتُ حتّى في شعوري وإنَّما ... شعوريَ بُقيا عُدَّتي وعَتادي

وما لـذَّةُ الـدُّنيا إذا لم أكـن بهـا أُمتَّـعُ في تفكـيرتي ومُـرادي

وما أنـا بـالحُرِّ الـذي ينعَتونـه إذا لم يكـن في راحتَـيَّ قيـادي

أُصرِّفُـه فـيما أروم وأشـتهي وأبـذلُ فيـه طـارفي وتـلادي

ومـاذا يريـدُ النـاسُ منّـي وإنَّما ((لنفسي صلاحي أو عليَّ فسادي))

فـلا تَنشُـدوا حُرِّيـة الفكـر إنَّهـا ((ببغـدادَ)) معنـى نكبـةٍ وصـفادِ

فما كـان بشَّـارٌ بـأوَّلِ ذاهـبٍ ضـحيَّةَ جهـلٍ شـائنٍ وعنـادِ

إلى اليـوم في ((بغـداد)) خنـقُ صراحـةٍ وتعـذيبُ آلافٍ لأجـل أحـادِ

مداخلـةٌ في مجلـسٍ ومسـاربٍ وتضـييقةٌ في جيئـةٍ ومعـادِ

وخلّـوا اهتضـامَ الشـعر إنَّ حديثَـه شـجونٌ أقضَّـتْ مضـجعي وَوِسادي

خلَـتْ حَلْبـةُ الآداب إلّا هَجائنـاً ملفَّقَـةً سـدَّتْ طريـقَ جيـادِ

تشـكّى القـريضُ العـابثين بحَقلـه كما يتشـكّى الـروضُ وقـعَ جـرادِ

بغداد عام ١٩٢٨

الأدب الصارخ

ونفسٍ لاقتِ الصدماتِ عزلى وكانت وهي شاكيةُ السلاحِ

وقد كانتْ سِباخاً فاستُثيرتْ وفلَّ صميمَها وقعُ المساحي

وأفراحٍ شحيحاتٍ أُديفتْ بأتراحٍ جُبِلْنَ على السَّماحِ

أأقرَبُ ما أكونُ إلى انقباضٍ وأبعَدُ ما أكون عن انشراحِ

وشَتَّانَ اقتراحاتُ الليالي وما تبغيه منّي واقتراحي

فليتَ حوادثاً ما رفّهتْ لي نطاقَ العيش لم تحصصْ جناحي

وليت مَخابراً قَبُحَتْ دَهَتْني مجرَّدةً عن الصُورِ القِباحِ

إلى ألمٍ وعن ألمٍ مسيري فما أدري غُدوِّي من رَواحي

وما أختارُ ناحيةً لأنّي رَماني الدهرُ من كلِّ النواحي

وملءُ القلبِ إذ حبست لِساني ظروفٌ مُغرَماتٌ باجتياحي

جراحٌ لم تَفِضْ فمُلِئْنَ قَيحاً وبعضُ الشرِّ لو فاضت جراحي

رأيتُ معاشرَ الشعراءِ قبلي تعدُّ الخمر مَجلبةَ ارتياحِ

وقد أُغرِقْتُ في الأحزانِ حتّى سئمتُ مُنادمي وذَممتُ راحي

وما سكرانُ يقتحمُ البلايا كمُقتحِمِ البليّةِ وهو صاحي

***

بعينِ الشعرِ والشعراءِ بيتٌ هَتَفْتُ به فطارَ مع الرياحِ

يَهُبُّ مع الصَبا نَفَساً رقيقاً ومؤتلِقاً يطيرُ مع الصَباحِ

له من رقَّةٍ نَسَبٌ صريحٌ يمتُّ به إلى الماءِ القَراحِ

ولو في غيرِ أوطاني لجالتْ به نُظُمُ القلائدِ والوِشاحِ

وقائلـــةٍ تـــرى الآدابَ سَـــفَّت   وقـد غطّـى النُعـابُ عـلى الصُـداحِ
ومـا نفـعُ السكوتِ وقـد أُضيعتْ   حقــوقُ ذوي الجـدارةِ بالصــياحِ:
تقــــدَّمْ للقــــوافي واقتَحِمْهــــا   فقــد يُرجــى التقــدُّمُ بالكفــاحِ
أقــولُ لهــا: دعــي زَنــدي فــإنّي   أخــافُ عليــك بــادرةَ اقتــداحي
وكـــلُّ حقيقـــةٍ ســـتبينُ يومـــاً   وكـــلُّ تصـــنُّعٍ فـــإلى افتضـــاح

***

ومـــــا بغـــــدادُ والآداب إلّا   كـما انتفخـتْ طبـولٌ مـن ريـاحِ
تُـوفّي الحُـرَّ مـن حـقٍّ مُضـاعٍ   ومـن عِـرضٍ تمزِّقـهُ مُبـاحِ
ولّمــا أنْ رأيــتُ الشــعرَ فيهــا   أداةً للتشـــاحنِ والتلاحـــي
أنــرتُ ذُبــالَ مســرجتي بكفّــي   أفـتشُ عـن أديـبٍ في الضـواحي[1]
فكـان هنـاك تحـتَ سـتارِ بُـؤسٍ   يجلّلــه وفي ثــوبِ اطــراحِ
أقــولُ لــه: ألا وجــهٌ حَيــيٌّ   يقيـكَ طـوارقَ النُّـوبِ الوِقـاحِ؟
أمــا في الحــيَّ ذو أنَــفٍ كــريمٌ   يناشـد عـن غـدوِّكَ والـرواحِ؟
فقـال وأرعشـتْ شـفتاهُ: دعنـي   أقابــلْ جِــدَّ دهــرِكَ بــالمُزاحِ
ومـثلي ضـحَّت الـدنيا كِثـاراً   فهبنـي بعـضَ هاتيـك الأضـاحي

بغداد عام ١٩٢٩

---

[1] الذبالة: الفتيلة.

الشاعر والعود

نظمها الشاعر راثياً بها الأخوين عمر وبكر وكان لمصرعهما أثناء الانتخابات النيابية عام ١٩٢٨ أثر كبير في النفوس

مـا سَـمِعَ السـامعونَ آسـى | مـن شـاعرٍ ضيمَ في العـراقِ
ألـوَى عـلى عُـوده شَـجيّاً | يبثُّـه فَـرْطَ مـا يُلاقـي
إذا بكـى ارتـدَّ يبكـي | شَـجْواً لألحانـهِ الرِّقـاقِ
في ذمّـةِ الله مـا تُلاقـي | يـا عـودُ منّـي ومـا أُلاقـي
رُوحـانِ منّـي ومنـكَ باتـا | مـن وَطـأةِ الهـمِّ في التّراقـي
مـا ضـاقَ منـك الخِنـاقُ يومـاً | لـو نفَّسَ الـدهرُ عـن خِنـاقي
يـا دهـرُ خُـذني واحلُـلْ وَثاقـاً | أرهَـقَ عُـودي واحلُـلْ وَثـاقي
أو لا فحـوّلْ أنّـةَ أسري | عنـه إلى نغمـةِ انطـلاقِ

***

فَغَمْغَـمَ العـودُ واستجاشـتْ | أشـجانَهُ خطـرةُ الفِـراقِ
إسْـلَمْ رفيـقَ الصِّـبا، ألـوفٌ | تفـديك مـثلي وأنـتَ بـاقِ
قبلـكَ واسـيتُ ألـفَ شـاكٍ | وألـفَ حـاسٍ وألـفَ سـاقِ
مـن فضـلِ مـا أوحـتِ الرزايـا | إليَّ مُيِّـزت عـن رفـاقي
أقـول لمـا انـبرتْ غصـونٌ | أعوادُهـا تبتغـي لحَـاقي
إحْملْـنَ مثـل الـذي أُلاقـي | مـن اصـطباحي أو اغتبـاقي
طـارِحنَ مـثلي أخـا شـجونٍ | شـاركنَ مـثلي أخـا اشـتياقِ
ربَّ نهـارٍ كنـتُنَّ فيـه | جنبـاً إلى جنـبٍ في اعتنـاق
قضـيته جنـبَ ذي شـجونٍ | أخـافُ مـن بثّـه احتراقـي
وربَّ ليـلٍ سـهِرتُ فيـه | أشـدو حزينـاً مـع السـواقي
اصـبرْ قليـلاً يـا عـودُ إنّـا | عـمّا قريـبٍ إلى افـتراقِ

حملتَ عنّي ماضي همُومي فاحملْ قليلاً من البواقي
وَلّى شبابي إلّا بقايا ضحيَّةَ القلب والمآقي
والنفسُ تأبى إلّا انطلاقاً والدهرُ يأبى إلّا ارتهاقي
والحزنُ لم يدّخرْ صُباباً يُبقيه في كأسهِ الدِّهاقِ[1]
ألانطفائي كان اشتعالي ألاحتراقي كانَ ائتلاقي
وحين جاء الظلامُ يُرخي سِتراً على الأوجُهِ الصّفاقِ
ورفَّ رُوحُ السلامِ يُخفي غريزةَ الحِقْدِ والنِفاقِ
باتَ بطيّاته فؤادٌ يشكُرُ لُطفَ الموت الذُعاقِ
وجنبَه عودُهُ يُناغي حَشرجةَ الصدرِ في السياقِ
إلى التلاقي ((عودي)) وداعاً وكيف بعدَ الموتِ التلاقي
أقرىءْ سَلامي على الرزايا أعني سلامي على الرفاقِ
ذاك أديبٌ مات اضطهاداً ذاك هو الشاعرُ العراقي

بغداد عام ١٩٢٩

[1] الصباب: من الصبابة، وهي ما يساوي الثمالة أي البقية من كؤوس الشراب.

صفحة من الحياة الشعبية أو بيت يتهدم

سالَ شِعري بالرَغم عَنّي حزنا أبتغي فَرحةً فما تَتَسنّى

كلُّ صَحْبي يشكون شكوايَ لكنْ ربّما يضحكونَ خُسْراً وغَبْنا

لو لـ((جوتٍ))تبدو تعاسةُ هذا الشعبِ يوماً لكان أجملَ فنّا[1]

لتناسى ((آلامَ فَرتَرَ)) طرّاً رُبَّ حزنٍ يُنسي أخا البؤسِ حزنا

***

من شبابِ العراقِ تعلو الكآباتُ وُجُوهاً تَفيضُ طُهراً وحُسْنا

لو تَراها عجِبتَ أن لا يَهُزَّ الشرخُ قلباً أو يُضحكَ الزهوُ سِنا[2]

أعلى هذه النُّفوس – من اليأس استماتت- مستقبلُ الشعب يُبنى

يَتَغذى دمَ القُلوب شبابٌ لا يُريدُ الحياةَ ذُلاً و وَهْنا

خُدعةٌ هذه المظاهرُ ما في القوم فردٌ يعيشُ عَيشاً مُهَنّا

الثيابُ الفَرْهاءُ رفّتْ عليهم كضمادٍ غطّى جِراحاً وطَعْنا

والأحاديثُ كلُّها تشتكي ((البؤسَ)) وفصلُ الخطاب أنّا ((يَئِسْنا))

***

إيهِ أُمّاهُ ما أرابَ شقيقَ النفسِ منّا حتّى تبعَّدَ عنّا

منذ يومينِ ليسَ يَعرف عنّا نحنُ فيه شيئاً ولا كيف بتنا

جائياً ذاهباً يقسّم في الأوجه لحظَيهِ من هُناكَ وهَنّا

إيهِ أُمّاهُ إنّ نفسي أحسّتْ ما يُقذّي عيناً ويُوقرُ أُذْنا

---

[1] ((غوته)): الشاعر الالماني.. مؤلف ((آلام فرتر)) وقد نقلها الى العربية ((أحمد حسن الزيات)).

[2] الشرخ: الأول. شرخ الشباب: أوله.

فـانبرت دمعـةٌ تُـترجمُ عـمّا في ضـمير الأُمِّ الحنـونِ استكَنّا
إسـمَعي يـا عزيـزَتي أنـا أوفى منـكِ خُـبْراً إذ كنـتُ أكـبرَ سِنّا
ولـدي مُـذْ عَرَفتُـهُ يمـلأُ البيـتَ بتفكـيرِهِ ارتهابـاً وحُزنـا
ولـدي طـامحٌ تُعَنّيـه آمـالٌ كِثـارٌ إنّ الطّمـوحَ مُعَنَّـى
يَتمنّـى كـلَّ السـرور ولا يسـطيعُ نـيلاً لـبعض مـا يَتمنّـى
لـو بكفّـي مَنعْـتُ جُـلَّ القـوانينِ عـلى الحـقِّ نِقْمـةً أن تُسَـنّا
لا نظـامٌ حـرٌّ فيرْعـى الكفـاءاتِ ولا مـن يُقـيمُ للحـرِّ وَزْنـا
عُكِسَـتْ آيـةُ الفضـائلِ فـالأعلى مقامـاً مـن كـانَ في الـنفسِ أدْنـى
سـاكنُ القصـر لـو إلى ذِمّـةِ الحـق احتكمنـا لكـانَ يسـكُنُ سِجنا
ولكـانَ الحـريَّ أن تتحاشـاه البرايـا لا أن يُـبرَّ ويُـدْنى
إنّ مـا يجتنيـه مـن مُنْكـرات العـيشِ مـن شَـقْوةِ البريئـين يُجْنـى
وقنـاني الخمـرِ التـي عصـَروها مـن دمـوعي ومـن دُمُوعِـكِ تُقْنـى
ولـدي أختَشـي عليـه مـن المـوتِ انتحـاراً وأختشـي أن يُجَنّـا
أسـمعتيه أمـسِ اذ يتَحَـدّى النـاسَ إنّي عَرَفـتُ مَرْمـاهُ ضِـمنا
هـوَ يشـكو مـن النَّذالـةِ خَصْـماً وهـو يشـكو مـن الخيانـةِ خِـدْنا
ولـدي لم يكـنْ ليحمـلَ - لـولا أن يُلحّـوا بـه - عـلى النـاسِ ضِـغْنا

***

مـا لزَوجـي إذا ذَكـرتُ لـه الأنـسَ ومـا أرتجـي مـن العـيشِ أنّـا
أنّـةٌ سرُّهـا عميـقٌ وفيهـا ألـف معنـى مـن القُنـوط ومعنـى
كـاسراً جفنَـه يخالِسُـني اللحـظَ لأمـرٍ في الـنفسِ يكسـرُ جَفْنـا
أتُـرى مـن إشـفاقةٍ هـذه النظـرةُ أم سـاءَ بي - وحاشـايَ - ظنّـا

خَلـتِ الغُرفـةُ الصـغيرةُ مـن ((قيثـار)) زوجـي فلسـتُ أسْـمعُ لَحنـا
أنـــا واللهِ كنـــتُ أستشـــعرُ معنـــى الحيـــاةِ إذْ يَتغَنَّـــى

***

في سـوادِ الـدُّجى وعاصـفةِ الأقـدارِ هبَّـت تَجتَـثُّ بـالعُنف غُصـنا
مـن عـلى دجلـةٍ تُكشّـفُ للضـيف عزيـزاً عـلى الطبيعـة حِضـنا
شَـبحٌ لاح مـن بعيـدٍ يَحُـثُّ الخطـوَ طـوراً وتـارةً يتـأنّى
يالَــهُ موقفـاً يمثّـلُ مـذهولاً يُعـاني حـالَين خَوفـاً وأمْنـا
زوجتـي سـوف تسـتفيقُ مـن النـومِ صَـباحا فـما تـراني وَهْنـا
سـوف تجتاحُهـا الظُّنـونُ ولهفـي إذ تُنَبّـى عـن صـدقِ مـا تتظَنّـى
زوجتـي مـا اقترفـتُ إثـماً ولكـنْ كـيفما شـاءت النـواميسُ كُنّـا
زوجتـي أوسـعي النزاهـةَ مـا اسـطعتِ سِـباباً وأوسـعي الحـقَّ لَعْنـا
أُقـتُلي بنْتَـكِ الصـغيرةَ لُبنـى لا تكابـدْ مـا كابـدت أمٌّ لبنـى
وعجـوزٌ هنـالكُمُ حسـبُها مـن رحمـةِ الـدهرِ أنْ سـتفقدُ إبْنـا
لـو تخـيّرتُ لي إلهـاً لمـا ألَّهْـتُ إلّا مـن هيكـلِ الأمّ بطنـا
و((ربـابٌ)) شـقيقتي بعـد مـوتي أبـداً بالحيـاة لا تَتَهنّـا
وسأقضـي فيُوسـع النـاسُ تـاريخي بعـد الممـاتِ سَـبّاً وطَعنـا
يالهـا مـن نذالـةٍ في أحاديـثَ تُسـمّي شـجاعةَ المـوتِ جُبنـا

***

إشـهَدي دجلـةٌ بـأنّي - كـما كنـتُ - قويّـاً جسـماً وعزمـاً وذهنـا
شـاعرٌ بـالوجود أُغمِـضُ عـمّا فيـه مـن هـذه المنـاظر جَفنـا
كـلُّ هـذا وسـوف أنتحـرُ اليـوم لأنّي أرى المعيشـةَ غَبنـا!

إحملي ((دجلةُ)) سلامي إلى الأهل وقولي: قد استراحَ المعنّى

***

حَملوا - بعد أربعٍ - جُثةً لم تتميز منها النواظرُ رُكنا

وانحنتْ فوقها الأمومةُ خرساءَ تُزجّي يُسرى وترفع يُمنى

لم تُطِق أنّةً فماتت - وقد يدفع - موتاً عن ثاكلٍ أن تئنّا

واستخفَّ الشقيقةَ ((الصرْعُ)) فهي اليومَ نِضوٌ يعالج الموتَ مُضنى

وحديثُ الأخرى اتركوه فقد يُغنيكمُ عن صراحةٍ أن يُكَنّى!

بغداد عام ١٩٢٩

أمان الله

نظمت إثر الانقلاب الذي دبره الاستعمار البريطاني ضد ملك الأفغان المجدد ((أمان الله)) وأدى الى خلعه.

وداعاً ما أردتُ لكَ الوداعا ... ولكنْ كانَ لي أملٌ فضاعا
وكمْ في الشرقِ مثلي من مُرجّ ... أرادَ لكَ النجاحَ فما استطاعا
وإنَّ يداً طوتكَ طوتْ قلوباً ... مرفرفَةً وأحلاماً وساعا
وقد كانت متى تذكرْكَ نفسي ... تَطرْ - إذ تمتلي فرحاً - شَعاعا
فها هيَ بينَ تأميلٍ ويأسٍ ... تُصبّرُ ساعةً وتجيشُ ساعا
أمانُ الله والدُّنيا ((هلوكٌ)) ... أبتْ إلّا التحوُّلَ والخِداعا[1]
بغيرِ رويةٍ حُبّاً وكُرْهاً ... إذا كالتْ تُوفّي المرءَ صاعا
تثبَّتْ لا ترُعْكَ فليس عدلاً ... ولا عوَّدتَ نفسكَ أنْ تُراعا
إلهُ الشرِّ جبارٌ عنيدٌ ... يحبُّ معَ الجبابرةِ الصراعا
وأحكامُ القضاءِ مغفَّلاتٌ ... يُسِئنَ إذا انتخبنَ الإقتراعا
أرى رأسَ ((ابنَ سقاءٍ)) محالاً ... يُطيقُ بتاجكَ الألِقِ اضطلاعا
بلى وأظنُّهُ عمّا قريبٍ ... سيشكو من تحمّله الصداعا

***

لقد أودي بعاطفتي ركودٌ ... فها أنا سوفَ أندفعُ اندفاعا
تقدَّمْ أيّها الشرقيُّ وامددْ ... يديكَ وصارع الدُّنيا صِراعا
فقد حَلَفوا بأنَّك ما استطاعوا ... ستبقى أقصرَ الأقوام باعا
وأنَّك ما تُشيّدْ من بناءٍ ... تجدْ فيه انثلاماً وانصداعا
وليس بأوَّلِ التيجانِ تاجٌ ... أرَدْنَ له مطامعُهم ضياعا
فيا لِشقاء شعبٍ مَشرقيٍّ ... إذا وجدوا به ملِكاً مُطاعا

---

[1] الهلوك: الفاجرة من النساء.

وهــبْ أوفى بـــ((أنقرة)) وأنعـــمْ رُواءُ المُلـــك يَزدهـــرُ التماعـــا
فلــمْ تكــنِ ((البَنيَّــةُ)) وهــي فــردٌ لتعــدِلَ ألــفَ بنيــانٍ تــداعى

***

ســأقذِفُها وإنْ حُسِــبَتْ شــذوذاً وإنْ ثقُلَــتْ عــلى الأذنِ اســتماعا
فــما للحــرِّ بــدٌ مــن مقــالٍ يــرى لضــميره فيــه اقتناعــا
إذا لم يشــمل الإصــلاحُ دينــاً فــلا رشــداً أفــاد ولا انتفاعــا
وأوفــقُ منــه أنظمــةٌ تُمــاشي حيــاةَ النــاس تُبتــدع ابتــداعا
أتــتْ ((مدنيّــةُ الإســلامِ)) لَمــاً لشــعثٍ لا انشــقاقاً وانصــداعا
ولا لــتُرى مواطنهــا خرابــاً ولا ليبيــتَ أهلوهــا جياعــا
ولا لتكــونَ للغــربيّ عونــاً يهــدّدُ فيــه للشــرقِ اجتماعــا
وإلّا مــا يريــدُ القــومُ منّــا إذا ألقــت محجَّبــةٌ قناعــا
أعنــد نســائنا مــنهم عهــودٌ بــأنهم يجيــدون الــدفاعا
أإن خُلِقــتْ لحــيً ملئــت نفاقــاً تخــذتُمْ شــعرها درعــاً مناعــا
رفعــتم رايــةً ســوداءَ منهــا وثــوّرتم بهــا ناســاً وِداعــا
عفــتْ مدنيّــةٌ لــدمارِ شــعبٍ وديــعٍ تخــدمُ الهمــجَ الرَّعاعــا
هــمُ نفخــوا التمــرّدَ في خِــرافٍ وأغــروهنَّ فانقلبــت ســباعا
ومــن خُطــطِ السياســة إن أرادت فســادَ الملــك أفســدت الطباعــا

***

عــلى أنّي وإن أدمــى فــؤادي ليومــك مــا أضــيقُ بــه ذراعــا
أُحمِّلــك الملامــةَ في أُمــورٍ بطــاءٍ قــد مشِــيتَ بهــا سراعــا
وقــد كانــت أنــاةٌ منــك أولى وإن كنــت المجــرَّبَ والشــجاعا
((وخــيرُ الأمــر مــا اســتقبلت منــه ولــيس بــأن تتبّعــه اتباعــا))

((ولكـــنّ الأديـــمَ إذا تفـــرّى بـــلىً وتعيُّبـــاً غَلَـــبَ الصَـــناعا))

بغداد عام ١٩٢٩

علموها

(افتتاح أول مدرسة للبنات في النجف)

علّموها فقد كفاكمْ شنارا وكفاها أنْ تحسبَ العلمَ عارا

وكفانا من التقهقرِ أنّا لم نعالج حتّى الأمورَ الصغارا

هذه حالُنا على حين كادتْ أممُ الغربِ تسبقُ الأقدارا

أنجبَ الشرقُ جامداً يحسبُ المرأةَ عاراً وأنجبت طيارا

تحكم البرلمان من أممِ الدنيا نساءٌ تمثلُ الأقطارا

ونساءُ العراق تمنعُ أن ترسم خطاً أو تقرأ الأسفارا

***

علّموها وأوسعوها من التهذيبِ ما يجعلُ النفوسَ كبارا

ولكي تُحسنوا سياسة شعبٍ برهنوا أنكّم تسوسون دارا

إنّكم باحتقاركم للنساء اليومَ أوسعتمُ الرجالَ احتقارا

أفمن أجل أن تعيشوا تريدون لثلثي أهلِ البلادِ الدمارا

إنّ خيراً من أن تعيش فتاةٌ قبضةَ الجهل أن تموتَ انتحارا

أيّ نفعٍ من عيشةٍ بين زوجين بعيدين نزعةً واختبارا

وخلالَ البيوتِ لا تجدون اليوم إلّا خصومةً وشجارا

***

اختياراً بالبنت سيروا إلى صالحها قبل أن تسيروا اضطرارا

فعلى قدرِ ما تزيدون في الضغطِ عليها ستوجدون انفجارا

وهبوا مرةً نجحتم فلا تنخدعوا سوف تخذلون مرارا

ولدى الأمر لا محالة مغلوبٌ ضعيفٌ يقاومُ التيارا

وأرى جامدا يصارع تجديداً كقزمٍ مصارعٍ جبارا

***

أيـن عـن حُرمـةِ الأُمومـةِ داسـتْها وحـوشٌ، المصـلحون الغيـارى
قـادةٌ للجمـود والجهـل في الشـرق عـلى الشـعب تنصـرُ اسـتعمارا
لـو بكفّـي مـلأتُ دورَ المحـامين عـن المـرأة الجهولـة نـارا
إزدراءٌ بالـدين أن يُحسَـبَ الـدينُ بجهـل وخزيـةٍ أمّـارا
وبـلاءُ الأديـانِ في الشـرق هـوجٌ باسـمه سـاموا النفـوسَ احتكـارا
تُـزدرى رغبـةُ الجماهـيرِ في الشـرقِ وتنسـى إن خالفـت أنفـارا

***

أسلموا أمرهم إلى ((الشيخِ)) عمياناً وسـاروا يقْفونـه حيـثُ سـارا
وامتطـاهم حتّـى إذا نـال بغيـاً خلَـعَ اللُّجـم عـنهُمُ والعِـذارا
نبـذ القِشـر نحـوَهم باحتقـار وحـوى اللـبَّ وحـده والخيـارا
دفعـوا غُـنْمهم إليـه وراحـوا يحملـون الأثقـالَ والأوزارا
عـاطلاتٌ نسـاؤهم ونسـاءُ ((الشـيخ)) حلّـين لؤلـؤاً ونُضـارا
واذا جـاءت الشـدائدُ تَـتْرى قـدّموهم وولّـوا الأدبـارا

***

حالـة تُلْهـبُ الغيـارى وتستصـرخُ غُلْـبَ الرجـالِ والأحـرارا
إنّ بـين الضـلوع ممّـا اسـتغلوه بتضـليلهم قلوبـاً حـرارا
يُعـوزُ الشـعبَ كـي يسـيرَ إلى المجـد حثيثـاً وكـي يـوقّى العِثـارا
حـاكمٌ مطلـقٌ يكـون بـما يعـرفُ مـن خـيرِ شـعبهِ مختـارا
يتحـرّى هـذي الشـنائعَ في الشـرقِ بـنفسٍ لا ترهـبُ الأخطـارا
إن يُطـع كـان مشـفقاً وإذا مـا أحوجـوا كـان فاتكـاً جـزّارا
أو فـلا يُرتجـى نهـوضٌ لشـعب إنُ يقـدّم شـبراً يُعـقْ أشـبارا

بغداد عام ١٩٢٩

الرجعيون

(معارضة الرجعية لافتتاح مدرسة البنات)

نظمت بعيد قصيدة ((علموها)) وذلك بعد أن تطورت معارضة بعض العلماء لفتح مدرسة للبنات في النجف إلى مقاومة شديدة وقد ارتدت على العادة رداء الدين.

نشرت في جريدة ((العراق)) بعنوان ((ليقرأها الرجعيون وقدمتها:

((نشرنا قصائد عدة للشاعر المبدع الجريء محمد مهدي أفندي الجواهري وما كنا ننشر قصيدة له رائعة إلا كان يتحفنا بقصيدة أشد روعة وأكثر جمالاً مما يدل على أن هذا الشاعر الجريء يمشي في مصاف كبار الشعراء في الشرق العربي ولقد أتحفنا حضرته بالقصيدة التالية وهي تكاد تكون آية من الآيات وغرة في جبين الشعر لما فيها من المباني الجزلة والمعاني الرائعة والديباجة الخلابة.

واختتمت التقديم بالقول:

((وإننا ننشرها للقراء كنموذج عالٍ للشعر الحي الخالد)).

سـتَبقى طـويلاً هـذه الأزمـاتُ إذا لم تُقَصّـرْ عُمْرَهـا الصَّـدَماتُ
اذا لم يَنلهـا مُصـلحونَ بواسـلٌ جريئـون في مـا يَـدّعونَ كُفـاةُ
سَيبقى طويلاً يحملُ الشعبُ مُكرهـا مسـاوىءَ مـن قـد أبْقَـت الفَـترَاتُ
قُيوداً من الإرهاق في الشرق أُحكمتْ لتسـخير أهليـه، لهـا حلقـاتُ
ألم تـرَ أنَّ الشـعبَ جُـلُّ حقوقـهِ هـي اليـومَ للأفـرادِ مُمتلكـاتُ؟
مشـتْ كـلُّ جـاراتِ العـراق طموحـةً سِراعـاً وقامـتْ دونـهُ العَقَبـاتُ
غـداً يُمنـعُ الفتيـانُ أن يتعلّمـوا كـما اليـومَ ظُلـما تُمنـعُ الفتيـاتُ

***

أقـولُ لقـومٍ يَحمِـدون أنـاتهَم ومـا حُمِـدتْ في الواجبـات أنـاةُ
بأسرعَ من هـذي الخُطى تُـدرَكُ المُنى بِطـاءٌ لعمْـري مـنكمُ الخُطـواتُ
ومـا أدعّـي أنّ التهـوُّرَ صـالحٌ متى صَلُحتْ للناهضِ النزواتُ؟!
أُرجّـي خليصـاً أن تقـومَ جريئـةً لصـدِّ أكـفِّ الهـادمينَ بنـاةُ
أُريـدُ أكفّـاً مُوجعـاتٍ خفيفـةً عليها- متى مـا شـاءت- اللَّطـماتُ
فـإنْ ينـعَ أقـوامٌ عـليَّ مقـالتي ومـا هـي إلّا لوعـةٌ وشـكاةُ
فقـد أيقنـتْ نفسـي ولـيس بضـائري بـأنّي في تلـك العُيـونِ قـذاةُ
ومـا النقـدُ بـالمُرضي نفوسـاً ضـعيفةً تهـدُّ قواهـا هـذه الحَمـلاتُ
وهَبْنـي مـا صـلَّتْ عـليَّ معـاشرٌ تُبـاعُ وتُشـرى منهمُ الصلواتُ
فلـو كنـتُ مِمّـنْ يطمعـونَ بمالـهِ لعـادتْ قداسـاً تلكـمُ اللعنـاتُ
دعوهـا لغـيري علَّكُـمْ تحلبُونَهـا سـتُغنيكُمُ عـن مِـثلي البقـراتُ
ومـا هـيَ إلّا جمـرةٌ تُنكرونَهـا سـتأتيكُمُ مـن بعـدها جمـراتُ
قـوارصُ قـولٍ تقتضـيها فِعـالُكُمْ وتدعو «الهَاتِ» القارصـاتِ «هنـاتُ»

***

وإنْ يُغضِبِ الغاوينَ فضحُ معاشرٍ هُمُ اليومَ فيه قادةٌ وهُداةُ

فما كان هذا الدينُ لولا ادّعاؤهم لِتمتازَ في أحكامِه الطّبقاتُ

أتجبى ملايينٌ لفردٍ وحولَهُ ألوفٌ عليهمْ حَلَّتِ الصّدقاتُ؟!

وأعجبُ منها أنّهم يُنكرونها عليهم وهم لو يُنصِفون جُباةُ

قذىً في عيونِ المصلحينَ شواهقٌ بدتْ حولَها مغمورةً خَرِباتُ

وفي تلك مِبطانون صُغْرٌ نُفوسُهم وفي هذه غرثى البطونِ أُباةُ

ولو كانَ حُكمٌ عادلٌ لتهدمَتْ على أهلها هاتيكمُ الشرفاتُ

على بابِ ((شيخِ المسلمين)) تكدّسَتْ جِياعٌ عَلَتْهم ذِلَّةٌ وعُراةُ

همُ القومُ أحياءٌ تقولُ كأنّهم على بابِ ((شيخِ المسلمين)) مواتُ

يُلَمُّ فتاتُ الخُبزِ في التُّربِ ضائعاً هناك وأحياناً تُمَصُّ نواةُ

بيوتٌ على أبوابها البؤسُ طافحٌ وداخِلَهنَّ الأنسُ والشَّهواتُ

***

تحكَّمَ باسمِ الدّينِ كلُّ مذَمَّمٍ ومُرتكبٍ حفّتْ به الشُّبهاتُ

وما الدينُ إلّا آلةٌ يشهَرونها إلى غرضٍ يقضونه وأداةُ

وخلفَهمُ الأسباطُ ترى ومنهُمُ لُصوصٌ ومنهمْ لاطةٌ وزُناةُ

فهلْ قضتِ الأديانُ أن لا تُذيعَها على الناس إلّا هذه النَّكِراتُ

يدي بيدِ المستضعفين أريهم من الظُّلمِ ما تعيا به الكلماتُ

أُريهمْ على قلبِ ((الفُراتِ)) شواهقاً ثِقالاً تَشكّى وطأهُنَّ ((فُراتُ))

بنتْهُنَّ أموالُ اليتامى وحولها يكادُ يبينُ الدمعُ والحسَراتُ

بقايا أناسٍ خلّفوها مَوارداً تسدَّدُ لهوَ الوارثينَ وماتوا

بغداد عام ١٩٢٩

فلسطين الدامية

لو استطعتُ نشرتُ الحزنَ والألما — على فِلسْطينَ مسْوداً لها عَلَما
ساءت نهاري يقظاناً فجائعُها — وسُؤنَ ليليَ إذ صُوّرْنَ لي حُلُما
رمتُ السكوتَ حداداً يومَ مَصْرعِها — فلو تُركتُ وشاني ما فتحتُ فما
أكلّما عصفتَ بالشعب عاصفةٌ — هوجاءُ نستصرخُ القرطاسَ والقلما؟
هل أنقذَ الشامَ كُتّابٌ بما كتبوا — أو شاعرٌ صانَ بغداداً بما نظما
فما لقلبي جياشاً بعاطفةٍ — لو كان يصدقُ فيها لاستفاضَ دما
حسب العواطف تعبيراً ومنقصةً — أنْ ليس تضمنُ لا بُرءاًولا سقما
ما سرَّني ومَضاءُ السيفِ يُعوزني — أنّي ملكتُ لساناً نافثاً ضَرَما
دم يفور على الأعقابِ فائزةُ — مهانةٌ أرتضي كفواً له الكَلِما

***

فاضت جروحُ فلسطينٍ مذكّرةً — جرحاً بأنْدَلُسٍ للآنَ ما التأما
وما يقصّرُ عن حزنٍ به جدةٌ — حزنٌ تجدّده الذكرى إذا قَدُما
يا أمةً غرّها الإقبالُ ناسيةً — أنَّ الزمانَ طوى من قبلها أمما
ماشت عواطفَها في الحكم فارتطمتْ — مثل الزجاج بحدّ الصخرة ارتطما
وأسرعتْ في خُطاها فوقَ طاقتها — فأصبحتَ وهي تشكو الأينَ والسأما
وغرَّها رونقُ الزهراء مُكبرةً — أنَّ الليالي عليها تخلعُ الظُّلَما
كانت كحالمةٍ حتّى إذا انتبهتْ — عضّتْ نواجذها من حُرقةٍ ندما
سيُلحقون فلسطيناً بأندلس — ويَعْطفون عليها البيتَ والحرما
جزاءَ ما اصطنعتْ كفّاكِ من نِعم — بيضاءَ عند أناسِ تجحدُ النِعما

***

يا أمةً لخصوم ضدَّها احتكمت — كيف ارتضيتِ خصيماً ظالماً حكما
بالمدفع استشهدي إن كنت ناطقةً — أو رُمْت أن تُسمعي من يشتكي الصمما
وبالمظالم رُدّي عنك مظلمةً — أو لا فأحقرُ ما في الكون من ظُلما

سلي الحوادثَ والتأريخَ هل عرفا حقّا ورأياً بغير القوّةِ احتُرما

لا تطلُبي من يد الجبّارِ مَرْحمةً ضعي على هامةٍ جبارةٍ قدما

باسم النظامات لاقت حتفَها أُممٌ للفوضوية تشكو تلكم النُظما

لا تجمعُ العدلَ والتسليحَ أنظمةٌ إلّا كما جمعوا الجزّار والغنما

من حيث دارتْ قلوبُ الثائرين رأتْ من السياسة قلباً بارداً شَبِما

أقسمتُ بالقوّة المعتزّ جانبُها ولستُ أعظمَ منها واجداً قَسَما

أنَّ التسامحَ في الإسلام ما حصدتْ منه العروبةُ إلّا الشوكَ والألما

حلتْ لها نجدةُ الأغيار فاندفعت لهم تُزجّي حقوقاً جمّةً ودما

في حين لم تعرف الأقوامُ قاطبةً عند التزاحم إلّا الصارمَ الخَذِما

أعطتْ يداً لغريبٍ بات يقطعها وكان يلثمُها لو أنّه لُطما

أفنيتِ نفسَكِ فيما ازددتِ من كرم ألا تكفّين عن أعدائك الكَرَما؟!

لابدَّ من شيم غُرّ فإن جلَبتْ هُلكاً فلا بدَّ أن تستأصلي الشيما

***

فيا فلسطينُ إن نَعْدَمْكِ زاهرةً فلستِ أوّلَ حقٍّ غيلةً هُضما

سورٌ من الوَحدة العصماءِ راعهمُ فاستحدثوا ثُغرةً جوفاءَ فانثلما

هزّت رزاياك أوتاراً لناهضةٍ في الشرق فاهْتَجْنَ منها الشجو لا النَغَما

ثار الشبابُ ومن مثل الشباب إذا ريعَ الحمى وشُواظُ الغَيْرَةِ احتدما

يأبى دمٌ عربيٌّ في عروقِهمُ أنْ يُصبح العربيُّ الحرُّ مهتضما

في كلّ ضاحيةٍ منهم مظاهرةٌ مُوحّدين بها الأعلام والكَلِما

أفدي الذين إذا ما أزمةٌ أزمتْ في الشرق حزناً عليها قصّروا اللِّمما

ووحّدتْ منهمُ الأديانَ فارقةً والأمرَ مختلفاً والرأي مُقتَسَما

لا يأبهونَ بإرهابٍ إذا احتدموا ولا بِمَصرعهمْ إن شعبُهم سَلِما

بغداد عام ١٩٢٩

النزغة أو ليلة من ليالي الشباب

كــم نفــوسٍ شريفــةٍ حسّاســةْ ســحقوهنَّ عــن طريــقِ الخساســةْ

وطبــاعٍ رقيقـــةٍ قـــابَلتهنَّ الليـــالي بغِلظَـــةٍ وشراســـةْ

مــا لضــعفٍ شــكوايَ دهــري فــما أنكــرُ بــأسي وإن تحاميــتُ باســةْ

غــيرَ أني أردتُ للــنُجح مقياســاً صــحيحاً فلــم أجــدْ مقياســةْ!

وقــديماً مسَّــتْ شــكوكٌ عقــولاً وأطالـــتْ مـــن نابـــهٍ وسواســـةْ

اســـتغلَّتْ شـــعورَها شـــعراءٌ لم تَنُشْـــني ظرافـــةٌ وكياســـةْ

وارتمـــتْ بي إلى المطـــاوح نفـــسٌ غمرتهـــا انقباضـــةٌ واحتراســـةْ

عـــدَّتِ النُبـــلَ رابحـــاً واســـتهانتْ مـــن نعـــيمٍ ولـــذةٍ إفلاســـةْ

كلَّـــما أوشـــكتْ تبـــلُّ مـــن الإخـــلاص والصـــدقِ عاوَدَتْهـــا انتكاســـةْ

تَعِـــسَ المـــرءُ حارمـــاً نفســـهُ كـــلَّ اللَّـــذاذات قانعـــاً بالقداســـةْ

***

إســـتفيقي لا بـــدَّ أنْ تُشـــبهي الـــدَّهرَ انقلابـــا وأنْ تحـــاكي أُناســـةْ

لـــكِ في هـــذه الحيـــاةِ نصـــيبٌ إغنميـــهِ انتهـــازةً وافتراســـةْ

فالليـــالي بلهـــاءُ فيهـــا لمـــن يُحســـنُ إبساســـةً لهـــا إسلاســـةْ

مُحلفَـــاتٍ حلبتهـــا وأنـــاسٌ حلبوهـــا درَّارةً بسَّاســـةْ

***

كـــلُّ هـــذا ولســـتُ أُنكـــرُ أنّي مـــن لَـــذاذاتِها اختلســـتُ اختلاســـةْ

ألـــفُ إيحاشـــةٍ مـــن الـــدَّهرِ قـــد غطَّـــتْ عليهـــا في ليلـــةٍ إيناســـةْ

ليلـــةٌ تُغضِـــبُ التقاليـــدَ في النـــاسِ وتُـــرضي مشـــاعراً حسّاســـةْ

مـــن ليـــالي الشـــباب بسَّـــامةٌ إنَّ ليـــاليَّ جُلُّهـــا عبّاســـهْ

ومعـــي صـــاحبٌ تفرَّسْـــتُ فيـــه كـــلَّ خـــيرٍ فلـــمْ تَخُنِّـــي الفراســـهْ[1]

أريحـــيٌّ مـــلءُ الطبيعـــةِ منـــه عـــزَّةٌ وانتباهـــةٌ وسلاســـهْ

خِدْنُ لَهـوٍ.. إنّي أُحبُّ من الشاعر في هـــذه الحيـــاةِ انغماســـهْ

عرَّقـــتْ فيـــه طيّبـــاتٌ ويـــأبى المـــرءُ إلّا عروقَـــه الدسّاســـهْ

ولقـــد رُزْتُـــه عـــلى كـــلِّ حـــالاتِ الليـــالي فـــما ذممـــتُ مساســـهْ

***

كـــان مقهـــى ((رشـــيد)) موعـــدنا عصـــراً وكنَّـــا مـــن سـابقٍ أحلاســـهْ[2]

مجلـــسٌ زانَـــهُ الشـــبابُ وأخلَـــوا ((للزهـــاويّ)) صـــدره والرياســـهْ

هـــو إن شـــئتَ مجمـــعٌ للـــدُّعابات وإن شـــئت معهـــدٌ للدراســـهْ

ثـــم كـــان العِشـــاءُ فانصـــرف الشـــيخُ كسـيحاً مودعـــاً جُلّاســـهْ

وافترقنـــا نُريـــد ((مهـــران)) نبغـــي ورطـــةً في لُـــذاذةٍ وارتكاســـهْ[3]

تـــارةً صـــاحبي يُصـــفّقُ كـــأسي وأنـــا تـــارةً أُصـــفّقُ كاســـهْ

وجـــديرٌ أن يُمتّـــعَ المـــرءُ بـــالخمرةِ نفســـاً وأن يُثقّـــلَ راســـهْ

قبـــل أن تهجـــم الليـــالي عليـــه فتُعـــرّي مـــن الصـــبا أفراســـهْ

أتُـــراه عـــلى حيـــاةٍ قـــديراً بعـــد مـــا يُودعونـــه أرماســـهْ؟

---

[1] صاحبه هو المرحوم عبد الرزاق الناصري- الشاعر الصحفي.

[2] هو مقهى شعبي جميل يطل على دجلة يضم جماعات من الشعراء والأدباء البارزين وفي مقدمتهم ((الزهاوي)).

[3] مهران: حانة شراب كانت في وقتها فريدة بجودة خمورها ونظافة محلها ولطاقة ذوق صاحبها ((مهران)).

فاحتسينا كأساً وأُخرى فدّبتْ سورةٌ لم تدعْ بنا إحساسهْ
وهذينا بما استكنّت به النفسُ وجاشتْ غريزةٌ خناسهْ
لا ((الحسينُ الخليعُ)) يبلُغُ شأوينا ولا ((مسلمٌ)) ولا ذو ((النُّواسهْ))
قال لي صاحبي الظريفُ وفي الكفِّ ارتعاشٌ وفي اللسانِ انحباسهْ:
أين غادرتَ ((عِمّةَ)) واحتفاظاً قلتُ إنّي طرحتُها في الكُناسهْ

***

ثم عُجنا لمسرح أسرجتْه كلُّ رَودٍ وضّاءة كالماسهْ[1]
حدَّدوهُ بكلِّ فينانةٍ خضراءَ بالزهرِ عطّرتْ أنفاسهْ
ولقد زادت الوجوه به حُسناً ولُطفا للكهرباء انعكاسهْ
ثم جسُّوا أوتارهم فأثرن اللهو أيدٍ قديرةٌ جساسهْ
وتنادَوا بالرقصِ فيه فأهوى كلُّ لدنٍ للدنةِ ميّاسهْ
خُطةٌ للعواطفِ الهوجِ فاقتْ خُطةَ الحربِ جذوةً وحماسهْ
أُغرِمَ الجمعُ واستجاب نفوساً تتقاضاهُ حاجةٌ مسّاسهْ
ناقِلاً خطوهُ على نغمةِ العود وطوراً مرجفاً أعجاسهْ
وتلاقى الصدران.. واصطكت الأفخاذُ حتّى لم تبقَ إلّا لماسهْ!!
حرّكوا ساكناً فهبَّ رفيقي لامساً باليدين منه لباسهْ!!
ثمَّ نادى مُعربداً ليحيِّ الله مغناك وليدمْ أعراسهْ

***

وخرجنا منه وقد نصلَ الليلُ وهدَّتْ إغفاءةٌ حُراسهْ
ما لبغدادَ بعد هاتيكمُ الضجَّةِ تشكو أحياؤها إخراسهْ

---

[1] هو ملهى ليالي الصفا.

واقتحمنـــا بيتـــاً تعـــوَّد أنْ نطـــرق في الليـــلِ خُلســـةً أحلاســـهْ
وأخـــذنا بكـــفٍّ كـــلَّ مهـــاةٍ رنَّقـــتْ في الجفـــون منهـــا نعاســـهْ
لم أُطـــل ســـومها وكنـــتُ متـــى يعجبنـــي الشـــيءُ لا أُطيـــلُ مِكاســـهْ:
قلـــتُ إذ عيَّرتنـــي الضـــعف لمّـــا خـــذلتني عنهـــا يـــدٌ فرّاســـهْ
لســـتُ أعيـــا إن فـــاتني أخـــذي الشـــيء بعنـــفٍ عـــن أخـــذه بالسياســـهْ
ثـــمّ كانـــتْ دعابـــةٌ فمُجـــونٌ فارتخـــاءٌ فلـــذةٌ! فانغماســـهْ!
وعلى اسم الشيطان دُستُ عضوضـــاً! نـــاتىء الجنبتـــين! حلـــوَ المداســـهْ!
لَبَـــداً تنهـــلُ اللبانـــةُ منـــه! لا بحَـــزْنٍ ضَرسٍ ولا ذي دهاســـهْ!
وكـــأنّ العبـــيرَ في ضرم اللـــذّةِ يُـــذكي بنفحـــةٍ أنفاســـهْ!
وكـــأنَّ الثقـــلَ المـــؤرجحَ بـــين الصـــدر والصـــدرِ يســـتطيبُ مراســـهْ
وكـــأنّ ((البـــديعَ)) في روعـــة الأُســـلوب يُمـــلي ((طباقـــه)) و ((جِناســـهْ))

***

واســـتجدَّتْ مـــن بعـــد تلـــك أمـــورٌ كلُّهـــن ارتيابـــةٌ والتباســـهْ
عرَّفتنـــا معنـــى الســـعادةِ لمّـــا أن وضـــعنا حـــدّاً بهـــا للتعاســـهْ
بســـم الـــدهرُ بُرهـــةً وتجـــافى بعـــدها كـــاشراً لنـــا أضراســـهْ
صـــاحبي لا ترُعـــك خِسّـــةُ دهـــرٍ ((كـــم نفـــوسٍ شريفـــةٍ حسّاســـهْ))

بغداد عام ١٩٢٩

ساعة مع البحتري في سامراء

أسْدى إليَّ بكِ الزمانُ صنيعا   فحمدتُ صيفاً طيّباً وربيعا
أجللتُ منظرَكِ البديعَ ومنظرٌ   أجللتُه لم لا يكونُ بديعا
درجَ الزمانُ بها سريعاً بعد ما   ناشدتُه ألّا يمرَّ سريعا
قرَّتْ بمرآها العيونُ وقَرحةٌ   للعينِ ألّا تبصرَ المسموعا
ونعمتُ أُسبوعاً بها وسعيدةٌ   سنةٌ نعمتُ خلالها أُسبوعا
ألفيتُ حسنَ الشاطئينِ مرقرقاً   غضّاً وخصبَ الشاطئين مريعا
وأضعتُ أحلامي وشرخَ شبيبتي   وطلاقتي فوجدتُهن جميعا
صبحٌ أغرُّ وليلةٌ جذلانةٌ   بيضاءُ تهزأُ بالصباحِ سُطوعا
والبدرُ بالأنوار يملأُ دجلةً   زهواً ويبعثُ في النفوسِ خُشوعا
وترى ارتياحاً في الضفاف وهِزّةً   تعلو الرمالَ اذا أجدَّ طُلوعا
وجرتْ على الحصباء دجلةُ فِضَّةً   صُهرت هناك فمُوّعتْ تمويعا
وكأنّها سبكوا قواريراً بها   مضَّ السنا فتصدَّعت تصديعا
وترى الصخورَ على الجبالِ كأنّما   لبستْ بهن من الهجيرِ دروعا

***

دُورُ الخلائفِ عافها سُمّارها   وتقطّعتْ أسبابُها تقطيعا
درجتْ بساحتها الحوادثُ وانبرى   خَطبُ الزمانِ لها فكان فظيعا
حتّى شواطئُ دجلةٍ منسابةٌ   تأبى تُشاهد منظراً مفجوعا
أبّنتُها مرثيّةً ولطالما   غازلتُ منها حسنَها المسموعا
ولقد تُذَمُّ جلادةٌ في موقفٍ   للنفس أجملُ أن تكونَ جزوعا

قصرُ الخليفةِ ((جعفرٍ)) كيف اغتدى ... بيدِ الحوادثِ فَضّةً مصفوعا[1]

وكم استقرَّ على احتقار طبيعةٍ ... لم تألُه التحطيمَ والتصديعا

ولقد بكيتُ وما البُكاءُ بمرجعٍ ... ملكاً بشهوة مالكيهِ بيعا

زُرْ ساحةَ السجن الفظيعِ تجدْ بهِ ... ما يستثيرُ اللومَ والتقريعا

إنَّ الذين على حساب سواهُمُ ... حلبوا مَلَذّاتِ الحياة ضروعا

رفعوا القصورَ على كواهلِ شعبِهم ... وتجاهلوا حقّاً له مشروعا

ساسوا الرعيّةَ بالغرورِ سياسةً ... لا يرتضيها من يسوسُ قطيعا

حتّى إذا ما الشعبُ حرَّكَ باعه ... فإذا همُ أدنى وأقصرُ بوعا

***

ووقفتُ حيثُ البحتريُّ ترقرقتْ ... أنفاسُهُ فشفعتُهُنَّ دُموعا

أكبرتُ شاعرَ ((جعفرٍ)) وشعورهُ ... يستوجبُ الإكبارَ والترفيعا

ولَمستُ في أبياتهِ دَعةَ الصَّبا ... ولِداتهِ والخاطرَ المجموعا

ولئن تشابهت المناسبُ أو حكى ... مطبوعُ شعري شعرهُ المطبوعا

فلكمْ تخالفُ في المسيلِ جداولٌ ... فاضتْ معاً وتفجّرتْ ينبوعا

عَبثَ ((الوليدُ)) بشرخ دهرٍ عابثٍ ... وصبا فنالَ من الصبا ما أسطيعا[2]

ونما رفيعاً في ظلالِ خلائفٍ ... في ظِلهمْ عاش القريضُ رفيعا

لا عن بيوت المال كان إذا انتمى ... يُقصَى ولا عن بابهم مدفوعا

---

(1) جعفر: المتوكل.

(2) الوليد: البحتري، وفيه إشارة ضمنيه إلى شرح أبي العلاء المعري لديوان البحتري الذي سماه ((عبث الوليد)).

قَـدَروا لـه قَـدْرَ الشـعورِ وأسرجـوا أبياتــهُ وســطَ البيــوتِ شــموعا

***

ضـيفَ العـراق نعمـتَ مـن خيراتِـهِ وحمــدتَ فيــه قــرارةً وهجوعــا

إنْ تُعْقَـدِ الحفـلاتُ كنـتَ مقـدَّماً أو تُنــبرِ الأمــراءُ كنــتَ قريعــا

وأظُــنُّ أنَّــكَ لــو نمتْــكَ ربوعُــهُ لشـكوتَ منـه فـؤادكَ المصـدوعا

ولكنــتَ كالشــعراء مــن أبنائــه ممَّــنْ تُجوهــلَ قــدرهمْ فأُضـيعا

لك في ((التي)) راشتْ جناحـك رفقةٌ لــولا جلادتُهــم لمــاتوا جوعــا[1]

---

[1] الضمير في البيت عائد الى بغداد وراشت جناحة كناية عن إسباغها الحياة الرغيدة عليه.

جريبيني

جرّبيني مـنْ قبـلِ أن تزدريني وإذا مـا ذممتني فـاهجريني
ويَقينـاً ستندمينَ عـلى أنّـكِ مـن قبـلُ كنتِ لمْ تعرفيني
لا تقيسي عـلى ملامـحِ وجهـي وتقاطيعـهِ جميـعَ شـؤوني
أنـا لي في الحيـاة طبـعٌ رقيـقٌ يتنـافى ولـونَ وجهـي الحـزينِ
قبلـكِ اغـترَّ معشـرٌ قـرأوني مـن جبـينٍ مكلَّـلٍ بالغُضـونِ
وفريـقٌ مـن وجنتـينِ شـحوبينِ وقـد فاتـت الجميـعَ عُيـوني
إقرئيني منهـا ففيهـا مطـاوي الـنفس طُـرّاً وكـلُّ سرٍّ دفـينِ
فـيهما رغبـةٌ تفـيضُ وإخـلاصٌ وشـكٌّ مخـامرٌ لليقـينِ
فـيهما شـهوةٌ تثـورُ وعقـلٌ خـاذلي تـارةً وطـوراً معيني
فـيهما دافـعُ الغريـزة يغريني وعـدوى وراثـةٍ تزويني

***

أنـا ضـدُّ الجمهـور في العـيش والتفكـير طُـرّاً وضـدُّه في الـدينِ
كـلُّ مـا في الحيـاةِ مـن مُتـعِ العـيشِ ومـن لـذَّةٍ بهـا يزدهيني
التقاليـدُ والمـداجاةُ في النـاسِ عـدوٌّ لكـلِّ حُـرٍّ فطـينِ
أنجـديني: في عـالمٍ تـنهشُ ((الـذُؤبانُ)) لحمـي فيـه.. ولا تُسـلميني
وأنـا ابـنُ العشـرين مَـنْ مُرجـعٌ لي إنْ -تَقَضـتْ- لـذاذةَ العشـرينِ

***

إبسـمي لي تَبْسِـمْ حيـاتي وإن كانـتْ حيـاةً مليئـةً بالشُّـجونِ
أنصـفيني تُكفـري عـن ذُنـوب النـاس طُـراً فـإنّهم ظلمـوني

إعطفـــي ســـاعةً عـــلى شـــاعرٍ حُـــرٍّ رقيـــقٍ يعـــيشُ عـــيشَ الســـجينِ
أخـــذتني الهمـــومُ إلّا قلـــيلاً   أدركينـــي ومـــن يـــديها خـــذيني

***

ســـاعةً ثـــم أنطـــوي عنـــك محمـــولاً بكُـــره لظلمـــةٍ وســـكونِ
حيـــث لا رونـــقُ الصـــباحِ يُحيينـــي ولا الفجـــرُ باســـماً يُغرينـــي
حيـــثُ لا ((دجلـــةٌ))تلاعبُ جنبيهـــا ظِـــلالُ النخيـــلِ والزَّيتـــونِ
حيـــثُ صـــحبي لا يملكـــون مُواســـاتي بشـــيءٍ إلّا بـــأنْ يبكـــوني
متعينـــي قبـــلَ المـــاتِ فـــما يُـــدريكِ مـــا بعـــده ومـــا يُـــدريني
وهبـــي أنَّ بعـــد يـــوميَ يومـــاً   يقتضـــيني مُخلفّـــاتِ الـــدُّيونِ
فمـــن الضـــامنونَ أنَّـــك في الحشـــرِ إذا مـــا طلبتنـــي تجـــديني
فســـتُغرينَ بالمحاســـنِ رُضـــواناً فيُلقيـــكِ بـــين حُـــورٍ وعِـــينِ
وأنـــا في جهـــنَّم مـــع أشـــياخٍ غُـــواةٍ بغـــيهم غمـــروني
أحرجتنـــي طبيعتـــي وبـــآرائهم ازددْتُ بِلّـــةً في الطـــينِ
بالشـــفيع ((العريـــان)) اســـتملكي خـــيرَ مكـــانٍ وأنـــت خـــيرُ مكـــينِ
ودعينـــي مستعرِضـــاً في جحيمـــي   كـــلَّ وجـــهٍ مُـــذمَّمٍ ملعـــونِ
وستُشـــجينَ إذ تـــرين مـــع البُـــزل القنـــاعيس حَـــيرةَ ابـــن اللبـــونِ[1]

---

[1] البزل: جمع ((بازل)) وهو الجمل الذي شق نابه وبزل و((القناعيس)) الإبل القويةّ الشـديدة وفي البيت إشارة إلى قول القائل:

و((ابـن اللبـون)) إذا مـا لُـزّ في قَـرنٍ   لم يستطع صولة ((البـزل القنـاعيسِ))

عـن يسـاري أعمـى المعـرَّة و ((الشـيخُ)) الزهـاويُّ مُقعـداً عـن يمينـي [1]

إئــذَني لي أنــزلْ خفيفــاً عـــلى صــدرك عــذْبا كقطــرةٍ مـــن معـــينِ

وافتحـــي لي الحـــديثَ تســـتملحي خفَّـــةَ روحـــي وتســـتطيبي مجـــوني

تعـــرفي أنّنـــي ظريـــفٌ جـــديرٌ فوقَ هذي ((النهـود)) أن ترفعينـي

مـــؤنِسٌ كابتســـامةٍ حـــولَ ثغريـــكِ جـــذوبٌ كســـحْرِ تلـــك العيـــونِ

***

إســـمحي لي بقُبلـــةٍ تملكينـــي ودعـــي لي الخَيـــارَ في التعيـــينِ

قرِّبينـــي مـــن اللّـــذاذةِ ألمسْـــها أرينـــي بداعـــةَ التكـــوينِ

أنزلينـــي إلى ((الحضـــيضِ)) إذا مـــا شـــئت أو فـــوق ربـــوةٍ فضـــعيني

كـــلُّ مـــا في الوجـــود مـــن عقبـــاتٍ عـــن وصـــولي إليـــك لا يثنينـــي

***

إحملينـــي كالطفـــلِ بـــين ذراعيـــكِ احتضـــاناً ومثلَـــه دلِّلينـــي

وإذا مـــا سُـــئلتِ عنّـــي فقـــولي لـــيسَ بِـــدعاً إغاثـــةُ المســـكينِ

لســت أُمّـــا لكـــنْ بأمثـــال ((هـــذا)) شـــاءت الأُمَّهـــات أن تبتلينـــي

أشـــتهي أن أراكِ يومـــاً عـــلى مـــا ينبغـــي مـــن تكشُّـــفٍ للمصُـــونِ

غـــيرَ أنّي أرجـــو إذا ازدهـــت الـــنفسُ وفـــاض الغـــرامُ أن تعـــذريني

---

[1] في البيت إشارة إلى الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، وكـان صـاحب الـديوان مـن أخـص الشباب العراقي به وأكثرهم ملازمة له. وللزهاوي نكتة معروفة حول هذا البيت هو قوله: شـدما يعجبني فيه أنّ الجواهري لم يكتف بإنزالي في جهنم وإنّما جعلني مقعداً فيها أيضاً وكـان الزهـاوي مصاباً بشلل خفيف في رجليه.

((الطمينـــي)) اذا مجُنْــتُ فعمــداً   أتحــرّى المجــونَ كــي تلْطمينـــي

وإذا مــا يــدي اســتطالتْ فمــن شَــعركِ لُطفــاً بخُصــلةٍ قيــديني

مــا أشــدَّ احتياجــةِ الشــاعرِ الحسَّــاسِ يومــاً لســاعةٍ مــن جنــونِ

بغداد عام ١٩٢٩

الفهرس

الامر الوزاري	٥
مقدمة السيد الوزير د. حسن ناظم	٧
الجواهري.. من المولد حتى النشر في الجرائد.. د. علي جواد الطاهر	١١
على قارعة الطريق	٥١
أمنن علي	٦٣
يا خمرتي	٦٥
العزم وأبناؤه	٦٦
رثاء شيخ الشريعة	٦٨
ثورة العراق	٦٩
الثورة العراقية	٧٧
الليل والشاعر	٨٤
الشاعر المقبور	٨٥
شكوى وآمال	٨٧
صحو بعد سكر	٨٩
منى شاعر	٩٣
في الليل	٩٧
مبادلة العواطف	٩٨
يا شعب	٩٩
بين القلب والاستقلال	١٠٠

فطار الحمام	١٠١
يا يراع الحر	١٠٢
جناية الأماني	١٠٣
بين الأحبة والبدر	١٠٧
بلية القلب الحساس	١٠٨
بين النجف وأمريكا	١٠٩
ابن الشام	١١١
ذكرت الوئام	١١٣
ما هذه النفوس قداح	١١٧
تحية الملك والانتداب	١١٩
العلم والوطنية	١٢٣
خل النديم	١٢٧
استعطاف الأحبة	١٣١
لبنان في العراق	١٣٥
الوحدة العربية الممزقة	١٣٩
أمين الريحاني	١٤٣
في سبيل الكتاب	١٤٨
يا أحباي	١٤٩
هجرت الديارا	١٥٣
الشباب المرّ	١٥٥
الروضة الغناء	١٥٩
النقمة	١٦٤
أمنعم القلب الخلي	١٦٧
النشيد الخالد	١٧١

سلام على أرض الرصافة	١٧٢
لا تفكوا إساره	١٧٣
الشاعر السليب	١٧٤
في تقريظ ديوان ابن الخياط	١٧٦
أعيذكم من كذبتين	١٧٧
صوت من النجف	١٧٩
على أطلال الحيرة	١٨٣
وخزات	١٨٧
مستهام	١٩١
رسالة	١٩٢
تذكر العهود	١٩٣
يا فراتي	١٩٧
النجوى	١٩٩
عاطفات الحب	٢٠٦
في بغداد	٢٠٧
عدِّ عنك الكؤوس	٢١١
على مجلسي	٢١٧
الشاعر	٢١٨
كذب الخائفون	٢٢٠
سبحان من خلق الرجالا	٢٢١
بم أستهل؟	٢٢٥
على حدود فارس	٢٣١
الذكرى المؤلمة	٢٣٣
على كرند	٢٣٥

الريف الضاحك	٢٣٧
بين قطرين	٢٤١
الأحاديث شجون	٢٤٥
وفي الربيع	٢٥١
وشاح من الورد	٢٥٧
سيكفيك رسمي	٢٦١
على الخالصي	٢٦٣
بعد الفراق	٢٦٨
سيصدني وأصده	٢٦٩
سجين قبرص	٢٧١
تحت ظل النخيل	٢٧٥
الساقي	٢٧٧
على ذكرى الربيع	٢٧٩
بغداد	٢٨٣
ليت الذي بك في وقع النوائب بي!	٢٨٥
شوقي وحافظ	٢٩١
بعد المطر	٢٩٥
درس الشباب أو بلدتي والانقلاب	٢٩٧
في الثورة السورية	٣٠٣
عند الوداع	٣٠٧
ويلي لأمّة يعرب	٣٠٩
من النجف إلى العمارة	٣١٤
في ذكرى الخالصي	٣١٧
ذكرى دمشق الجميلة	٣٢٣

إلى روح العلامة الجواهري	٣٢٧
البادية في إيران	٣٣٣
على دربند	٣٣٧
بريد الغربة	٣٣٩
في طهران	٣٤٣
الخريف في فارس	٣٤٤
الربيع	٣٤٥
من كنوز فارس	٣٤٧
اعترافات	٣٥٩
شدة لندن	٣٦١
بغداد على الغرق	٣٦٣
تحية الوزير	٣٦٩
الوطن والشباب	٣٧٣
نزوات	٣٧٧
هلموا وانظروا	٣٨١
الخطوب	٣٨٣
شهيد العرب	٣٨٥
النفثة	٣٩٠
غازي	٣٩٣
في الطيارة أو على أبواب المفاوضات	٣٩٧
على سعد	٤٠١
جائزة الشعور	٤٠٥
من لندن إلى بغداد	٤٠٩
ثورة الوجدان	٤١٣

لولا	٤١٧
ضحايا الانتداب	٤١٩
أيّها المتمردون	٤٢٣
الأدب الصارخ	٤٢٧
الشاعر والعود	٤٣١
صفحة من الحياة الشعبية أو بيت يتهدم	٤٣٥
أمان الله	٤٤١
علموها	٤٤٧
الرجعيون	٤٥١
فلسطين الدامية	٤٥٥
النزغة أو ليلة من ليالي الشباب	٤٥٩
ساعة مع البحتري في سامراء	٤٦٥
جربيني	٤٧١
الفهرس	٤٧٧

ملحق للباحثين

طبعات ديوان الجواهري

١- حلبة الأدب (أول مجموعة في العشرينات)

٢- طبعة ١٩٢٨

٣- طبعة ١٩٣٥

٤- طبعة ١٩٤٩

٥- طبعة ١٩٥٠

٦- طبعة ١٩٥٣

٧- طبعة ١٩٥٧

٨- طبعة ١٩٦٠

٩- طبعة ١٩٦١

١٠- بريد الغربة ١٩٦٥

١١- طبعة ١٩٦٧

١٢- طبعة ١٩٦٨

١٣- طبعة ١٩٦٩

١٤- خلجات ١٩٧١

١٥- بريد العودة

١٦- طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٧٣- ١٩٨٠

١٧- طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٧٩- ١٩٨٤

١٨- طبعة دار ((العودة)) ١٩٨٢

١٩- مختارات ((الجواهري في العيون من أشعاره))- دار ((طلاس)) ١٩٨٦

الجزء الاول

القصيدة	المراجع وتأريخ النشر
أمنن علي	١٦ ج٧، ١٨ ج٤
يا خمرتي	١٦ ج٧، ١٨ ج٤
العزم وأبناؤه	جريدة ((الاستقلال)) العدد ٤٠ في ٢٦ / ١/ ١٩٢١، ١٦ ج١
رثاء شيخ الشريعة	جريدة ((الاستقلال)) العدد ٤١ في ٢٨/ ١/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ثورة العراق	٢، ٣ (بعنوان ((بين الماضي والحاضر.. الثورة العراقية)))، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الثورة العراقية	مجلة ((العرفان)) ج٧، مجلد ٦، نيسان ١٩٢٢ بعنوان ((ثورة العراق))، ٢، ٣، ٦ ج٣، ٩ ج٢، ١١، ١٦ ج١، ١٧ ج١، ١٨ ج١
الليل والشاعر	مجلة ((العرفان))، ٢ (نشرت في كلا المرجعين ضمن قصيدة ((الثورة العراقية))، ١٦ ج١، ١٨ ج١، ١٩

الشاعر المقبور	جريـدة ((العـراق)) العـدد ٢٨٥ في ٥/ ٥/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
شكوى وآمال	جريدة ((العراق)) في ١٦/ ٦/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
صحو بعد سكر	جريدة ((لسـان العـرب)) العـدد ٢٥ في ٢٦/ ٥/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
منى شاعر	جريدة ((العراق)) العـدد ٣٦٧ في ٨/ ٨/ ١٩٢١ ١٦ ج١، ١٨ ج١
في الليل	جريدة ((لسان العرب)) في ٩/ ٩/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
مبادلة العواطف	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
يا شعب	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
بين القلب والاستقلال	مجلة ((العرفان)) ج١، مجلد ٧ تشـرين الاول ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
فطار الحمام	جريدة ((الرافدان)) العدد ٢٠ في ٢٤/ ١٠/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
يا يراع الحر	جريدة ((الرافدان)) العدد ٢٤ في تشرين الاول ١٩٢١، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
جناية الأماني	مجلة ((العرفان)) ج٢، مجلد ٧ في تشـرين الثـاني ١٩٢١، ١، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١، ١٩
بين الأحبة والبدر	جريدة ((لسان العرب)) العـدد ٩٤ في ١٥/ ١١/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١

بلية القلب الحساس	جريدة ((لسان العرب)) العـدد ٩٩ في ١١/ ١١/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
بين النجف وأمريكا	جريدة ((لسان العرب)) العدد ١٠٤ في ١٨/ ١١/ ١٩٢١، ١، ٢، ١١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
أبن الشام	جريـدة ((لسـان العـرب)) العـدد ١٣٣ في ٢٤/ ١٢/ ١٩٢١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ذكرت الوئام	مجلة ((العرفان)) ج٤، مجلـد ٧ في كـانون الثـاني ١٩٢٢ بعنـوان ((أيا ليل)) مجلة ((الهلال)) المصـرية ج٩ في حزيـران ١٩٢٢، جريدة ((المفيد)) العـدد ٦٢ في ٢٨/ ٦/ ١٩٢٢، ١، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ما هذه النفوس قداح	مجلـة ((العرفـان)) ج٥، المجلـد ٧ في شـباط ١٩٢٢، جريـدة ((لسـان العـرب)) العـدد ١٧١ في ١٧/ ٢/ ١٩٢٢ بعنـوان ((أأحبابنا))، ٢ (غير كاملة)، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
تحية الملك والانتداب	جريدة ((الرافـدان)) أول عيـد الفطـر ١٩٢٢، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
العلم والوطنية	جريـدة ((دجلـة)) العـدد ١٤٤ في ٣٠/ ٤/ ١٩٢٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
خل النديم	١٦ ج١، ١٨ ج١
استعطاف الأحبة	مجلة ((اليقـين)) العـدد الثالـث في ١٢/ ٣/ ١٩٢٢، ١، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١

لبنان في العراق	جريدة ((المفيد)) العدد ٣٠ في ١٦/ ٥/ ١٩٢٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الوحدة العربية الممزقة	جريدة ((المفيد)) العدد ١٠٤ في ٢٢/ ٨/ ١٩٢٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
أمين الريحاني	مجلة ((العرفان)) الجزء الثالث من المجلد الثامن، كانون الأول ١٩٢٢، العدد الخاص من جريدة ((العراق)) في ١/ ١/ ١٩٢٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
في سبيل الكتاب	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
يا أحبابي	١، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
هجرت الديارا	((البابليات))، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الشباب الحر	مجلة ((العرفان)) ج٤، المجلد ٨ في كانون الثاني ١٩٢٣ بعنوان ((الام شرقي وآماله))، ١، ٢، ١٣ ج٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الروضة الغناء	جريدة ((العراق)) العدد ٨١٢ في ١٨/ ١/ ١٩٢٣، ١، ٢، ١١، ١٢ ج١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
النقمة	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
أمنعم القلب الخلي	١ بعنوان ((فعلى م دن))، ١١، ١٦ ج١، ١٨ ج١
النشيد الخالد	١، ٣ ٨ ج١، ١٠، ١١، ١٣ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
سلام على أرض الرصافة	مجلة ((العرفان)) ج٥، المجلد ٨ في شباط ١٩٢٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١، ١٩

لا تفكوا إساره	مجلة ((العرفان)) ج٦، المجلد ٨ في آذار ١٩٢٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
الشاعر السليب	جريدة ((العراق)) العدد ٨٧٤ في ٣١/ ٣/ ١٩٢٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
في تقريظ ديوان ابن الخياط	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
أعيذكم من كذبتين	مجلة ((العرفان)) ج٣، المجلد ٩ في كانون الأول ١٩٢٣، ٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
صوت من النجف	جريدة ((الأمل)) في ٢٧/ ١٠/ ١٩٢٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
على أطلال الحيرة	٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
وخزات	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
مستهام	((شعراء الغري)) ج١٠، ١٧٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
رسالة	١٦ ج١، ١٨ ج٤
تذكر العهود	مجلة ((العرفان)) ج٥، المجلد ٩ في شباط ١٩٢٤، ٢، ٣، ٩ ج٢، ١٣ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
يا فراقي	مجلة ((العرفان)) ج٥، المجلد ٩ في آذار ١٩٢٤، ٢، ٣، ٩ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٤، ١٨ ج١
النجوى	جريدة العراق العدد الممتاز ١٣٢٦ في ٢/ ٦/ ١٩٢٤، ٢، ٣، ٩ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٤، ١٨ ج١
عاطفات الحب	٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٩

في بغداد	٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٤، ١٨ ج١، ١٩
عدِّ عنك الكؤوس	١٦ ج١، ١٨ ج١
على مجلسي	٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
الشاعر	مجلة ((لغة العرب)) للأب انستاس الكرملي، مجلة ((الأحـرار)) السورية لجبران تـويني ٢، ٣، ٦ ج٣، ٩ ج٢، ١١، ١٣ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٤، ١٨ ج١، ١٩
كذب الخائفون	((شعراء الغري)) ١٠، ١٧٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
سبحان من خلق الرجالا	جريـدة ((المفيـد)) العـدد ٢٥٧ في ٢٦/ ١١/ ١٩٢٤، ٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٦ ج١
بم استهل؟	١٦
على حدود فارس	٢، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١، ١٩
الذكرى المؤلمة	مجلة ((الحرية)) ١٩٢٤، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٩
على كرند	مجلـة ((العرفـان)) ج٥ المجلـد ١٠ في شـباط ١٩٢٥ بعنـوان ((خواطر الشعر في فارس على كرند)) ٢، ١٦، ٣ ج١، ١٨ ج١
الريف الضاحك	مجلـة ((العرفـان)) ج٦، المجلـد ١٠ في آذار ١٩٢٥ بعنـوان ((خواطر الشعر في فارس على العراق العجمي)) ٢ بعنوان((ما بين العراقين))، ٣، ٦ ج٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٩
بين قطرين	مجلـة ((دار المعلمـين)) عـام ١٩٢٥، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١

الأحاديث شجون	مجلة ((الحرية)) ١٩٢٥، جريدة ((المفيد)) العدد ٣٦٤ في ٦/ ٤/ ١٩٢٥ بعنوان ((بين الغربة والوطن))، ٢ بعنوان ((الاحاديث شجون او حبي عراقي دين)) ١٦ ج١، ١٨ ج١
وفي الربيع	١٦ ج١، ١٨ ج١
وشاح من الورد	صحيفة ((مرآة العراق)) العدد ٣ في ١/ ١٢/ ١٩٢٤، ١٦ ج٧، ١٨ ج٤
سيكفيك رسمي	مجلة ((العرفان)) ج٥ المجلد ١٠ في شباط ١٩٢٥، ٢، ١٦ ج١
على الخالصي	مجلة ((العرفان)) ج ٦، المجلد ١٠ في ايار ١٩٢٥، ٢، ٣، ١٥ ج١، ١٨ ج١
بعد الفراق	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
سيصدني وأصده	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
سجين قبرص	جريدة ((العراق)) العدد ١٥٩٧ في آب ١٩٢٥ بعنوان ((نزيل قبرص - جلالة الملك حسين)) ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١، ١٩
تحت ظل النخيل	مجلة ((العرفان)) ج١، المجلد ١١ في ايلول ١٩٢٥ ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الساقي	٣، ٨ ج١، ١٠، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
على ذكرى الربيع	مجلة ((العرفان)) ج٤، المجلد ١١ في كانون الاول ١٩٢٥، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١ ١٩

بغداد	٢ بعنوان ((دمعة على بغداد)) ٣، ٨ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٩
ليت الذي بك في وقع النوائب بي!	١٦ ج١
شوقي وحافظ	جريدة ((النجف)) العدد ٢*٩ في ٢/ ١/ ١٩٢٦، جريدة ((المفيد)) العدد ٥٧١ في ٥/ ١/ ١٩٢٦ ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
بعد المطر	مجلة ((العرفان)) ج٥، المجلد ١١ في كانون الثاني ١٩٢٦، بعنوان ((حتى الطريق)) ٣،٨، ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
درس الشباب او بلدتي والانقلاب	جريدة ((النجف)) العدد ٣٤ في ٨/ ٣/ ١٩٢٦، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
في الثورة السورية	جريدة ((نداء الشعب)) العدد ٧٦ في ٢٠/ ٤/ ١٩٢٦، ٢ بعنوان ((على دمشق)) ٣ بعنوان ((في الثورة السورية على دمشق))، ٤ بعنوان ((في الثورة السورية دمعة على دمشق))، ١٦ ج١، ١٨ ج١، ١٩
عند الوداع	جريدة ((الفضيلة)) العدد ٣٦ في ٢٥/ ٤/ ١٩٢٦، ٣، ٨ ج١، ١١ ج١، ١٣ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
ويلي لأمة يعرب	جريدة ((النجف)) العدد الممتاز في مايس ١٩٢٦، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
من النجف الى العمارة	جريدة ((الفضيلة)) العدد الممتاز ٤٠ في ٢٣ مارس ١٩٢٦، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١

في ذكرى الخالصي	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ذكرى دمشق الجميلة	مجلة ((المعرض)) ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الى روح العلامـــــــة الجواهري	جريدة ((الفضيلة)) العدد ٥٦ في ١٢/ ٩/ ١٩٢٦، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
البادية في ايران	جريـدة ((الفضـيلة)) العـدد ٦١ في ١٧/ ١٠/ ١٩٢٦ بعنـوان ((خواطر الشعر في فـارس))، ٢، ٣، ١١، ١٦ ج١، ١٨ ج١١٦ ج١، ١٨ ج١
على دربند	مجلة ((العرفان)) ج٥، المجلد ١٢ في كانون الثاني ١٩٢٧ بعنوان ((خواطر الشعر في فارس))، ٣، ٨ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٩
بريد الغربة	جريـدة ((الفيحـاء)) العـدد ١٠ في ٣١/ ٣/ ١٩٢٧ بعنـوان ((بريد الغربة أو يوم شـمرانات))، ٢، ٣، جريـدة ((الفـرات)) العـدد ١٩ في ٣/ ٦/ ١٩٣٠ تحـت عنـوان ((اسـمعي وزارة المعارف))، ١٦ ج١، ١٨ ج١
في طهران	٢ بعنوان ((في العاصمة طهران)) ١٦ ج١، ١٨ ج١
الخريف في فارس	٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
الربيع	٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
من كنوز فارس	جريدة ((النجـف)) الاعـداد كـم ٦١ في ١٢/ ١٠/ ١٩٢٦ الى ٦٩ في ١٧/ ١/ ١٩٢٧، جريـدة ((الفضـيلة)) العـدد ٧٠ في ١٩/ ١٢/ ١٩٢٦، ١٦ ج١، ١٨ ج١

اعترافات	جريـدة العـراق العـدد ١٩٩٧ في ٢٠/ ١١/ ١٩٢٦، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
شدة لندن	جريـدة ((العـراق)) العـدد ٢٠٠٠ في ٢٤/ ١١/ ١٩٢٦، ١٦ ج١، ١٨ ج١
بغداد على الغرق	مجلة ((العرفـان)) ج٦، المجلـد الثالـث عشرـ في شـباط ١٩٢٧ بعنوان ((بغداد أو وقفة على دجلة))، ٢، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
تحية الوزير	٢، ٣ بعنوان ((ذكـرى كتـاب النصـولي- تحيـة الـوزير الجـريء السيد عبد الهادي- بك)) ١٦ ج١، ١٨ ج١
الوطن والشباب	مجلـة ((العرفـان)) ج٨، المجلـد ١٣ في نيسـان ١٩٢٧ بعنـوان ((أشبان الطرق))، ٢، ٣، ٨ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
نزوات	مجلة ((لغة العرب)) ج١٠، السنة الرابعة نيسان ١٩٢٧، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
هلموا وانظروا	جريدة ((العالم العربي)) العدد ٩٥٠ في ٢٣/ ٤/ ١٩٢٧ بتوقيع ((ابن البادية))، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
الخطوب	جريدة ((العـالم العـربي)) العـدد ٩٥٤ في ٢٧/ ٤/ ١٩٢٧، ٢، ٣، بعنـوان ((الخطـوب القاسـية))، ٨ ج١، ١٠، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١، ١٩
شهيد العرب	جريدة ((العراق)) العـدد ٢١٦٨ في ٩/ ٦/ ١٩٢٧، ٢ بعنـوان ((شهيد العرب- جلالـة المنقـذ الملـك حسـين))، ١٦ ج١، ١٨ ج١

النفثة	جريدة ((العالم العربي)) العدد ١٠٠١ في ٢٢/ ٦/ ١٩٢٧ بتوقيع ((متألم، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
غازي	جريدة ((العالم العربي)) العدد ١٠٤٠ في ٥/ ٨/ ١٩٢٧ بتوقيع ((شاعر)) ٢ بعنوان ((تحية سمو الأمير))، ١٦ ج١، ١٨ ج١
في الطيارة (على ابواب المفاوضات)	جريدة ((الزمان)) العدد ١٠ في ١٥/ ٨/ ١٩٢٧، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
على سعد	٢، ٣ بعنوان ((دمعة على سعد)) ١٦ ج١، ١٨ ج١
جائزة الشعور	جريدة ((العالم العربي)) العدد ١١٤٦ في ٨/ ١٢/ ١٩٢٧ بعنوان ((جناية الشعور))، ٢، ٣، ١٦ دج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
من لندن الى بغداد	٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ثورة الوجدان	٢، ٣، بعنوان ((احتجاج الوجدان))، ٤ ج١، ٩ ج٢، ١٣ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١، ١٩
لولا	جريدة ((الزمان)) العدد ٢٩ في ١٨/ ٣/ ١٩٢٧، ٢، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ضحايا الانتداب	٢ بعنوان ((في سبيل الأخوين))، ٣، ١٦ ج١، ١٨ ج١
ايها المتمردون	جريدة ((العراق)) العدد ٢٤٧٨ في ٢٦/ ٤/ ١٩٢٨، ٣ بعنوان ((الى أرواح الشعراء المتمردين)) ٨ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١، ١٩
الأدب الصارخ	جريدة ((العراق)) العدد ٢٦٧١ في ٢٥/ ١/ ١٩٢٩، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١

الشاعر والعود	جريدة ((العراق)) العدد ٢٦٨٩ في ١٥/ ٢/ ١٩٢٩ بعنوان ((تراجيدا عراقية أو الشاعر والعود)) ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
صفحة من الحياة الشعبية أو بيت يتهدم	جريدة ((العراق)) العدد ٢٧٦٠ في ١٠/ ٥/ ١٩٢٩، ٣ بعنوان ((الشباب العراقي)) ١٦ ج١، ١٨ ج١
أمان الله	جريدة ((العراق)) العدد ٢٧٨٧ في ١٢/ ٦/ ١٩٢٩ بعنوان ((مأساة الأفغان او وداعا أمان الله)) ٣ بعنوان ((وداعا أمان الله))، ٦ ج٣، ٨ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
علّموها	جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٣٥ في ٧/ ٨/ ١٩٢٩ بعنوان ((على المكشوف حول مدرسة البنات النجفية))، ٣ بعنوان ((حول مدرسة البنات في النجف))، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١
الرجعيون	جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٥١ في ٢٦/ ٨/ ١٩٢٩ بعنوان ((ليقرأ الرجعيون))، ٣، ٥ ج٢، ٩ ج٢، ١٣ ح٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٢، ١٨ ج١، ١٩
فلسطين الدامية	جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٧١ في ١٨/ ٩/ ١٩٢٩ بعنوان ((على فلسطين الدامية))، ٣، ١٦ ج١، ١٧ ج٤، ١٨ ج١
النزغة أو ليلة من ليالي الشباب	جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٩٧ في ١٨/ ١٠/ ١٩٢٩ بتوقيع ((ابن سهل))، ٣، ٦ ج٣، ٧، ٨ ج١، ١١ ج١، ١٢ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١، ١٩

ساعة مع البحتري في سامراء	جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٩٩ في ٢١/ ١٠/ ١٩٢٩، بعنوان ((بين شاعرين: ساعة مع البحتري على أطلال سامراء))، ٣، ٥ ج٢، ٩ ج٢، ١٢ ج٢، ١٦ ج١، ١٧ ج٣، ١٨ ج١
جربيني	جريدة ((العراق)) العدد ٢٩٠١ في ٢٣/ ١٠/ ١٩٢٩ بعنوان ((صبابة شاعر)) وبتوقيع ((ابن سهل))، ٣، ٦ ج٣، ١١، ١٢ ج١، ١٦ ج١، ١٧ ج٤، ١٨ ج١، ١٩

سلامٌ علــى هَضَباتِ العـراقِ ... وشطّيه والجـرُف والمُنحنى
على النخْلِ ذي السَعَفاتِ الطوالِ ... على سيّد الشَـجَرِ المُقـْتنى
علـى الرُطَبِ الغـضّ إذ يُجَتلى ... كَوَشْي العَـروسِ وإذ يُجْتَنى
بإيسـارِهِ يـومَ أعـذاقُه ... ترفُ وبالعُسْر عنـد القـنى
وبالسَعْـفِ والـكرَبِ المُسْتـجَدِ ... «ثوباً» تهرّى" وثـوباً نضـا
ودجـلَةَ إذ فـارَ آذيُّهـا ... كما حُمَّ ذو حـرَدٍ فاغـتلى
ودجلةَ تمـشي على هَوْنِها ... وتمشـي رُخاءً عليها الصَّبا
ودجلةَ زهو الصـبايا الملاحِ ... تُخـوّضُ منها بماءِ صَرى
تُريك العراقيَّ في الحالتيـ ... ـنِ يُسـرِفُ في شُحّه والـندى



وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية
طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية
info@darculture.com
سعر النسخة : 8000 IQD